

التكملة
في علوم القرآن

محمد هادي صوفى

دار الفکر

الجزء الأول

التفہیم

دراسات بنط عن مختلف شؤون القرآن الكريم عرفت باسم
«علوم القرآن»

تأليف
محمد هادي معرفتي

مطبعة مهر - قم

١٣٩٦ هـ

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين .
وبعد .. فان دراسة شؤون القرآن الكريم فى مختلف جوانبه المتنوعة ، دراسة
ممتعة هى فى نفس الوقت ضرورة اسلامية ملحة ، يستجيبها كل مسلم واع وجد من هذا
الكتاب السماوى الخالد حقيقة ناصعة و برهاناً من الله صادقاً ، فيه تبيان كل شىء و
هدى ورحمة للعالمين :

* اولاً ، هو سند الاسلام الحى ، ومعجزته الباقية ، الذى لا يزال الاسلام يتحدى به
جموع البشرية - فى نداء صارخ - : لو تستطيع ان تأتى بمثله ! لكنها - بكل صراحة
وضراعة - تعترف بعجزها المستمر مع كرام العصور .

قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . الاسراء : ٨٨ .

* ثم ، هو دستور الاسلام الجامع ، و الكافل لاسعاد البشرية فى كافة ميادين
الحياة : الاجتماعية والادارية والسياسية وغيرها اجمع ، وقد تحققت هذه الواقعية

المشرقة ، يوم سارت ركب البشرية فى ضوء هذا المشعل المضىء .

يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذادعاكم لما يحييكم . الانفال : ٢٤ .

* و ايضا ، تجاوبه الوثيق مع فطرة الانسان الاصيله ، انسجاماً متشابكاً مع جبلته الاولى التى فطر عليها . وهذا التجاوب يبدو - بكل وضوح - على محيى كافة تشريعاته وتنظيماته وجميع احكامه الشاملة . الامر الذى يجعل من هذا القانون السماوى الجامع ، نظاماً منبثقاً من صميم الانسانية ، جاء ليؤمن عليه جميع حاجاته النزيهة فى مختلف شؤون الحياة .

فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله .
ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون . الروم : ٣٠ .

* كما وانه اتحف للبشرية جمعاء بمعارف وتعاليم جليلة ، كان المستوى البشرى - ولا يزال - يقصر عن البلوغ اليها ، لولا سماح القرآن بمثلها - بكل سخاء - وجعلها فى متناولها القريب ، فى ابلغ بيان وابدع اسلوب حكيم .

وانزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم . النساء : ١١٣ . علم الانسان ما لم يعلم . العلق : ٥ . ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل . هود : ٤٩ .
و اخيراً : هيمنته الخارقة على نفوس بشرية كبيرة ، كانت تأبى الرضوخ لغير الحق الصريح ، فاشرف بهاء على واقعية مشهودة كانت دلائل الصديق لائحة على محياها بوضوح ، ومن ثم استسلمت لقيادته الحكيمة مذ تعرفت الى حقيقته الصارخة .

لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك . النساء : ١٦٢ .
تلك خصائص وميزات جليلة امتاز بها هذا الكتاب الالهى العظيم ، الذى لم يكذب مضى من انبثاق نوره اللثلاء اكثر من نصف قرن ، حتى ملك رقاب امم كبيرة ، و سيطر على رقعة واسعة من الارض كانت مهد الحضارة الانسانية منذ زمن سحيق .
فدوخ صدهاء الاجواء ، وهزت لهيمنتها العادلة ارجاء العالم المعمور .

الامر الذى جعل من هذا القرآن موضع اهتمام العلماء ومنصرف عناية الباحثين



ومنذ الصدر الاول قد بذل كبار الصحابة و فضلاء التابعين عنايتهم البالغة في البحث عن شتى جوانب القرآن الكريم ، واهتموا بالتكلم عن ناسخه ومنسوخه ، و محكمه ومتشابهه، وتنزيله وتأويله، وعامه وخاصه، واطلاقه وتقييده وترتيله وتجويده وعن كافة شؤونه المترامية . وهكذا لم يزل يطرد ويتوسع دائرة الدراسات القرآنية عبر القرون و الاعصار . كما طفحت من نتائج تلكم البحوث والدراسات جوامع الحديث والتفسير في مختلف الادوار .

اما عهد التدوين فيرجع الى مؤخرة القرن الاول ، فكان اول من صنف في القراءة هو يحيى بن يعمر (توفي سنة ٨٩ هـ) احد تلاميذ ابي الاسود الدؤلى . الف كتابه في « القراءة » في قرينة واسط ، و يضم الاختلافات التي لوحظت في نسخ القرآن المشهورة . كما في « تاريخ التراث العربى » لفؤاد سزگين .

* وفي القرن الثانى ، صنف الحسن بن ابي الحسن يسار البصرى (ت ١١٠) كتابه في « عدد آى القرآن » .

وعبدالله بن عامر اليحصبى (ت ١١٨) كتابه في اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق و «المقطوع والموصول» في الوقف والوصل .

وشيبة بن نصاح المدنى (ت ١٣٠) : «كتاب الوقوف» .

وابان بن تغلب (ت ١٤١) صاحب الامام على بن الحسين السجاد عليه السلام هو اول من صنف في «القراءات» بعد ابن يعمر . وله كتاب «معانى القرآن» ايضا .

ومحمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦) . اول من صنف في «احكام القرآن» .

ومقاتل بن سليمان المفسر (ت ١٥٠) . له كتاب «الايات المتشابهات» .

وابوعمر و ابن العلا زبان بن عمار التميمي (ت ١٥٤) : « الوقف والابتداء » و كتاب «القراءات» .

وحمزة بن حبيب ، احد القراء السبعة (ت ١٥٦) صاحب الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام له كتاب في «القراءة» .

ويحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧) : «معاني القرآن» و «اختلاف اهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف» و «الجمع والتنشئة في القرآن» .

ومحمد بن عمر الواقدى ، الكاتب العلامة والمؤرخ الشهير (ت ٢٠٧) . له كتاب «الرغيب» في علوم القرآن وغلط الرجال .

وابوعبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩) : «اعجاز القرآن» في جزئين .و «معاني القرآن» .

*وفي القرن الثالث ،صنف ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) «فضائل القرآن» و «المقصود والممدود» في القراءات ، و«غريب القرآن» ، و«الناسخ والمنسوخ» . وعلى بن المدينى (ت ٢٣٤) صنف في اسباب النزول .

واحمد بن محمد بن عيسى الاشعري شيخ القميين ووجههم (توفى حدود ٢٥٠) له كتاب «الناسخ والمنسوخ» .

والامام ابو زرعة العراقي (ت ٢٦٤) نظم الفيته في تفسير غريب القرآن . وابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦) : «تأويل مشكل القرآن» . و«تفسير غريب القرآن» . و«اعراب القرآن» . وكتابه في القراءات .

وابو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوى (ت ٢٨٦) : «اعراب القرآن» . وابو عبدالله محمد بن ايوب بن ضريس (ت ٢٩٤) كتب فيما نزل بمكة وما نزل بالمدينة ، وكتاب «فضائل القرآن» .

وابو القاسم سعد بن عبدالله الاشعري القمى (ت ٢٩٩) صنف رسالة جامعة في صنوف آيات القرآن ، عثر عليها العلامة المجلسى ، ونقلها متقطعة في موسوعته الكبرى «بحار الانوار» راجع : ج ٩٣ ص ٩٧ .

ومحمد بن خلف بن المرزبان (ت ٣٠٩) «الحاوى في علوم القرآن» ٢٧ جزء . وابو محمد الحسن بن موسى النوبختى (ت ح ٣١٠) . له كتاب «التنزيه وذكر

متشابه القرآن» .

وابوبكر بن ابي داود، عبدالله بن سليمان السجستاني (٢٣٠ - ٣١٦) . له كتاب «المصاحف» و«الناسخ والمنسوخ» . ورسالة في القراءات .

* وفي القرن الرابع، صنف ابوبكر محمد بن الحسن الازدي - المعروف بابن دريد - (ت ٣٢١) كتابه في غريب القرآن . وهو من كبار ادباء الشيعة الامامية، نحوي لغوي معروف .
وابو البركات عبد الرحمان بن ابي سعيد الانباري (ت ٣٢٨) : «البيان في اعراب القرآن» . و«عجائب علوم القرآن» .

وثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩) : «فضائل القرآن» .
وابوبكر محمد بن العزيز السجستاني (ت ٣٣٠) الذي اشتهر بكتابه «غريب القرآن» رتبته على حروف المعجم ، واكماله في ١٥ عاماً .
وابو جعفر احمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨) : «اعراب القرآن» و«الناسخ والمنسوخ» و«معاني القرآن» .

وابو عبدالله محمد بن ابراهيم - المعروف بابن ابي زينب - الكاتب النعماني (ت ح ٣٥٠) صنف رسالة جامعة في صنوف آيات القرآن . نقلها برمتها العلامة المجلسي في بحار الانوار ج ٩٣ . كان خصباً بالكليني ، يكتب له كتاب الكافي .
وابو محمد القصاب محمد بن علي الكرخي (ت ح ٣٦٠) . له «نكت القرآن» .
وابو عبدالله احمد بن محمد بن سيار (ت ٣٦٨) كاتب آل طاهر وصاحب الامامين الهادي والعسكري - عليهما السلام - . له كتاب «ثواب القرآن» و«التنزيل والتحرif»
وابوبكر احمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠) صنف في احكام القرآن ، وهو كتاب كبير طبع في ثلاث مجلدات .

وابو الحسن عباد بن عباس الطالقاني (ت ٣٨٥) - ايضاً - صنف في احكام القرآن . وهو والد الوزير صاحب بن عباد .

ومحمد بن علي الادفوي (ت ٣٨٨) : «الاستغناء» في علوم القرآن ، مئة جزء رآى منها صاحب الطالع السعيد عشرين مجلداً .

والقاضي ابوبكر محمد بن الطبيب الباقلائي (ت ٤٠٣) : «اعجاز القرآن» .

وابوالحسن محمد بن الحسين الشريف الرضى (ت ٤٠٤) : «تلخيص البيان» فى مجازات القرآن ، و «حقائق التأويل» فى متشابه التنزيل ، عثرت مؤسسة منتدى النشر بالنجف الاشرف على الجزء الخامس من هذا الكتاب عام ١٣٥٥ هـ فقامت بتحقيقه ونشره ، فطبع اولاً فى النجف ثم فى بيروت .

وهبة الله بن سلامة (ت ٤١٠) : «الناسخ والمنسوخ» .

* وفى القرن الخامس ، صنف الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣) كتابه فى اعجاز القرآن ، و كتاب «البيان» فى انواع علوم القرآن .

وابو القاسم الحسين بن على الوزير المغربى الشيعى (ت ٤١٨) هو سبط ابن ابى زينب النعمانى ، من اصل فارسى ، كتب «خصائص القرآن» .

وابو الحسن على بن ابراهيم بن سعيد الحوفى (ت ٤٣٠) : «البرهان فى علوم القرآن» .

وذو المجددين ابو القاسم على بن الحسين علم الهدى السيد المرتضى (ت ٤٣٦) صنف «المحكم والمتشابه فى القرآن» .

وابو محمد مكى بن ابي طالب (ت ٤٣٧) : «الكشف عن وجوه القراءات السبع» فى جزئين ، يذكر علل اختلاف القراءات وحججها ، وهواثر لطيف .

وابو عمر والدانى (ت ٤٤٤) : «التيسير» فى القراءات السبع . و «المحكم» فى النقط . و «المقنع» فى رسم مصاحف الامصار .

وابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهرى (ت ٤٥٦) : «الناسخ والمنسوخ» .

وشيوخ الطائفة ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (ت ٤٦٠) . فى مقدمة تفسيره «التبيان» تكلم فى مزعومة التحريف فزيفها ، وعن النهى عن التفسير بالرأى ، وعن حجية ظواهر القرآن ، وعن صنوف معانى القرآن ، وعن ظهر القرآن وبطنه ، وعن محكمه ومتشابهه ، وعن اقسام النسخ الجائز والممتنع ، وعن اسامى القرآن واسامى سورته

وآياته ... ومالي ذلك .

وابوالحسن على بن احمد الواحدى (ت ٤٦٨) : « اسباب النزول » و« فضائل القرآن » .

وابوالقاسم الحسين بن محمد الراغب الاصبهاني (ت ٥٠٢) : « المفردات » فى غريب القرآن . وهو اثر جرد لطيف ، وعبر عنه بعض اساتذة الفن : انه معجزة من معاجز الفن القرآنى .

* وفى القرن السادس ، كتب امين الاسلام ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى (ت ٥٤٨) تفسيره الخالد « مجمع البيان » وجعل فى مقدمته فنوناً سبعة ، بحثاً عن جوانب خطيرة من شؤون القرآن ، على غرار مقدمة التبيان ، مع تنقيح وزيادة .

وابو الفضل حبش بن ابراهيم بن محمد التفلسى (ت ٥٥٨) : « وجوه القرآن » بالفارسية . وقطب الدين ابو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندى (ت ٥٧٣) صنف « فقه القرآن » . قيل : هو اول من صنف فى تفسير آيات الاحكام من علمائنا الامامية . لكن سبقه الى ذلك محمد بن السائب الكلبى ، وعباد بن عباس الطالقانى ، تقدم ذكرهما . وابوالقاسم عبد الرحمان ، المعروف بالسهيلى (ت ٥٨١) الف فى مبهمات القرآن : « التعريف والاعلام بما ابهم فى القرآن من الاسماء والاعلام » .

ورشيد الدين ابو جعفر محمد بن على بن شهر آشوب (ت ٥٨٨) تلميذ القطب الراوندى صنف رسالته الخالدة « متشابهات القرآن ومختلفه » فى جزئين .

وابو محمد القاسم بن فيره الشاطبى امام القراء (ت ٥٩٠) : « حرز الامانى ووجه التهانى » القصيدة المشهورة فى القراءات تعرف بالشاطبية .

وابوالفرج عبد الرحمان بن على ، المعروف بابن الجوزى (ت ٥٩٧) صنف « فنون الافنان فى عجائب علوم القرآن » و « المجتبى فى علوم تتعلق بالقرآن » .

* وفى القرن السابع ، صنف ابو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى (ت ٦١٦) « املاء ما من به الرحمن » فى وجوه الاعراب والقراءات .

و علم الدين على بن محمد السخاوى (ت ٦٤٣) : « جمال القراء وكمال
الاقراء » فى القراءات .

و ابو القاسم تلميذ شرف الدين ابى الحسن على بن المفضل المقدسى (ت ح
٦٥٠) الف رسالة وجيزة تتضمن ماورد فى القرآن من لغات القبائل . وهو اثر لطيف .
طبعت على هامش الجلالين . و لخصها جلال الدين السيوطى فى النوع السابع و
الثلاثين من كتابه « الاتقان » .

وزعم طابع الرسالة انها لابى القاسم بن سلام ، ومن ثم اشتبه فى موضعين ،
الاول : ان ابن سلام هو ابو عبيد القاسم بن سلام . والثانى : ان ابن سلام توفى ٢٢٤ .
مع أن المؤلف يذكر استجازته من على بن المفضل المتوفى ٦١١ . فلا يتقدم عليه
باربعة قرون !

وابن ابى الاصبغ ، عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٥٤) : « بديع القرآن » .
اثر لطيف يشرح انواع البديع الوارد فى آيات القرآن .
وابو محمد عبد العزيز بن عبد السلام - المشهور بالعز- (ت ٦٦٠) كتب فى
مجاز القرآن .

وقدوة العارفين ، رضى الدين ، ابو القاسم على بن موسى بن جعفر بن طاووس
(ت ٦٦٤) صنف كتابه الجامع « سعد السعود » فى مختلف شؤون القرآن وتاريخه
وتفسير مشكله .

وابوشامة شمس الدين عبد الرحمان بن اسماعيل (ت ٦٦٥) : « المرشد الوجيز
فيما يتعلق بالقرآن العزيز » .

ومحمد بن ابى بكر الرازى (ت ٦٦٦) : « اسئلة القرآن المجيد واجوبتها » ،
تحتوى على ١٢٠٠ سؤال وجواب فى غرائب آى التنزيل .

* * *

هذا .. واما التأليف فى علوم القرآن ، بما تحويه هذه الكلمة من معنى شامل ،

فلم يحظ به سوى القرنين : الثامن والتاسع .

✽فى القرن الثامن ، الف الامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (ت ٧٩٤) كتابه القيم « البرهان فى علوم القرآن » . جعله على سبع واربعين نوعاً ، استوعب فيها فنون هذا العلم .

وفى هذا القرن - ايضاً - الف بدر الدين محمد بن ابراهيم ، المعروف بابن جماعة (ت ٧٣٣) كتابه « كشف المعانى عن متشابهات المذاهب » .

وكمال الدين عبد الرحمن بن محمد الحلبي ، المعروف بابن العتائقي (ت ح ٧٧٠) : « الناسخ والمنسوخ » .

و ابو الفداء اسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير (ت ٧٧٤) : « فضائل القرآن » .

✽وفى القرن التاسع ، صنف جلال الدين البلقيني (ت ٨٢٤) كتابه « مواقع العلوم فى مواقع النجوم » على ستة امور ، كل امر يحتوى على انواع تختلف عدداً . ومجموع الانواع خمسون نوعاً .

وفى بدء الامر اخذ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١) من هذا الكتاب اصلاً جامعاً لفنون هذا العلم ، فتقحه و هذبه فى كتاب اسماء « التحبير فى علوم التفسير » فى ٢٠٢ نوعاً . فرغ منه سنة ٨٧٢ هـ .

ثم عثر على كتاب « البرهان » للامام الزركشى فاستحسنه ووجده احسن ما صنف فى هذا الباب ، فصوب اهتمامه الى تنقيحه وتحريره ، فألف عليه كتابه الخالد الحافل بفنون هذا العلم « الاتقان » فى ٨٠ نوعاً ، فكان خاتمة المؤلفات على هذا النمط البديع الجامع ، و لم تسمح القرون المتأخرة بسوى رسائل مختصرة تعالج طرفاً من شؤون القرآن .

وفى هذا القرن - ايضاً - قام الفاضل السيورى ابو عبد الله المقداد بن عبد الله الحلبي الاسدي (ت ٨٢٦) بتأليف « كنز العرفان فى فقه القرآن » .

وابوالخير شمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن الجزرى (ت ٨٣٣) :
«النشر فى القراءات العشر» . و« غاية النهاية » فى طبقات القراء . و« فضائل القرآن » :
و ابوالفضل احمد بن على بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢) : «الاتقان فى
فضائل القرآن» .

❖ وفى القرن العاشر ، صنف القاضى زكريا بن محمد الانصارى (ت ٩٢٦)
كتابه « فتح الرحمان بكشف ما يلتبس فى القرآن » .

وابوسعبد الله جمال الدين محمد بن احمد بن سعيد المكي (ت ٩٣٠)
« الاحسان فى علوم القرآن » .

ومحمد بن يحيى الحلبي التاذفى (ت ٩٦٣) : « القول المذهب » فى بيان ما
فى القرآن من الرومى المعرب . والظاهر أنه اخذه من « المذهب فيما وقع فى القرآن
من المعرب » تأليف جلال الدين السيوطى .

❖ وفى القرن الحاديعشر ، كتب المولى صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازى
(ت ١٠٥٠) رسالته الوجيزة فى متشابهات القرآن ، على ضوء فلسفة الاشراق .
والمولى محسن الفيض الكاشانى (ت ١٠٩١) جعل فى مقدمة تفسيره «الصافى»
١٢ فناً ، بحثاً عن جوانب خطيرة من شؤون القرآن .

والمولى محمد باقر المجلسى (ت ١١١١) خصص من موسوعته الكبرى
« بحار الانوار » - وهى تربو على ١٠٠ مجلد - جزئين بالبحث عن شؤون القرآن
الكريم . هما الجزء : ٩٢ . والقسم الاول من الجزء : ٩٣ . عالج فيهما القضايا القرآنية
على ضوء مذهب اهل البيت - عليهم السلام - ونقد آراء مخالفة .

وضعه على ١٣٠ باباً . و تكلم فى الباب : ١٢٨ فى صنوف آيات القرآن
برواية النعمانى عن امير المؤمنين - عليه السلام - . وفى الباب : ١٢٩ عما ورد من موهم
التناقض فى القرآن بتفصيل ، فى محاوراة وقعت بين بعض الزنادقة وبين الامام امير

المؤمنين - ايضاً- فاجاب عليها باجابات شافية ، يكون الاطلاع عليها ضرورياً .
و السيد هاشم بن سليمان الحسينى البحرانى (ت ١١٠٩) صدر تفسيره « البرهان »
بالتكلم عن طرف من شؤون القرآن فى ١٦ مقدمة .

❖ وفى القرن الثانى عشر، صنف ابن البناء احمد بن محمد الدمياطى (ت ١١١٦) :
« اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الاربعة عشر » .

والمولى ابو الحسن بن محمد طاهر بن عبد الحميد النباطى الفتونى (ت ١١٣٨) :
« مرآة الانوار ومشكاة الاسرار » . جعله على ثلاث مقدمات ، كل مقدمة مشتملة على
مقالات تختلف عدداً ، وتحت كل مقالة فصول باعداد مختلفة ايضاً . ومجموع الفصول
التي تكلم فيها عن شؤون القرآن هى : ٢٥ فصلاً . وفى المقالة الثانية من المقدمة
الثالثة اسهب فى بيان تأويل كلمات جاءت فى القرآن ، رتبها حسب حروف المعجم ،
يربو عددها الالف ومائتى كلمة - ١٢٠٠ - تكلم عن تأويلهن واحدة واحدة . ووضع
خاتمة كتابه على ثمانى فوائد .

والشيخ مصطفى بن عبد الرحمان بن محمد الازميرى (ت ١١٥٥) : « بدائع
البرهان فى وصف حروف القرآن » .

والحسن بن على بن احمد المنطاوى (ت ١١٧٠) : « اتحاف فضلاء الامة »
فى القراءات السبع .

والشيخ عطية الأجهورى (ت ١١٩٠) : « ارشاد الرحمان » فى اسباب النزول
والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه واصول علم التجويد .

و الوحيد البهبهانى المولى محمد باقر بن محمد اكمل ، المعروف بالاستاذ
الاكبر (ت ١٢٠٦) صنف رسالته التحقيقية بشأن « حجية ظواهر الكتاب » .

❖ وفى القرن الثالث عشر، الف المولى محمد جعفر بن سيف الدين الاسترابادى
(ت ١٢٦٣) : « حل مشاكل القرآن » .

واستاذ المتأخرين المولى مرتضى بن محمد امين الانصارى التستري

(ت ١٢٨١) :رسالة فى حجية ظواهر الكتاب .

والمولى محمد تقى الهروى الاصبهانى (ت ١٢٩٩) : « خلاصة البيان فى حل مشكلات القرآن » .

و الميرزا محمد بن سليمان التنكابنى (ت ١٣٠٢) : « حجية القراءات السبع » و « حجية ظواهر الكتاب » .

و المولى محمد تقى بن محمد حسين الكاشانى (ت ح ١٣١٦) : « ايضاح المشتبهات » فى تفسير مشكل القرآن .

« وفى القرن الاخير ، اقبل كثير من العلماء على تأليف كتب ورسائل حول تاريخ القرآن وعلومه وسائر شؤونه :

فألف السيد احمد حسين بن رحيم على الامروهى (ت ١٣٢٨) : «مناهج العرفان فى علوم القرآن» .

والشيخ محمد على سلامة : «منهج الفرقان فى علوم القرآن» .

ومحمد غوث النائطى الاوكاتى : «نثر المرجان فى رسم القرآن» فى سبع مجلدات . والاستاذ محمد عبدالعظيم الزرقانى : «مناهل العرفان فى علوم القرآن» .

والمولى المحقق حيدر قلى بن نور محمد المعروف بسر دار كابللى : « تحفة

الاحباب» فى بيان آى القرآن وسوره والمكى والمدنى وغيرها .

والدكتور محمد عبدالله دراز : «النبأ العظيم» نظرات جديدة فى القرآن .

والاستاذ محمد الغزالى : «نظرات فى القرآن» .

والاستاذ المحقق الشيخ ابو عبدالله الزنجانى : «تاريخ القرآن» .

والاستاذ مصطفى صادق الرافعى : «اعجاز القرآن»

والشيخ خليل ياسين العاملى : «اضواء على متشابهات القرآن» يحتوى على

١٦٠٠ سؤال وجواب .

والدكتور صبحى الصالح : «مباحث فى علوم القرآن» .

والاستاذ سيد قطب : «التصوير الفنى فى القرآن» و«مشاهد القيامة فى القرآن» .

والامام المجاهد العلامة الشيخ محمد جواد البلاغى ، جعل فى صدر تفسيره «آلاء الرحمن» مقدمة منيفة تحتوى على اهم المباحث القرآنية ، واتى فيها بنظرات مستجدة يكون الاطلاع عليها ضرورياً . وطبعت هذه المقدمة - ايضاً - مع تفسير السيد هبة الله شبر المطبوع بمصر اخيراً .

والمرجع الدينى الاكبر سماحة سيدنا الاستاذ الامام الخوئى - دام ظله - وضع فى مقدمة تفسيره «البيان» فصلاً مسهباً حقق فيها عن جوانب خطيرة من شؤون القرآن ، لها قيمتها واثرها الكبير فى الاوساط العلمية الراهنة ، لا يستغنى الباحث عن مراجعتها . وفضيلة العلامة الكبير السيد محمد حسين الطباطبائى - دام بقاءه - : « قرآن دراسلام » بحث حافل باهم المسائل القرآنية . فضلاً عن ابحاث زان بها تفسيره القيم «الميزان» .

هذا .. غيض من فيض .. ولم اكن تفصيت الكتب المصنفة فى علوم القرآن بصورة شاملة ، سوى الغالبية المعروفة . الامر الذى يكفى لابداء مابذله علماؤنا الاعلام من جهود جبارة حول تحقيق هذا الكتاب المقدس الخالد ، ومدى اهتمامهم البالغ بشأنه العزيز ، شكر الله مساعيهم الجميلة ، وافاض عليهم سجال رحمته الواسعة ، آمين .



ومنذ القرن الثانى عشر ، واكب علماء الافرنج علماء الاسلام فى البحث والتنقيب عن شؤون القرآن بنواح شتى ، فبدأوا يبحثون عن تاريخه ، وعن الكتب المؤلفة فيه ، وعن تفسيره وما شبه ذلك . وحوالى منتصف القرن الرابع عشر قامت ألمانيا بعمل عظيم محمود ، ذلك ان المجمع العلمى فى مونيخ بألمانيا عنى عناية خاصة بالقرآن الكريم ، وجمع كل مايمكن الحصول عليه من المصادر الخاصة بالقرآن وعلومه . وادلى هذا الامر الى الاستاذ «برجشتراسر» الذى كان قد بدأ بالعمل فى حياته ، فلما توفى سنة ١٩٣٥ : ١٩٣٣ م عهد المجمع بالسيرة فى هذا المشروع الى العالم

« اوتو پرتيزل » استاذ اللغة العربية فى مونيخ . وهذا الاستاذ كتب الى المجمع العلمى العربى فى دمشق كتاباً يقول فيه :

« ولقد نوينا تسهيلاً لمحبي الاطلاع ان ندون كل آية من القرآن الكريم فى لوحة خاصة تحوى مختلف الرسم الذى وقفنا عليه فى مختلف المصاحف مع بيان القراءات المختلفة التى عثرنا عليها فى المتون المتنوعة ، ومتبوعة بالتفسير العديدة التى ظهرت على مدى العصور وتوالى القرون » .

وأخذ فى نشر أهم الكتب المؤلفة فى القرآن ، ككتاب « التيسير » فى القراءات السبع ، لابي عمرو الدانى . وكتاب « المقنع » فى رسم مصاحف الامصار ، مع كتاب « النقط » ايضاً له . وكتاب « مختصر الشواذ » لابن خالويه . وكتاب « المحتسب » لابن جنى . وكتاب « غاية النهاية » فى طبقات القراء ، لشمس الدين ابن الجزرى . وكتاب « معانى القرآن » للفرأ . ورسالة فى تاريخ علوم القرآن باللغة الالمانية . وهى تحتوى على اسماء المؤلفات فى علوم القرآن الموجودة فى الافاق ، ودور الكتب فى العالم . ادلى بهذه المعلومات فضيلة الاستاذ الشيخ ابو عبدالله الزنجانى فى كتابه الوجيز « تاريخ القرآن » وكان عضواً فى المجمع العلمى العربى بدمشق .

غير ان الشعلة التى كادت تتوهج وتتوسع ، فاجأها الانطفاء المرير ، على اثر اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية القاسية ، على يد آلمانيا نفسها - ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م - فباله من أسف .

* * *

وكنت منذ تعلمت القراءة مشغولاً بدراسة شؤون القرآن الكريم ومطالعة الكتب المصنفة فى مختلف جوانبه المتنوعة . وكنت اجد من ذلك متعة ولذة فائقة ، حتى خضت عباها واذاهى ضرورة اسلامية ملحة ، لابد لكل مسلم ان يتعرف اليها ان كان يريد التحقق من اقوى دعامة لهذا الدين الحنيف . فقامت أدرس من شؤونها بدقة وامعان ، واسجل من مطالعاتى لقطات امانقداً فيما شككت فى صحته ، او اعجاباً

بما استطرفته من موضوع .

والان - وبعد سنين - اجتمعت لدى من تلکم المذكرات عدد ضخيم وفي حجم كبير ، فجعلت اربتها وانظمها ، واذاهي تصلح لتأليف كتاب يحتوى على ابواب وفصول في متنوع البحوث القرآنية فاسميته «التمهيد» ،لانى جعلت من هذه الابحاث كمقدمة لتفسيرى «الوسيط» . واسأله تعالى ان يوفقنى لاتمامه ،ولان اكون قد خدمت جيلى المسلم بنظرات مستجدة حول القرآن الكريم ،ربما لايجدها الباحث فى موسوعة سواء ، او يصعب عليه تناولها ، وهى فى مطاوى كتب ذوات احجام كبيرة او بعيدة عن تناول العموم .

و الذى شد من عزمى على انجاز هذا الاثر المتواضع ، انى لمست فراغاً فى مكتبة الطائفة فى عهدنا الحاضر - وقد كانت غنية قبل اليوم - فيما يخص جانب البحوث القرآنية مستوفاة . ما عدى بحوث قليلة عالجت طرفاً من شؤون القرآن الكريم ، و بقيت الجوانب الاخر - وهى كثيرة - قابضة فى زاوية الخمول ، لايجدها الباحث اذا ما حاول التطلع على رأى الطائفة فى ضوء مذهب اهل البيت - عليهم السلام - . ومن ثم جعلت اتبع الاثار والاراء وانقدها نقداً موضوعياً ، عرضاً على نصوص تاريخية ثابتة وروايات متواترة او محفوفة بقرائن قطعية .

و سيبدو من خلال بحوثنا الاتية مدى انحرافات اودت بكثير من ائمة النقد و التمهيد ، مغبة تسرعهم فى بت الامر او عصبيتهم لمذهب او طريقة خاصة فى تحقيق الاراء والاثار . فلم افرغ من مسألة الا و كنت مطمئناً من صحتها ومستوثقاً من اصلتها مبلغ جهدى الذى بذلت فيها حسب المستطاع .

كما ولم اغفل - مدة بقائى فى النجف الاشرف (١٣٧٩-١٣٩١هـ) ، وبعد المهجرة الى مدينة قسم المقدسة (نهاية عام ١٣٩١) - من القاء محاضرات جامعية على طلبة المعاهد الدينية العالية . و افساح المجال لهم فى المناقشة و التساؤل ، تحقيقاً لغاية التثبت الكامل فيما استجدته من نظريات ، وتحكيمياً لمتفق الاراء المتنورة فى كل

مسألة هزمت البت فيها قطعياً .

ولنفس الغاية كنت - احبانا - اقوم بنشر كراسات استعرض عليها بحوثاً قرآنية كانت كنماذج عن مباحث مسهبة ، ألخص فيها من آراء ومناقشات ، لاستلفت انظار زملائي الافاضل ، تجاوباً مع افكارهم الثمينة ، وتفاهماً معهم على صعيد النقد والنزيه و من ثم اقدم لهم شكري الجزيل و تقديري المتواصل لهذا التجاوب الودى الكريم .

كما واشكر فضيلة الثقة الجليل السيد عبدالرسول «مجيدى» الذى اهتم بكل وسعه فى اخراج هذا الاثر الى عالم الطباعة والنشر .

وهكذا أقدر جهود المحسن البار الوجيه الحاج اكبر آقا «پور كاظمى» الاصفهانى الذى قام بنفقة الطبع من خالص ماله الطيب ، ليكون ذخراً له يوم لا ينفع مال و لابنون الامن اتى الله بقلب سليم . فجزاهما الله عن القرآن خير جزاء .
و فى الختام ابتهل الى الله العلى القدير ان يمن علينا - جميعاً - بعميم فضله ، و يوفقنا لانجاز خدمات دينية خالصة لوجهه الكريم ، وان يجعلنا ممن ينتصربه لدينه صالحين . آمين رب العالمين .

رجب الاصب ١٣٩٦ هـ قم المقدسة - محمد هادى معرفة

الْوَحْيُ وَالْقُرْآنُ

٢-١

١ - ظاهرة الوحي

- * الوحي في اللغة .
- * الوحي في القرآن .
- * الوحي الرسالي .
- * امكان الوحي .
- * جانب روحانية الانسان .
- * براهين تثبت وجود النفس .
- * الوحي عند فلاسفة الغرب .
- * انحاء الوحي الرسالي .
- * موقف النبي ﷺ من الوحي .
- * النبوة مقرونة بدلائل نيرة .
- * قصة ورقة بن نوفل .
- * الوحي لا يحتمل التباساً .
- * اسطورة الغرائيق .

الوحى فى اللغة :

الوحى : اعلام سريع خفى ، سواء أ كان بايماءة أو همسة او كتابة فى سر ، وكل ما لقيته الى غيرك فى سرعة خاطفة حتى فهمه فهو وحى ، قال الشاعر :

نظرت اليها نظرة فتحيث دقائق فكرى فى بديع صفاتها
فاوحى اليها الطرف انى احبها فأثر ذاك الوحى فى وجناتها

وقال تعالى عن زكريا عَلَيْهِ السَّلَام : «فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشياً» (١) اى اشار اليهم على سبيل الرمز والايماء .

قال الراغب : اصل الوحى ، الاشارة السريعة ، و لتضمن السرعة قيل : امر وحى اى سريع . وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض ، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب ، وباشارة ببعض الجوارح ، وبالكتابة (٢) .

وقال ابن فارس : «و ، ح ، ي» اصل يدل على القاء علم فى اخفاء او غيره ، والوحى : الاشارة . والوحى : الكتاب والرسالة . وكل ما لقيته الى غيرك حتى علمه فهو وحى ، كيف كان (٣) .

١- سورة مريم : ١١

٢- المفردات ص ٥١٥

٣- معجم مقاييس اللغة ج ٦ ص ٩٣

ولعل هذا التعميم فى مفهوم الوحى - عند ابن فارس - كان فى اصل وضعه ،
غير ان الاستعمال جاء فيما كان خفياً :
قال ابواسحاق : اصل الوحى فى اللغة كلها : اعلام فى خفاء ، ولذلك سمي
الالهام وحياً .

وقال ابن برى : وحى اليه ووحى : كلمه بكلام يخفيه من غيره . ووحى ووحى :
اوماً . قال الشاعر :

فاوحت الينا والانامل رسلها (١) اى اشارت بأناملها

ولعل الخفاء فى مفهوم الوحى جاء من قبل اعتبار السرعة فيه ، فالإيماء السريعة
تخفى - طبعاً - على غير المومى اليه . يقال : موت وحى اى سريع . ومنه «الوفا
الوفا» اى البدار البدار ، يقال ذلك عند الاستعجال . ومنه الحديث : «وان كانت
خيراً فتوحه» اى اسرع اليه . قال ابن الاثير : والهاء للسكت (٢) .

قال الزمخشري : ووحى اليه واومى بمعنى . ووحى اليه ووحى : اذا كلمته
بما تخفيه عن غيره . وتوحى اى اسرع ، قال الاعشى :

مثل ربح المسك ذاك ريحها صبها الساقى اذا قيل : توح (٣)

الوحى فى القرآن :

و استعمله القرآن فى معانى ثلاث ماعدا الوحى الرسالى الاتى :

١- نفس المعنى اللغوى : الإيماء الخفية . وقدم فى آية مريم .

٢- تركيز غريزى فطرى ، وهو تكوين طبيعى مجعول فى جبلة الاشياء ، استعارة

١- لسان العرب : ابن منظور .

٢- النهاية ج ٥ ص ١٦٣

٣- اساس البلاغة ج ٢ ص ٢٩٦

من اعلام قولى لاعلام ذاتى ، بجامع الخفاء فى كيفية اللقاء والتلقى ، فيما ان الوحي اعلام سرى ، ناسب استعارته لكل شعور باطنى فطرى . ومنه قوله تعالى : «واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات ، فاسلكى سبل ربك ذللاً» (١) فهى تنتهج وفق فطرتها ، وتستوحى من باطن غريزتها ، مذلة لما ودع فيها من غريزة العمل المنتظم ، ومن ثم فهى لاتحيد عن تلك السبل . ومن ذلك ايضاً قوله تعالى : «واوحى فى كل سماء امرها» (٢) اى قدر . وقد استوحى العجاج هذا المعنى من القرآن فى قوله :

اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت (٣)

٣ - الهام نفسى ، وهو شعور فى الباطن ، يحس به الانسان احساساً يخفى عليه مصدره احياناً ، واحياناً يلهم انه من الله . وقد يكون من غيره تعالى . وهذا المعنى هو المعروف عند الروحانيين بظاهرة التلبائى : «التخاطر من بعيد» وهو خطور باطنى آنى لا يعرف مصدره . قالوا : انها فكرة تنتقل من ذهن انسان الى آخر ، والمسافة بينهما شاسعة . او لقاء روحى ، من قبل ارواح عالية اوسافلة (٤) وقيل : انها فكرة رحمانية توحىها الملائكة ، تنفثها فى روع انسان يريد الله هدايته ، او وسوسة شيطانية تلقىها ابالسة الجن لغرض غوايته .

* * *

ومن الالهام الرحمانى قوله تعالى : واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزننى ان ارادوه اليك وجاعلوه من المرسلين» (٥) قال

١- سورة النحل : ٦٨

٢- سورة فصلت : ١٢

٣- لسان العرب : ابن منظور

٤- راجع : رؤوف عبيد ، مفصل الانسان روح لاجسد ، ج ١ ص ٥٢٢

٥- سورة القصص : ٧

الازهرى : الوحي هنا : اللقاء الله في قلبها . قال : وما بعد هذا يدل - والله اعلم- على انه وحي من الله على جهة الاعلام ، للضمان لها «انارادوه اليك» . وقيل : ان معنى الوحي هنا : الالهام . قال : وجائز ان يلقي الله في قلبها انه مردود اليها وانه يكون مرسلا . ولكن الاعلام ابين في معنى الوحي هنا (١) .

والشيخ المفيد - قدس سره - اخذ الوحي هنا بمعنى الاعلام الخفى ، في كتابه «اوائل المقالات» . لكنه في كتابه «تصحيح الاعتقاد» جعله بمعنى رؤيا او كلام سمعته ام موسى في المنام . وقال - بصدد ايضاح معنى الوحي - : اصل الوحي هو الكلام الخفى ، ثم قد يطلق على كل شيء قصد به افهام المخاطب على السر له عن غيره (٢) . واما التعبير بالوحي عن وسواس الشيطان وتسويله خواطر الشر والفساد ، فجاء في قوله تعالى : «وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الجن والانس ، يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً» (٣) . وقال : «وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم» (٤) ويفسر قوله : «من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس» (٥) .

كما جاء التعبير عما يلقيه الله الى الملائكة من امره ليفعلوه من فورهم ، بالوحي ايضاً في قوله تعالى : «اذيحي ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا» (٦) .

و اما التعبير بالوحي عما يلقيه الله الى نبي من انبيائه بواسطة ملك اوغير

١- لسان العرب : ابن منظور

٢- راجع : اوائل المقالات ص ٣٩ وتصحيح الاعتقاد ص ٥٦

٣- سورة الانعام : ١١٢

٤- سورة الانعام : ١٢١

٥- سورة الناس : ٥

٦- سورة الانفال : ١٢

واسطة لاجل تبليغ رسالة الله ، فهو معنى رابع استعمله القرآن وهو موضوع بحثنا في الفصل التالي .

الوحي الرسالي :

الوحي الرسالي ، معنى رابع استعمله القرآن في اكثر من سبعين موضعاً ، معبراً عن القرآن ايضاً بـ «انه وحى القى على النبي - صلى الله عليه وآله - : «نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن» (١) . «وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربياً لئنذر ام القرى ومن حولها» (٢) . «واتل ما وحي اليك من الكتاب» (٣) . وظاهرة الوحي بشأن رسالة الله ، هي اولى سمات الانبياء ، امتازوا بها على سائر الزعماء والمصلحين اصحاب العقرات الملهمين . ولم يكن النبي محمد ﷺ بدءاً من الرسل في هذا الاختصاص النبوي ، ولا اول من خاطب الناس باسم الوحي السماوي ، ومن ثم فلا عجب في هذا الاصطفاء مادام ركب البشرية منذ بداية سيرها لم تنزل يرافقتها رجال اصلاحيون يهتفون بهذا النداء الروحي ، ويدعون الى الله باسم الوحي وتبليغ رسالة الله :

«أكان للناس عجباً ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر السدين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون : ان هذا الساحر مبين» (٤) . ودفعاً لهذا الاستنكار الغريب قال : «انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده . واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتيناه داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من

١ - سورة يوسف : ٣

٢ - سورة الشورى : ٧

٣ - سورة العنكبوت : ٤٥

٤ - سورة يونس : ٢

قبل ورسلا لم نقصصهم عليك و كلم الله موسى تكليماً . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً . لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً . ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيداً» (١) .

والوحي الرسالي لا يعدو مفهومه اللغوي بكثير ، بعد ان كان اعلماً خفياً ، وهو اتصال غيبي بين الله ورسوله ، يتحقق على انحاء ثلاثة ، كما جاءت في الاية الكريمة : «وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً . او من وراء حجاب . او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء . انه على حكيم» (٢) .

فالصورة الاولى : اللقاء في القلب ونفث في الروح . والثانية : تكليم من وراء حجاب ، بخلق الصوت في الهواء بما يقرع مسامع النبي ﷺ ولا يرى شخص المتكلم . والثالثة : ارسال ملك الوحي فيبلغه الى النبي ، اما عيانا يراه ، او لا يراه ولكن يستمع الى رسالته .

اذن فالفارق بين الوحي الرسالي و سائر الايحاءات المعروفة ، هو جانب مصدره الغيبي اتصالاً بما وراء المادة . فهو ايحاء من عالم فوق ، الامر الذي دعى باولئك الذين لا يروقهم الاعتراف بما سوى هذا الاحساس المادي ، ان يجعلوا من الوحي الرسالي سبيلاً الى الانكار ، او تأويله الى وجدان باطني ينتشي من عبقرية واجده . وسنبحث عن ذلك في فصل قادم .

١ - سورة النساء : ١٦٧

٢ - سورة الشورى : ٥١

امكان الوحي :

قد يتشبه البعض - ذريعة لانكار النبوات - بتباعد ما بين العالم العلوى والعالم السفلى ، ذاك متشعشع روى لطيف . وهذا متكدر مادي كئيف . واذا لا واسطة بين الجانبين ، فلا علة تربط احد العالمين بالآخر . هذه شبهة من يرى من عالم الدنيا مادي محضاً ، لا تناسب بينه وبين عالم الملكوت الاعلى .

لكن اذا ما عرفنا من هذا الانسان وجوداً برزخياً ذا جانبين ، هو من احدهما جسماني كئيف ، وفيه خصائص المادة السفلى . ومن جانبه الآخر روحاني لطيف ، وهو ملكوتي رفيع ، لم يكن موقع لهذه الشبهة رأساً :

الانسان وراء شخصيته هذه الظاهرة ، شخصية اخرى باطنة ، هي التي تؤهله - احياناً - للارتباط مع عالم روحاني اعلا ، اذ كان مبدؤه منه واليه منتهاه : «انا لله وانا اليه راجعون» (١) هذا هو واقع الانسان الحقيقي ، ذو التركيب المزدوج من روح وجسم ، ومن ثم فهو برزخ بين عالمي المادة وما وراء المادة ، فمن جهة هو مرتبط بالسماء ومن اخرى مستوئق بالارض . قال تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علة . فخلقنا العلة مضغة .

فخلقنا المضغفة عظاماً . فكسونا العظام لحماً» الى هنا تكتمل خلقة الانسان المادية ،
ثم يقول : «ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين » (١) . وهذا الخلق
الآخر هو وجود الانسان الروحي ، وهو وجوده الاصيل . الذى اشارت اليه آية اخرى :
«وبدء خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه
من روحه» (٢) . قال الامام الصادق عليه السلام : «ان الله خلق خلقاً وخلق روحاً . ثم امر ملكاً
فنفخ فيه . . . » (٣) . فهذا هو الانسان ، مخلوق متركب من جسم هو مادي ، وروح
هو لا مادي ، فوجوده المادي خلق ، ووجوده اللامادي خلق آخر . ووجوده هذا
الآخر يستأهل الاتصال بالملاء الاعلى ، لا بوجوده ذاك المادي الكثيف .

* * *

نعم جاءت فكرة انكار الوحي ، نتيجة للنظرة المادية البهتة الى هذا الانسان ،
وهي نظرة قاصرة بشأن الانسان ، سادت اوروبا في عصر نشوء الفكرة المادية عن
الحياة ، والتي جعلت تتقدم وتتوسع كلما تقدمت العلوم الصناعية في القرنين الثامن عشر
والثاسع عشر ، واخذت المقاييس المعنوية في الحياة تتدهور تراجعاً الى الوراء .
وكادت الموجة تطبق العالم اجمع ، لولا ان انتهضت الفكرة الروحية في امريكا
ومنها سرت الى اوروبا كلها فجعلت مسألة الوحي تحيي من جديد .

قال الاستاد وجدى : كان الغربيون الى القرن السادس عشر كجميع الامم
المتدينة يقولون بالوحي ، وكانت كتبهم مشحونة باخبار الانبياء ، فلما جاء العلم
الجديد بشكوكه وماديته ، ذهب الفلاسفة الغربية الى ان مسألة الوحي ، هي من بقايا
المخرفات القديمة ، وتغالت حتى انكرت الخالق والروح معاً ، وعللت ماورد عن
الوحي في الكتب القديمة بـأنه اما اختلاق من المتنبأ انفسهم لجذب الناس اليهم

١- سورة المؤمن : ١٦

٢- سورة السجدة : ٩

٣- بحار الانوار ج ١٦ ص ٣٢

وتسخيرهم لمشيئتهم ، واما هذان مرضى يعترى بعض العصبيين ، فيخيل اليهم أنهم يرون اشباحاً تكلمهم وهم لا يرون فى الواقع شيئاً .

راج هذا التعليل فى العالم الغربى ، حتى صار مذهب العلم الرسمى . فلما ظهرت آية الروح فى امريكا سنة ١٨٤٦ م وسرت منها الى اروبا كلها ، واثبت الناس بدليل محسوس وجود عالم روحانى آهل بالعقول الكبيرة و الافكار الثاقبة ، تغير وجه النظر فى المسائل الروحانية ، وحيث مسألة الوحي بعدان كانت فى عداد الاضاليل القديمة . واعاد العلماء البحث فيها على قاعدة العلم التجريبي المقرر ، لاعلى اسلوب التقليد الدينى ، ولامن طريق الضرب فى مهام الخيالات ، فتأدوا الى نتائج ، وان كانت غير ماقوره علماء الدين الاسلامى ، الا انها خطوة كبيرة فى سبيل اثبات امر عظيم كان قد احيل الى عالم الامور الخرافية (١) .

جانب روحانية الانسان :

قلنا : ان موجة الحادية لم تطل غير قرنين ، كادت تطبق العالم المتمدن ، لولا ان قام فى وجهها واقع الامر ، الذى تجلى اخيراً على محبى العلم ، فانقاد له العلماء المحققون اجمع ، ومن ثم اندحرت تلك الفكرة الالحادية ، وتراجعت القهقرى تراجعاً مع الابد .

غير اننا نجد انفسنا فى ضرورة النظر الى ادلة اقامها فلاسفة قدماء ومحدثون ، بشأن اثبات النفس ، اى وجود الانسان الباطن ، ليكون هذا الانسان مزدوج الشخصية : روحاً وجسداً ، وليكون هذا الاخير آلة لارادية ، يسيرها وجود الانسان الباطنى ، الذى هو وجود الانسان الحقيقى الاصيل . وهذه النظرة المزدوجة الى الانسان كانت ولا تزال هى الفكرة السائدة عن الحياة ، فى الاوساط المتدينة فى العالم القديم ، وتواصلت فى سيرها حتى حييت معالمها من جديد ، وكانت الاديان السماوية كلها تؤيدها ايضاً

وتجعلها الاساس لجميع تعاليمها وبرامجها فى التشريع والعبادات .
واليك بعض البراهين الفلسفية اولا مما اقامها فلاسفة اسلاميون . وهى كثيرة
ومتنوعة ، اخترنا لك مايلى ، ثم نعقبها بادلة حديثة جاء بها العلم التجريبي الحديث .

براهين فلسفية لاثبات النفس :

جاءت الفلسفة العقلية بادلة ضافية ، تثبت وجود النفس بصورة واضحة ، تكلم
عنها الشيخ ابو على ابن سينا فى كتابيه «الشفاء» و «الاشارات» . ثم تكلم عنها غيره
من فلاسفة اسلاميين ، كابن رشد . ونصير الدين . والرازى . والنيسابورى . وابن
حزم . وصدر المتألهين . والحكيم السيزوارى ، واخيراً سيدنا الطباطبائى . وغيرهم
كثيرون . واليك منها :

١ - الانسان فى كينونة ذاته:

لهذا الانسان وجود باطن ، يدعى بالنفس ، هو الذى يشكل كينونته الذاتية
الثابتة ، ويكون وجوده الاصيل الحقيقى ، والذى لا يتغير مهما تغير هذا الجسد
الظاهر . وهذا ما يجده كل انسان من ذاته انه شىء وراء هذا الجسد . وتوضيحاً لهذا
الجانب من وجود الانسان الحقيقى نستوضح مايلى :

* اننا نجد فى كياننا الذاتى شيئاً نعبّر عنه بـ «انا» ، لا يمكننا التعبير عنه بغير هذا
اللفظ ، كما لانستطيع التعبير بهذا اللفظ عن اى شىء سواه فى وجودنا .
حينما نقول : « انا » نقصد من انفسنا وجوداً باطناً هو الذى يشكل كينونتنا
الذاتية ، لاشىء آخر سواه ، فلانعبّر عن اى جارحة من جوارحنا او اى عضو من اعضاءنا
الجسدية ، بـ «انا» سواء اكانت اعضاء داخلية كالقلب والكبد والمخ والمعدة وامثالها ،
او كانت اعضاء خارجية كالرأس واليد والرجل والبطن وامثالها كل ذلك لا يصح
التعبير عنه بـ «انا» بل ولا عن الجسم كله .

نعم عند ما نريد النفس والذات - وهو وجود باطن حقيقى اصيل - نقول: انا.

فالانسان فى كينونة ذاته وجود آخر غير وجوده الجسدى الظاهر .

* الانسان يسند جميع ما فى وجوده الجسدى - سواء كان خارجى ام داخلى - الى نفسه ، فيقول : رأسى . يدى . رجلى . قلبى . مخى . بدنى . وهذا «المضاف اليه» فى جميع ذلك ، شىء وراء تلك «المضافات» كلها . الامر الذى يدل على تباين ما بين الجسد وذلك الوجود الحقيقى الاصيل المنسوب اليه تلكم الاشياء .

واما اضافة النفس او الروح الى الذات : «نفسى» . «روحى» فهى من اضافة الشىء الى نفسه كما فى «ذاتى» بشهادة الوجدان بعدم فهم تغاير ما بين المضاف والمضاف اليه فى ذلك ، على عكسها فى اضافة اعضاء الجسد الى النفس .

* الانسان ينسب جميع افعاله وتصرفاته وهكذا جميع حالاته وصفاته الى نفسه ، يقول : تكلمت ، تعلمت ، اعطيت ، اخذت ، سافرت ، ذهبت ، بعثت ، اشترت ...

لا يريد بذلك اسنادها الى شىء من جوارحه : لا يريد ان لسانه هو الذى تكلم . او قلبه هو الذى تعلم . او يده هى التى اعطت او اخذت . او رجله هى التى مشت او ذهبت ... وانما يريد انه بذاته فعل هذه الامور ، وكانت جوارحه آلات توصل بها الى مآربه وحاجاته .

فكل احد يجد من نفسه وجوداً - وراء هذه الاعضاء الجسدية - هو الذى يفعل ويتصرف وينسب اليه جميع حالاته وتقلباته .

* انا نوجه الخطاب او التكليف ، وكل ما يستتبعه من مدح او ذم او تحسين او تقبيح ، وكذا كل امر او نهى او بيعت او زجر ، الى الانسان ، لا نريد به جسده ولا شيئاً من اعضاءه وجوارحه . وانما نريد بذلك ذاته ونفسه ، وهو المقصود بقولنا : «انت» لاشىء آخر .

ونتساءل : من المخاطب بقولنا : انت ؟ . ومن المأمور او المنهى عندما نأمر

او نزجر ؟ ، ومن الموجه اليه المدح او القدح ؟

لاشك انه وجود الانسان الحقيقي الثابت وهو ذاته ونفسه ، ليس الا .
 * ان فى وجود هذا الانسان شيئاً لا يغفل عنه ابداً . وماعداه فانه قد يغفل عنه
 احياناً . الانسان قد يغفل عن جسده وعن كل ما يتعلق بجسده من اعضاء وجوارح داخلية
 وخارجية ، لكنه لا يستطيع الغفلة عن ذاته هو . فذاته متمثلة لديه فى جميع حالاته
 وتقلباته . فوجود الانسان الحقيقي هو ذاته - الذى لا يغفل عنه ابداً - لاجسده ولا اعضاءه
 - مما يغفل عنه احياناً - لان الذات - وهو حقيقة الشيء - هو الذى لا يغفل عنه . واما
 الذى يغفل عنه فيبدو انه ليس من الذات الاصيل .
 الامر الذى يدل على ان وجود الانسان الحقيقي شىء وراء الجسد ، وهو ذاته
 ونفسه ، لاشىء فى وجود الانسان يمكن التعبير عنه بالذات او النفس سوى الروح ، فهو
 وجود الانسان الحقيقي الاصيل .

٢- الانسان فى صفاته وغرائزه :

الانسان يملك صفات وغرائز هى ثابتة له او تبقى له طول الحياة ، كما ان له
 صفات وحالات تتغير حسب تغير الاوضاع والاحوال . وان صفاته الثابتة الغريزية
 صفات قائمة بنفسه ومن ثم فهى باقية مدى الحياة . وأما صفاته المتبدلة - وتسمى
 بعوارض - فهى قائمة بجسمه ، ومن ثم فهى متغيرة ، الامر الذى يدل على جانبين من
 وجود هذا الانسان ، وتوضيحا لهذا الفرق بين نوعين من صفاته نشرح النقاط التالية:
 * لاشك ان هذا الجسد ، بما فيه من اجهزة وغدد وتلافيف واعصاب وعروق،
 وحتى العظام والغضاريف ، فى تغير وتبدل دائم - ظاهرة الاحراق والتعويض -
 وقد قيل : ان جسم الانسان يتبدل كلياً فى كل سبع سنوات .
 وهذا التغير المستمر فى جسم الانسان يستدعى - طبعاً - تبديلاً فى صفات وحالات
 قائمة بهذا الجسم . امثال الصحة والمرض والسمن والهزال والقوة والضعف
 والطفولة والشباب والكهولة والهرم .

لكن الانسان يملك الى جانب هذه الصفات والاحوال المتغيرة . صفات وعرائز ثابتة ، لا يعرضها اى تغير او تبدل رغم تبدل الجسم وتغيره ، وهى صفات الحب والبغض والرغبة والرغبة ، وملكات الكرم والبخل ، والشجاعة والجبن ، والسماحة والحسد ، وماشا كلها من صفات ذاتية لا ترتبط مع الجسم اى ارتباط .

اذن فما هو المحل القائم به هذه الصفات الراسخة ؟

لاشى يصلح محلها سوى النفس «الروح» !

وهنا اعتراض معروف نتعرض له فى الفصل القادم . (١) .

* الانسان لايزال ينمو وتستحكم قواه الجسدية الى حدمعين ، ثم يقف فى مستو واحد ، ومن بعده يأخذ فى الهبوط والانتكاس تدريجياً ، فهو الى العقد الثالث من عمره - تقريباً آخذ فى النمو الجسدى ، والى العقد الخامس هو على مستو واحد ، وبعده يأخذ فى ضعف تدريجى . حتى اذا طعن فى السن يتسرع هبوطه ضعفاً فوق ضعف . «الله الذى خلقكم من ضعف . ثم جعل من بعد ضعف قوة . ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة . يخلق ما يشاء وهو العليم القدير» (٢) .

هذه طبيعة الانسان الجسدية . واما حياته العقلية فلا تتساق مع ظاهرة الجسم فى سرعة التبدل والتغير ، فهو لايزال ينمو فى قواه العقلية وتزداد حيوية ونشاطاً عبر العقود الخمسة من عمره ، فبينما الجسم آخذ فى الهبوط التدريجى منذ العقد الرابع ، واذا بالجانب العقلى من الانسان بعد ، مستمر فى طريقه الى الكمال ، الامر الذى يدلنا على ان وجود الانسان جانبين ، هو من أحدهما آخذ فى الهبوط ومن الاخر آخذ فى الصعود ، ذاك سائر فى الاكتمال ، وهذا راجع فى طريقه الى الانتكاس .

* قديحصل نقص فى عضو او اعضاء من جسد الانسان ، فيصبح الجسم ناقصاً لامحالة ، لكن هذا النقص الجسدى لا يؤثر نقصاً فى ذات الانسان ، فهو هو بعد ،

١- فى ذيل الدليل الثانى من الادلة الحديثة الاية.

٢- سورة الروم : ٥٤

على كماله الانساني الاول ، ليس الانسان الذى فقد رجله او يده او عضواً آخره ن جسده خارجياً كان ام داخلياً ، انساناً ناقصاً فى انسانيته ، وان كان ناقصاً فى هيكله الجسدى ، ومن هنا نعرف ان فى وجود الانسان شيئين : روحاً وجسداً ، والنقص فى احدهما لا يؤثر نقصاً فى الاخر .

واما القولة المشهورة : العقل السليم فى البدن السليم ، فتعنى : ان الالة كلما كانت اسلم كان العمل بها اتقن ، نظراً لان الروح يستخدم فى فعالياته الحاضرة ، آلات البدن مادام قيد هذا الجسد ، فكلما كان البدن اكمل وانشط كان العمل به ايسر واتم .

٣- الانسان وظاهرة الادراك:

الانسان فى داخل وجوده ذو طاقة جبارة ، تختلف تماماً عن قواه الجسدية المحدودة . انه فى جانب عقليته يذهب الى ابعاد شاسعة لانهاية لها ، ويتحلق فى اجواء لأمد لها ، كما وينطلق الى ما وراء المادة الى آفاق واسعة ، انطلاقاً لوقفه لها عند حد ، انه يدرك ، وظاهرة الادراك ذاته ظاهرة غير مادية ، اذ لا يوجد فيها اى خاصية من خواص المادة اطلاقاً ، انها لا تقبل انقساماً الى ابعاد ثلاثة . ولا تحمل ثقلاً ولاهى محدودة بالجهات .

انه يدرك ، وقسم من مدر كاته تفوق حدود المادة فى جميع ابعادها ومميزاتها بصورة مطلقة : انه يدرك معانى كلية ليست تتحقق خارجياً البتة . انه يفهم ملازمات عقلية ، والملازمة ذاتها لا وجود لها سوى طرفيها اللازم واللزم . انه يعلم بامور غائبة عن الحس . ويفكر فى شؤون ما وراء الاحساس .

وبكلمة جامعة : الانسان يعرف ، والمعرفة فى كيان الانسان ظاهرة غير مادية ،

فى حين ان اللامادى لا يقوم بمادى ، فاين محلها من وجود الانسان ؟

ونتيجة على ذلك نعترف - بالضرورة من بديهة العقل - ان وراء وجود هذا الانسان

الجسدى الظاهر ، وجوداً اخر لامادى ، هو «النفس» الذى تقوم به ظاهرة الادراك ،

ومجال النفس اوسع من المادة بنسبة فائقة .

وتوضيحاً لهذا الجانب النفسى من ظاهرة الادراك نقول :

قد تنعكس فى ذهنية الانسان - عند ما يواجه منظرأ طبيعياً - صورة منطقية مع الواقع تمام الانطباق فى جميع ابعادها وسماتها ، من حركة ولون وزهور واشجار ، وجبال وانهار ، وابعاد واغوار . وتتجلى هذه الصورة بنفس الابعاد والسمات كلما تذكرها ، فيجدها حاضرة نفسه على مقاييسها الاولى .. تلك ظاهرة التذكر ، فياترى اين محلها الذى تقوم به ؟

وثانية نقول : الانسان يجد صورة المنظر كلما تذكرها بنفس الابعاد والمقاييس والحركات والالوان ، كانه يشاهدها الان ، صورة طبق الواقع تماماً ، ان هذه الصفحة التى تقع عليها هذه الصورة ، وتسمى بصفحة الذهن ، صفحة ذات ابعاد توازى نفس ابعاد المنظر ، حسبما يجدها الانسان حاضرة نفسه الان . اين تقع هذه الصفحة المتسعة ، من وجود الانسان ؟

ان جزيئات المخ ، تنطبع عليها صور المحسوسات ، لكنها فى غاية الصغر . لانتناسب والابعاد التى يجدها الانسان عند التذكر .

اننا لاننكر وجود جزيئات مخية تحتفظ فى نفسها صور المشاهدات ، لكن ذلك وحده ليس ادراكاً ولا تذكرأ ، لان هذه الصور موجودة ، وهى مستمرة فى وجودها حتى مع الغفلة ، وتتجلى مع التذكر وعند التفات النفس . وهو ادراك متجدد للصورة بعد ان كان ادراكاً لذات الصورة .

لعلك تقول ، ان تلك الصور المنطبعة على جزيئات المخ قد تبدو للنفس وقد تخفى وبهذا تعلل ظاهر تى «التذكر» و«الغفلة» !

لكننا نتساءل : اذا كانت هذه الصور تبدو وتخفى ، فتجاه اى شىء تبدو ، وعن اى شىء تخفى ؟ وهذه المقابلة بين اى شىء و شىء ؟

وبعبارة اخرى : ان هذه الصور تتجلى . لكنها لمن تتجلى ؟ ومن المواجه

له ؟ لاشك ان المواجهة امر قائم بجانبين ، فاذا كانت الصور المنطبعة تشكل جانباً من هذه المواجهة ، فاین الجانب الاخر المواجه له ؟ نعم ان الصور المنطبعة على جزيئات المخ تتجلى امام النفس ، فالنفس شىء ، وهذه الجزيئات شىء آخر فالنفس وهو وجود الانسان الباطن هو الذى يشكل الجانب الاخر من هذه المواجهة النفسية ، والنفس هى التى تدرك تلك الصور متى تذكرتها ، وهو ادراك متجدد وان شئت فسمه التذكر . ان جزيئات المخ افلام تنعكس صورها على صفحة النفس الواسعة عند التذكر ، وعند ما تنتجه النفس الى ما خزنتها فى آلة الادراك . وبذلك تتحقق تلك المقابلة والمواجهة القائمة بطرفين .

فالصحيح : ان ظاهرة الادراك والتذكر ، ظاهرة نفسية ، تقوم بنفس الانسان ، وهو وجوده الباطن «الروح» ومن ثم لا توجد فيها خصائص المادة اطلاقاً ، فلما محدودية ولا تراحم ابداً .

* * *

وايضاً فان الادراك حكم للنفس : هذا ذاك او ذاك هذا . وهذا يدلنا على امرين : الاول : ان وراء هذه الصور المنقشة على صفحة الضمير ، وجوداً آخر هو الذى يحكم عليها بان هذا ذاك او ذاك هذا ، وليس سوى النفس التى تحكم بذلك . الامر الثانى : ان الحكم ذاته بما انه غير مادى - لعدم وجود خواص المادة فيه اطلاقاً - فان الحاكم بذلك - وهو النفس - ايضاً غير مادى ، بالمعنى المعروف للمادة . وذلك اقتضاء للسخرية بين الاثر - وهو الحكم - والمؤثر - وهو الحاكم .

كما ان الادراك يتعلق بامور كلية هى ثابتة فى صقع النفس لا تتغير ولا تتجدد ، الامر الذى يتنافى وظاهرة التغير والتجدد المستمرين فى جميع جزيئات الجسم بصورة عامة .

واخيراً فان ظاهرة التذكر ليست سوى اعادة لادراك امر سابق ، كان ، موجوداً

وهو مستمر ، وليس ادراكاً لشيء جديد ، وان كان نفس الادراك جديداً :
اننا عند ما نتذكر شيئاً نجده عين ما وجدناه سابقاً ، ومحفوظاً فى خزانة الذهن ،
من غير ما تفاوت او تغيير ، فلو كان قائماً بغير النفس ، اى باجزاء هذا الجسم العنصرى ،
لكان هذا المدرك - بالفتح - ثانياً غير المدرك اولا ، اذ لشيء فى الجسم الا هو آخذ
فى التبدل والتغير لفترة محدودة ، ولا سيما اذا كان التذكر بعد أمد طويل .
فاما أن نخطئ ذاكرتنا - التى حكمت بالعينية - او نسلم بلامادية ظاهرة الادراك
والتذكر ، الامر الذى يجعل الاخير هو الصحيح حيث كانت بداهة الوجدان هى
المحكمة فى هذا الرفض او القبول .

ادلة حديثة على وجود الروح :

اما الفلسفة الحديثة فأخذت من التعمق فى علم الفزيولوجيا « علم وظائف
الاعضاء » ، براهين جلية على صحة وجود النفس وتمييزها عن الدماغ ووظيفته :
اولا - ان الاعصاب المنتشرة على سطح الجسم لا تؤثر فيها العوامل الخارجية على
حد سواء ، بل يقتضى لها مؤثرات معينة لا تهتز الالياف الدقيقة المؤلفة منها . مثلا
ان التأثيرات النظرية لا فعل لها فى عصب السمع وبالعكس . فاذا اتخذنا مثلاً حاسة
البصر موضوعاً لبحثنا نرى ان الحركة التوجيهية فى الاثير ، بتأثيرها فى شبكة العين ،
تحدث اهتزازاً فى العصب البصرى ، وهذا الاهتزاز يمتد الى الطبقة البصرية المستقرة
فى وسط الدماغ ، ومن هناك يندفع الى مركز الحواس ، حيث ينتشر فى القلالى
الدقيقة ، ويوقظ الخلايا العصبية المتعلقة بالتأثيرات البصرية . وعليه فكل نوع من التأثيرات
الحسية تتفرق ثم تتجمع فى مكان مخصوص من الدماغ وقد اثبت التشريح وجود
اماكن معينة فى الدماغ ، ونواح محدودة يتجمع فيها ويتكاثف ويتحول ما تنقله
اليها الحواس من التأثيرات الخارجية . وقد قام علماء الفزيولوجيا ببعض امتحانات
على الحيوانات الحية ، اظهروا بها انهم بنزعهم عن هذه الحيوانات قطعاً اصلية من

المادة المخية قد افقدوها قوة ادراك التأثيرات النظرية او السمعية . بل اثبت العلامة «شيف» بالامتحان ، ان الحرارة ترتفع فى جزء من اجزاء دماغ الكلب ، نسبة لنوع التأثيرات الواصلة اليه من احدى الحواس .

واذا سألنا الماديين : كيف تتحول هذه الحركات الاهتزازية ، بعد وصولها الى مراكزها النسبية من الدماغ ، الى افكار فهمية ؟ فيجبونا : ان هذه الاهتزازات ، حينما تبلغ القلالي الحسية من الدماغ يحدث فيها من رد الفعل ما يحدث فى قلالي النخاع الشوكى !

لكن غير خاف على أحد ما يتم فى حادث رد الفعل هذا ، وهو : ان محركات الاعصاب الحسية تنقل الى القلالي الدقيقة من النخاع الشوكى تهيجاً ينعكس الى القلالي الغليظة ، فتهتز له الاعصاب المحركة المناسبة لها ، وعلى هذه الصورة يرتد الاهتزاز الى نقطة مصدره تحت هيئة تأثير محرك . هذا شرح ما يحدث فى ضفدعة قطع رأسها ، ومع هذا فتتشنج رجلها لدى مسيسها بحامض مهيج .

والامر نفسه يحدث فى مؤثرات القلالي الحسية من الدماغ ، اى ان القلية القشرية عند ما يبلغها الاهتزاز الخارجى تنتصب لدرجة ماء وتنبه حاسيتها الذاتية ، وتفرغ القوة الكامنة فيها ، ثم تمتد الحركة الى ما جاورها من القلالي وتوقظ القوة المضمورة فيها حتى تبلغ القلالي الغليظة ، وهذه تنقلها الى المادة الرمادية ذات الاتحاديد ، من الدماغ ، التى تقوى الاهتزازات ، وتدفعها الى الاعضاء تحت هيئة تأثير ، او بالاحرى : آمر محرك .

اننا نسلم مع ناكري النفس بكيفية مجرى الحس هذا ، المعبر عنه بالاهتزاز العصبى ، وبلوغه الى الدماغ ثم ارتداده من هناك تحت هيئة آمر محرك ، ولكن فات غرماننا حادث خطير جرى ما بين البلوغ والارتداد : وهو «حادث الادراك» اى دراية الشخصية الانسانية بما حدث لها من الامور الخارجية ، لان تلك الاهتزازات والتهيجات العصبية ماهى الا حركات مادية تولد حركات اخرى ، ولكنها لانحدث ادراكاً ، وما نتيجتها

سوى ان تنبه القوة العاقلة لادراك مصدر هذا التنبيه ، وعلته واثره . وبدون ذلك لا يكون للاهتزاز او الحركة الخارجية ادنى مفعول فى قوة الفهم .

ان القلية العصبية المركبة من كميات متناسبة من الكوليسترين والماء والفسفور و حامض الاوميك . . الخ ليست بذاتها قوة مدركة . والحركة الاهتزازية هى بذاتها حركة مادية محضة ، فكيف يولد اهتزاز هذه القلية العصبية وانتصابها ادراكاً ؟

هذا ما عجز الماديون عن تبيانه ، اما الفلاسفة الروحيون فيعلموننا بوجود شخصية عاقلة فينا ، تدعى « النفس » تنتبه بهذا الاهتزاز ، الى ما طرأ من الحوادث الخارجية : وعند ما يتم انتباهها هذا يحدث الادراك !
ويؤيد ذلك بأجلى بيان ، حادث «الذهول» :

مثلا - عند ما نكون مستغرقين داخل حجرة تنام فى عمل من الاعمال ، فربما نغفل عن سماع تكتكة الساعة ، بل حتى عن طرق ناقوسها ايضاً ، ومع هذا فان اهتزازات الصوت اثرت فى عصب سمعنا وبلغت حتى الدماغ من دون ان ننتبه لها . وما ذاك الا لكون نفسنا مشغولة بافكار اخرى لم تنتبه ، ولا اثرت فيها اهتزازات القلالى الدماغية فلم يحصل الادراك السمعى .

وبالاختصار نجد ان المادة هى بذاتها عديمة الاختيار ، لا تولد شيئاً من تلقاء نفسها ، والمادة الدماغية هى آلة لتبيان احساسات النفس العاقلة ، وافكارها . فلا تعقل هى لما يصدر بواسطتها من التعبيرات الفكرية كآلة الساعة مثلاً لا تدرك حركة الاوقات التى تشير اليها ، كما لا تدرك قراطيس الكتاب الافكار المسطرة عليها . «ومن زعم ان الدماغ يدرك الفكر ، فهو كمن يزعم ان الساعة تدرك حركة الوقت . او القراطس يدرك معانى الكتابة !» .

* * *

ثانياً - قرر علماء الفزيولوجيا - اجمالاً - ان كل حركة تصدر من الانسان

او الحيوان ،يصحبها احتراق جزء من المادة العضلية . وكل فعل من الارادة والحس يتأتى عنه فناء فى الاعصاب . وكل عمل فكرى ينتج عنه اتلاف فى الدماغ .

وبكلمة جامعة: انه لا يمكن لذرة واحدة من المادة ان تصلح مرتين للحياة ، فعندما يبدو من الحيوان او الانسان عمل عضلى او عقلى ، فالجزء من المادة الحية التى صرفت لصدور هذا العمل تتلاشى تماماً . واذا تكرر العمل فمادة جديدة تصلح لصدوره ثانية وثالثة وهلم جراً . وهذا الاتلاف هو بمناسبة قوة الظهورات الحيوية ، فحيثما اشتد ظهور الحياة ازداد تلف المادة الحية .

نعم هذا التلف الدائم يصحبه تعويض مستمر من المادة المستجدة الداخلة فى الدم بواسطة الهواء والمواد الغذائية .

وهذان العاملان - اى عامل الاتلاف وعامل التجديد - مرتبطان ببعضهما فى الكائن الحى ارتباطاً لا ينفصم . وبالأجمال يمكن القول : ان الاتلاف شرط ضرورى للتعويض . وهذا العمل الثانى - اى العمل التجديدى وهو عمل باطنى سرى - لا ظهور له فى الخارج ، فى حين ان عوامل الاتلاف تبدو ظاهرة للعيان ، فندعوها « ظواهر الحياة » وماهى الابوار الموت ، لان ظهورها لا يتم الا بالاتلاف جزء من انسجتنا العضوية . ينتج مما تقدم : ان فى وسط تنازع هذين العاملين ، يتجدد جسمنا مراراً عديدة فى مدار الحياة . ويتم هذا التجديد على ما ارتأى الفزيولوجى «موليشوت» فى كل ثلاثين يوماً . اما « فلورنس » فيزعم ان ذلك لا يتم الا فى سبع سنين . وقد قام هذا العلامة بامتحانات على الارانب اثبت فيها تجدد عظامها ذرة فذرة فى مدة محدودة . وبعد فاننا نرى النفس يزعمون ان قوة الذاكرة عبارة عن اهتزازات فسفورية

تتخزن فى القلبية العصبية من الدماغ بعد وصول التأثيرات الخارجية اليها !
فان صح ذلك - واذتقرر ان كل ما فىنا من العظام و الانسجة العضلية والقلالى العصبية تتلاشى وتجدد فى مدة معلومة لا تتجاوز السبع سنين - اقتضى لقوة الذاكرة ان تتناقص فينا بالتدريج ، الى ان تتلاشى فى كل سبع سنوات ، وان يضطر فى كل

سبع سنين الى تجديد كل ماتعلمناه سابقاً ، والحال اننا نشعر بان الامر ليس كذلك وان تيار المادة المتجددة فينا باتصال ، لم تحدث ادنى تغيير في ذاكرتنا . واناموراً حدثت لنا ايام الصبا تخطر على بالنا زمن الهرم .

وبالاجمال : كل ما فينا يؤيد ثبات شخصيتنا ، وعدم تغييرها ، رغماً عن استبدال

كل ذرات كياناتنا المادى .

وهذا دليل قاطع على وجود قوة روحية فينا تدعى « النفس » يقبها جوهرها البسيط من التحولات والتقلبات على المادة الهيولية ، وفيها ينطبع ذكر الحوادث الماضية والعلوم التى اكتسبناها باجهد العقل والفكر .

* * *

وقديعترض البعض : بان الخلايا المخية فى تنقلات ذراتها تدريجياً ، لعلها تنقل ما عليها من صور ونقوش ذاكرية ، الى ذرات مستجدة ، كما تنتقل قسماى الوجه واللوان منطبعة على ظاهر الجسد ، وحتى الخال ، الى ذرات جديدة من البشرة ، ومن ثم يبقى شكل الجسد ولون الخال طول الحياة ، وبذلك يعمل - ايضاً - ظاهرة بقاء الذاكرة المتنقلة من ذرات فانية الى ذرات مستجدة فى المخ .

لكن فاء هذا المعترض : ان المتنقل من الصفات الباقية ، هى الطبيعية الناتجة من داخل الذات ، لا المعارضة التى طرأت من احوال المحيط الخارج . مثلاً : لون الخال انما يبقى ، اى ينتقل من ذرات فانية الى ذرات مستجدة ، لانه طبيعى ذاتى ، فلا بد ان نفس الذرات التى كانت تشكل ظاهرة الخال فى حالة سابقة ، ان تبدل وتتجدد الى ذرات اخرى تشكل نفس الظاهرة ايضاً . اما الصفات المعارضة كاللون المعارض من لفحة الشمس ، فانها تخص ذرات الجسم المواجهة للعوامل الاولى ، فاذا فنيى تلك الذرات المواجهة تدريجياً ، فان اللون المعارض ايضاً يذهب تدريجياً ، ما لم تتجدد تلك العوامل الاولى .

وعليه فان التى تودعها ذرات مخية فانية الى ذرات مستجدة ، هى صفات ذاتية

كقابلية الانطباع والانتقاش والتلقى ، اما نفس الصور والنقوش ، فيما انها صفات طارئة عليها ، وليست ذاتية ناتجة من داخل الطبيعة ، فلا بد ان تذهب تدريجياً مع فناء ذرات سابقة . ولا تعود باقية الامع اعادة العوامل الاولى ، اللهم الا ان نقول بان النفس هى التى تكرر بقاء الصور على الذرات المستجدة ، وهذا يلتم مع مطلوبنا فى هذا البحث .

* * *

ثالثاً - منذ قرن ونيف وجدت طريقة بحثية تؤيد وجود النفس بنوع حسى ، وهى طريقة « المغنطيسية الحيوانية » وفيها يشاهد انفصال الروح عن الجسد وقيامها باعمال مدهشة تنبئ عن صحة وجودها الذاتى وصدور اعمال فكرية بمعزل عن الحواس . ان المغنطيسية الحيوانية - على ما حدد منشئها الحديث « انطونيوس مزمر » - هى : عبارة عن سيال رقيق جداً ينبعث من جسم الفاعل فى المغنطيسية الى الشخص المنفعل ، بواسطة اشارات وحرركات ، بل نظرة حادثة تصدر من الاول الى الثانى . ان هذه الظاهرة الروحية قديمة جداً ، لكنها كانت او كادت تعد متأخراً من الخرافات البائدة ، حتى جاء العلماء الروحيون « فيسان » و « كرنيليوس » و « باراسلوس » ممن عاشوا فى القرن الرابع عشر والخامس عشر ، فاحيو هذا العلم الروحى من جديد ووضعوا له اصولاً وقواعد ، نشرها فيما بعد « انطونيوس مزمر » (١) . ومن ثم شاع وذاع هذا العلم واعترف به العلماء جميعاً ، فهو اليوم من الحقائق الراهنة التى تنمو وتزداد صيتاً واعواناً . الامر الذى لا يبقى معه شك فى ان الانسان فى كينونته الباطنة وجوداً آخر ، ذا طاقة جبارة ، ، يفعل بها افعالاً يعجز عنها هذا البدن المادى ، وتضعف عنها قواه الجسدية .

وقد جمع من هذه الظواهر ، واسماء علماء قاموا بتحقيقها وتمحيصها ، الاستاذ رؤوف عبيد فى كتابه « الانسان روح لاجسد » ثم فصلها فى « مفصل الانسان روح



وظاهرة روحية اخرى : «تحضير الاوراح» جاءت ايضاً - فى العصر الاخير -
لتؤيد وجود الروح وراء هذا البدن العنصرى المادى ، ليكون الانسان وراء وجوده
الظاهر المحسوس ، وجوداً اخر باطنا ، ينفصل عنه احياناً - فى هذه الحياة - ونهايتها
بعد الممات .

وقد ظهرت آية ذلك لأول مرة فى امريكا سنة ١٨٤٦م ، وسرت منها الى اروبا
كلها ، واثبتت بسدليل علمى تجريبى وجود عالم روحانى - وراء هذا العالم
المادى - آهل بالعقول الكبيرة والافكار الثاقبة ، ومن ثم تغير وجه النظر فى المسائل
الروحانية ، وحييت مسألة بقاء الروح بعدمفارقة الجسد من جديد بعد ان كانت فى عداد
الاضاليل القديمة . واعاد العلماء البحث فيها على قواعد العلم التجريبى الحديث ، ووصلوا
الى نتائج هامة ، كانت خطوة كبيرة فى سبيل اثبات امر عظيم كان قد احيل الى
عالم المخرافات .

تألفت فى لندرة من سنة ١٨٨٢م جمعية دعيت باسم «جمعية المباحث الروحية» تحت
رئاسة الاستاذ جويك المدرس بجامعة كمبروج ، وهو من اكبر العقول فى انجلترا .
وعضوية الاستاذ السير اوليفر لودج المقلب بدارون علم الطبيعة ، والسير وليم كروكس
اكبر كيماوى الانجليز ، والاستاذ فردريك ميرس ، وهودسون ، المدرسين بجامعة
كمبروج ، والاستاذ وليم جيمس المدرس بجامعة هارفارد بامريكا ، والاستاذ هيزلوب
المدرس بجامعة كولومبيا ، والعلماء الكبار : غازنى وباريت ، وبوزمور ، والعلامة
الكبير شارل ريشية المدرس بجامعة الطب الباريزية والعضو بالمجمع العلمى الفرنسى
والرياضى الكبير كاميل فلامريون الفلكى الفرنسى المشهور ، وعدد كبير غيرهم
من كبار علماء الارض .

وكان الغرض من هذه الجمعية : البت فى المسألة الروحية وتحقيق حواذئها

باسلوب النقد الصارم ، والحكم بقبولها نهائيا فى العلم ان كانت حقيقة . او تقرير
ابعادها عن العلم والفلسفة ان كانت من الامور الوهمية .

فمضى على هذه الجمعية حوالى نصف قرن ، حققت فى خلالها الوفاً من الحوادث
الروحية ، وعملت من التجارب فى النفس وقواها ، ما لا يكاد يدرك ، لولا انه مدون
فى محاضر تلك الجمعية فى نحو خمسين مجلداً ضخماً . فكان من ثمرات جهادها
اثبات شخصية ثانية للانسان ، اى اننا احياء مدركون فى حياتنا الحاضرة ، لا بكل
قوى الروح التى فىنا ، بل بجزء من تلك القوى سمحت لنا بها حواسنا الخمس القاصرة .
ولكن لنا فوق ماتعطينا لنا حواسنا هذه حياة ارقى من هذه الحياة ، لا تظهر بشئ من
جلالها الا اذا تعطلت فىنا هذه الشخصية العادية بالنوم العادى او النوم الصناعى المغناطيسى
او بالموت .

وقد سجل الاستاذ «فريد وجدى» شهادات ضافية من علماء كبار بهذا الشأن ،
فى دائرة معارفه (١) ، والاستاذ «امين الهلالى» فى كتابه : المذهب الروحانى (٢) ،
والدكتور «رؤوف عبيد» فى كتابه : الانسان روح لاجسد (٣) ، والاستاذ « جيمس
آرثر . فندلاى» فى كتابه : على حافة العالم الاثيرى (٤) ، وغيرهم كثيرون ، فراجع .

* * *

١- اثبات الروح بالبراهين الحسية ، مادة روح ، ج ٤ ص ٣٦٤ - ٤٠٠ . الوحي وفلاسفة

الغرب ، مادة وحي ، ج ١٠ ص ٧١٢ - ٧٢٠ : دائرة معارف القرن العشرين .

٢- الباب الثانى : اثبات وجود النفس بالادلة الطبيعية ص ٣٦ - ٤٤ . والباب الثالث :

اثبات خلود النفس بالحوادث الروحية ص ٤٢ - ٤٤ .

٣- الفصل التاسع : بين العقل والمخ ، ج ١ ص ٤٤٩ - ٤٨١ : مفصل الانسان

روح لاجسد .

٤- الفصل الثالث : المادة والعقل ص ٤٧ - ٥١ . ترجمة احمد فهمى ، طبعة ثالثة .

فذلكة البحث :

و خلاصة ماسبق من الابحاث : ان الانسان يملك فى وجوده جانبين ، هو من احدهما جسمانى ، ومن الاخر روحانى ، فلاغروان يتصل - احيانا - بعالم وراء المادة ، ويكون هذا الاتصال مرتبطا بجانبه الروحى الباطن . وهو اتصال خفى ، الامر الذى يشكل ظاهرة الوحي .

الوحي : ظاهرة روحية ، قد توجد فى آحاد من الناس ، يمتازون بخصائص روحية تؤهلهم للاتصال بالملاء الاعلا ، اما مكاشفة فى باطن النفس او قرعاً على مسامع ، يحس به الموحى اليه احساساً مفاجئاً يأتيه من خارج وجوده ، وليس منبعثاً من داخل الضمير ، ومن ثم لا يكون الوحي ظاهرة فكرية تقوم بها نفوس العباقر - كما يزعمه ناكروا الوحي - كلا ، بل القاء روحانى صادر من محل ارفع الى مهبط صالح امين .

قال تعالى : «أكان للناس عجباً ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس» (١) نعم شئ واحد لانستطيع ادراكه ، وان كنا نعتبره واقعاً حقاً ، ونؤمن به ايماناً صادقاً ، وهو : كيف يقع هذا الاتصال الروحى ؟ هذا شئ يخفى علينا اذا كنا نحاول ادراكه باحاسيسنا المادية او نريد التعبير عنه بمقاييسنا اللفظية الكلامية ، انها الفاظ وضعت لمفاهيم لاتعدو الحس اولاتكاد . وكل ما باستطاعتنا انما هو التعبير عنه على نحو التشبيه والاستعارة او المجاز والكناية لاكثر ، فهو مما يدرك ولا يوصف ، فالوحي ظاهرة روحية يدركها من يصلح لها . ولا يستطيع غيره ان يصفها وصفاً بالكنه ، ماعدا التعبير عنها بالاثار والعوارض هذا فحسب .

الوحي عند فلاسفة الغرب :

اشرنا فيما سبق ان فلاسفة اوروبا بعد ان عادوا الى الاعتراف بوجود شخصية

باطنة للانسان ، تسمى بالروح ، وعلموا انها هى التى كونت جسمه فى الرحم وهى التى تحرك جميع عضلاته واعضائه التى ليست تحت ارادته كالكبد والقلب والمعدة وغيرها ، فهو انسان بها لابهذه الشخصية العادية .. عادوا يعترفون ايضاً بالوحى ، الوحى الذى يدعيه الانبياء ملاء كتبهم النازلة المنسوبة الى السماء .

ولكن فسروه تفسيراً يختلف عما قرره علماء الدين الاسلامى - على ماسبق تعريفه بانه اللقاء من خارج الوجود اما قدفاً فى قلب او قرعاً فى سمع - .

قالوا : الوحى عبارة عن الهامات روحية تنبعث من داخل الوجود ، اى الروح الواعية هى التى تعطينا تلكم الالهامات الطيبة الفجائية فى ظروف حرجية ، وهى التى تنفث فى روع الانبياء ما يعتبرونه وحياً من الله ، وقد تظهر نفس تلك الروح المتقبعة وراء جسمهم ، متجسدة خارجاً فيحسبونها من ملائكة الله هبطت عليهم من السماء ، وماهى الاتجلى شخصيتهم الباطنة ، فتعلمهم مالم يكونوا يعلمونه من قبل ، وتهديهم الى خير الطرق لهداية انفسهم وترقية امتهم ، وليس بنزول ملك من السماء ليلقى عليهم كلاماً من عند الله .

هذا ما يراه العلم الاروبى التجريبي الحديث فى مسألة الوحى .
ودليلهم على ذلك : ان الله اجل واعلا من ان يقابله بشر او يتصل به مخلوق ، وان الملائكة مهما قيل فى روحانيتهم وتجردهم عن المادة فلا يعقل انهم يقابلون الله او يستمعون الى كلامه ، لان هذا كله يقتضى تحيزاً فى جانبه تعالى ، ويستدعى عدم التنزيه المطلق اللائق بشأنه جل شأنه . ولان الملائكة مهما ارتقوا فلا يكونون اعلى من الروح الانسانى التى هى من روح الله نفسه ، فمثلهم ومثلها سواء .

وبهذه النظرية حاولوا حل ماعسى ان يصادفوه فى بعض الكتب السماوية من انواع المعارف المناقضة للعلم الصحيح طبيعياً والهايم . فهم لا يقولون بان تلك الكتب قد حرفت عن اصلها الصحيح النازل من عند الله ، ولكنهم يقولون بان الشخصية الباطنة لكل رسول انما تؤتى صاحبها بالمعلومات على قدر درجته تجليها وعبقريتها ، وعلى

قدر استعداده لقبول آثارها ومن ثم قد تختلط معارفها العالية بمعارف باطلة آتية من قبل شخصيته العادية ، فيقع في الوحي خلط كثير بين الغث والسمين ، فترى بجانب الاصول العالية التي لم يعرفها البشر الى ذلك الحين ، اصولا اخرى عامية اصطلاح عليها الناس الى ذلك الزمان (١) .

* * *

وبعد : فاذا ما خضعتم الحقيقة العلمية ، على طريقة تجريبية قاطعة ، بان وجود الانسان الحقيقي هو شخصيته الثانية القابعة وراء هذا الجسد ، وانه يبقى خالداً بعد فناء الجسد ، فمما عاينتم امتنعوا من الاعتراف بحقيقة الوحي كما هي عند المسلمين .؟! لا شك ان ما وصلوا اليه خطوة كبيرة نحو الواقعية ، لانزال قدرها تقديراً علمياً ، لكنها بلا موجب توقفت اثناء المسير ودون ان تنتهي الى الشوط الاخير .

ان منار العلم وضوء الحقيقة قد هدياهم الى الدرب اللائح ، وكادوا يللمسون الحقيقة مكشوفة بعيان . فوجدوا وراء هذا العالم عالماً آخر مليئاً بالعقول . ووجدوا من واقع الانسان شخصية اخرى وراء شخصيته الظاهرة : فهاتان مقدمتان اذعنوا لهما ، وقد اشرفنا بهم على الاستنتاج الصحيح وصاروا منتهى قوسين او اداني ، لكنهم بلا موجب توقفوا ، وانكروا حقيقة كانوا على وشك لمسها .

فعلى ضوء هاتين المقدمتين ، لا مبرر لعدم فهم حقيقة اتصال روحى خفى يتحقق بين ملاء اعلى وجانب روحانية هذا الانسان . فيتلقى بروحه افاضات تأتية من ملكوت السماء واشراقات نورية تشع على نفسه من عالم وراء هذا العالم المادى . وليس اتصالاً او تقارباً مكانياً لكى يستلزم تحيزاً فى جانبه تعالى . واظنهم قاسوا من امور ذاك العالم غير المادى بمقاييس تخص العالم المادى . مع العلم ان الالفاظ هي التي تكون قاصرة عن اداء الواقع ، وان التعبير بنزول الوحي او الملك تعبير مجازى ،

١ - راجع : دائرة معارف القرن العشرين ج ١٠ ص ٧١٥ ، فيما نقله عن العلامة

«ميرس -- Myers» من كتابه «الشخصية الانسانية» ص ٧٧ فما بعد .

وليس سوى اشراق وافاضة قدسية ملكوتية يجدها النبي - ﷺ - حاضرة نفسه ، ملقاة عليه من خارج روحه الكريمة . وليست منبعثة من داخل كيانه هو .

هذه حقيقة الوحي الذى نعتز به ، من غير ان يقتضى تحيزاً فى ذاته تعالى . اما التعليل الذى يعللون به ظاهرة الوحي ، فهو فى واقعة انكار للوحي وتكذيب ملتو للانبياء بصورة عامة ، كما هم فسر وامعجزة ابراء الاكمه والابرص بظاهرة الهينو- توزم (المغناطيسية الحيوانية) فجعلوا من المسيح ﷺ انساناً مشعوذاً - حاشاه - يستغل من عقول البسطاء مجالا متمسكاً لترويج دعوته ، باساليب خداعة ينسبها الى البارئ تعالى ..!

ونحن نقدر ساحة الانبياء من اى مراوغة او احتيال مسلكى ، وحاشاهم من ذلك . وماهى الاواقعية بنوا عليها دعوتهم الاصلاحية العامة ، واقعية يعترف بها العلم سواء فى مراحل القديمة او الجديدة الحاضرة . اذن لا مبرر لتأويل ما جاء فى كتب الانبياء من ظاهرة الوحي ، اتصالاً حقيقياً بمبدء اعلا .

نعم : ان مابقى بايدى الناس من كتب منسوبة الى الانبياء ، غير القرآن ، لم تبق سالمة من تناول ايدى المحرفين ، ومن ثم ففيتها من الغث والسمين الشئ الكثير ، ونحن نربأ بعلماء محققين ان يجعلوا من موضوع دراستهم لشؤون الانبياء (ع) تلكم الكتب المحرفة .

انحاء الوحي الرسالى :

قال تعالى : «وما كان لبشر ان يكلمه الله ، الا وحيًا» اى الهاماً وقذفاً فى روعه ، وهو اللقاء فى الباطن ، يحس به الموحى اليه كانما كتب فى ضميره صفحة لامعة ، اورؤياً فى منام . «او من وراء حجاب» اى يكلمه تكليماً يسمع صوته ولا يرى شخصه ، كما كلم موسى ﷺ بخلق الصوت فى الهواء يخرق مسامعه ، ويأتيه من كل مكان ، وكما كلم نبينا ﷺ ليلة المعراج .

والتكليم من وراء حجاب كناية او تشبيه بمن يتكلم محتجباً ، او المراد بالحجاب الحجاب المعنوى ، لبعد الفاصلة بين كمال الواجب ونقص الممكن .

«او يرسل رسولا» : ملكاً من الملائكة «فيوحى باذنه ما يشاء» اما اللقاء على السمع او نقرأ فى القلب «انه على حكيم» .

«وكذلك» اى على هذه الانحاء الثلاثة : الهاماً . وتكليماً . وارسال ملك (١)
«او حيناً اليك روحاً» : هى الشريعة او القرآن «من امرنا . ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان . ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا . وانك لتهدى الى صراط مستقيم» (٢) .

١- راجع : بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٤٦

٢- سورة شورى : ٥١ - ٥٢ .

هذه انحاء الوحي بوجه عام وبصورة اجمالية . اما بالنسبة الى نبينا محمد ﷺ فكان يأتيه الوحي تارة في المنام ، وهذا - اكثرها - كان في بدء نبوته . واخرى وحيًا مباشرًا من جانب الله ، بلا توسط ملك . وثالثة مع توسط جبرئيل عليه السلام . غير ان الوحي القرآني كان يخص الاخيرين اما مباشرة او على يد ملك . واليك بعض التفصيل :

١- الرؤيا الصادقة :

كان اول ما بدىء به من الوحي الرؤيا الصادقة ، كان (ص) لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح - وهو كناية عن تشعشع نوراني كان ينكشف لروحه المقدسة ، تمهيداً لافاضة روح القدس عليه - صلوات الله عليه وآله - ثم حجب اليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه (١) ، الليالي اولات العدد ، قبل ان يرجع الى اهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها (٢) ، حتى فجأه الحق . وهو في غار حراء : جاءه الملك فقال : اقرأ ... » (٣)

قال علي بن ابن ابراهيم القمي : ان النبي ﷺ لما أتى له سبع وثلاثون سنة ، كان يرى في منامه كأن آتيا يأتيه ، فيقول : يا رسول الله . ومضت عليه برهة من الزمن وهو على ذلك يكتبه ، واذا هو في بعض الايام برعى غنما لا يبي طالب في شعب الجبال اذ رأى شخصاً يقول له : يا رسول الله . فقال له : من انت ؟ قال : انا جبرئيل ارسلني الله اليك ليتخذك رسولا ... » (٤)

١- التحنث : التحنف ، وهو الميل الى الحنيفية ، كناية عن التعبد الذي هو مطهرة للعبد ، قال ابن هشام : تقول العرب : التحنث والتحنف ، فيبدلون القاع من الثاء ، كما في جدث وجدف اى القبر . قال : وحدثني ابو عبيدة ان العرب تقول : فم في موضع ثم . راجع السيرة ج ١ ص ٢٥١ .

٢- التزود : استصحاب الزاد .

٣- البخارى ج ١ ص ٣ . مسلم ج ١ ص ٩٧ . تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٩٨ .

٤- بحار الانوار ج ١٨ ص ١٨٢ و ص ١٩٤

قال الامام الباقر عليه السلام : « واما النبي فهو الذي يرى في منامه ، ونحو رؤيا ابراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من اسباب النبوة قبل الوحي ، حتى اتاه جبرائيل عليه السلام من عند الله بالرسالة ... » (١)

قوله : « قبل الوحي » اي قبل الوحي الرسالي المأمور بتبليغه . لان هذا البيان تفسير لمفهوم « النبي » قبل ان يكون رسولا . وهو انسان اوحى اليه من غير ان يكون مأموراً بتبليغه . فهو يتصل بالملاء الاعلى اتصالاً روحياً ، وينكشف له الملكوت كما حصل لبنينا عليه السلام قبيل بعثه المباركة .

قال صدر الدين الشيرازي : « يعنى انه صلى الله عليه وآله اتصفت ذاته المقدسة بصفة النبوة ، وجائته الرسالة من عند الله ، باطنا ورسراً ، قبل ان يتصف بصفة الرسالة او ينزل عليه جبرائيل معانيها محسوساً بالكلام المنزل المسموع . وانما جاءه جبرائيل معانيها حين جمع له من اسباب النبوة ما جمع للانبياء الكاملين ، كابراهيم ، من الرؤيا الصادقة والاعلامات المتتالية بحقائق العلوم والايحاءات بالمغيبات . والحاصل : ان النبي صلى الله عليه وآله استكمل باطنه وسره قبل ان يتعدى صفة الباطن منه الى الظاهر ، فاتصف القالب بصفة القلب محاكياله . والاول نهاية السفر من الخلق الى الحق ، والثاني نهاية السفر من الحق الى الخلق » (٢) .

* * *

نعم ربما كانت الرؤيا الصادقة سبيل الوحي اليه صلى الله عليه وآله فيلقى اليه العلم احياناً في المنام ، قال امير المؤمنين عليه السلام : « رؤيا الانبياء وحي » (٣) ولكن لم يكن شيء من ذلك قرآناً ، اذ لم يعهد نزول قرآن عليه في المنام . نعم وان كانت بعض رؤاه اسباباً للنزول القرآني ، كما في قوله تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان

١- اصول الكافي : الكليني ج ١ ص ١٧٦ . بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٦٦ .

٢- شرح اصول الكافي : صدر المتألهين - كتاب الحجّة ، الحديث الثالث - ص ٤٥٤

٣- امالي الشيخ الطوسي ص ٢١٥ والبحار ج ١١ ص ٦٤ .

شاء الله ...» (١) فقد رأى النبي ﷺ ذلك ، عام الحديبية (٢) وصدقت عام الفتح (٣) .
وكما فى قوله : « وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى
القرآن » (٤) فقد اخرج ابن ابى حاتم وابن مردويه والبيهقى وابن عساكر ، عن سعيد
ابن المسيب ، قال : رأى رسول الله ﷺ بنى امية على المنابر ، فساءه ذلك ، فاوحى
الله اليه : انما هى دنبا اعطوها وهى قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا . . . » يعنى بلاء
للناس . (٥)

هذا . . . وقد ذكر بعضهم ان سورة الكوثر نزلت على رسول الله ﷺ
فى المنام ، لرواية انس بن مالك ، قال : بينا رسول الله ﷺ بين اظهرنا اذ اغفى
اغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسماً . فقلنا : ماضحكك يا رسول الله ﷺ ؟ فقال انزلت
على آتفا سورة ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر . . . الخ (٦)
قال الرافعى : انهم فهموا من ذلك ان السورة نزلت فى تلك الاغفاءة ، لكن
الاشبه انه خطر له فى النوم سورة الكوثر المنزلة عليه قبل ذلك ، فقرأها عليهم و
فسرها لهم . قال : وقد يحمل ذلك على الحالة التى كانت تعتريه عند نزول الوحي ،
ويقال لها : برحاء الوحي - وهى سبتة شبه النعاس كانت تعرضه من ثقل الوحي .
قال جلال الدين : الذى قاله الرافعى فى غاية الاتجاه ، والتأويل الاخير اصح
من الاول لان قوله « آتفا » يدفع كونها نزلت قبل ذلك ، بل نزلت فى تلك الحالة ،
ولم يكن الاغفاء اغفاء نوم بل الحالة التى كانت تعتريه عند الوحي (٧) و آتف

١- سورة الفتح : ٢٧

٢- وهى سنة الست من الهجرة

٣- وهى سنة الثمان

٤- سورة الاسراء : ٦٠

٥- الدر المنثور ج ٤ ص ١٩١ والطبرى : التفسير ج ١٥ ص ٢٧

٦- الدر المنثور : ج ٦ ص ٢٠١

٧- الاتقان ج ١ ص ٢٣

بمعنى : قبيل هذا الوقت .

اقول : لاشك ان سورة الكوثر مكية ، وهذا هو المشهور بين المفسرين شهرة تكاد تبلغ التواتر . قالوا : نزلت بمكة عند ما عابه المشركون بانه ابتر لاعقب له ، او أنه مبتور من قومه منبوذ .

وهكذا المامات ابنه ابراهيم مشت قريش بعضهم الى بعض متباشرين ، فقالوا : ان هذا الصابي قد بتر الليلة . قال ابن عباس : دخل رسول الله ﷺ من باب الصفا وخرج من باب المروة ، فاستقبله العاص بن وائل السهمي ، فرجع العاص الى قريش ، فقالت له قريش : من استقبلك يا ابا عمرو آنفاً ؟ قال ذلك الابتر - يريد به النبي ﷺ - فانزل الله - جل جلاله - سورة الكوثر ، تسلياً لنفس نبيه الزكية (١) .

هذا وانس عند وفاة النبي ﷺ لم يبلغ العشرين ، اذ كان عند مقدمه -ص- المدينة طفلاً لم يتجاوز التسع وقيل : ثماني سنوات (٢) ، فكيف نثق بحديث منه يخالف اطباق الامة على خلافه ، و انها نزلت بمكة في قصة جازت حد التواتر ؟ الامر الذي يرجح الوجه الاول من اختيار الامام الرافعي ، او نجعل من رواية انس حبلها على غار بها !

نعم اخرج مسلم والبيهقي هذه الرواية من وجه آخر ، ليس فيه «انزلت على» . قال اغفى النبي ﷺ اغفاء ثم رفع رأسه فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر . . . الخ ثم فسرهابنهر في الجنة . قال البيهقي : وهذا اللفظ اولي ، حيث لا يتنافى وما عليه اهل التفاسير والمغازي من نزول سورة الكوثر بمكة .. (٣)

٢ - نزول جبرائيل :

كان الملك الذي ينزل على النبي ﷺ بالوحي هو جبرائيل (ع) فكان

١- راجع : اسباب النزول للسيوطي بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٢٢ . والدر المنثور ج ٦

ص ٢٠١

٢- اسد الغابة : ابن الاثير ج ١ ص ١٢٢

٣- الدر المنثور : السيوطي ج ٦ ص ٢٠١

يلقيه على مسامعه الشريفة ، فتارة يراه ، اما فى صورته الاصلية - وهذا حصل مرتين-
او فى صورة دحية بن خليفة . واخرى لا يراه ، وانما ينزل بالوحي على قلبه ﷺ :
«نزل به الروح الامين على قلبك» (١)

قال تعالى : « وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى . علمه شديد
القبوى » : جبرائيل ، مثال قدرته تعالى « ذو مرة » اى ذو عقلية جبارة « فاستوى » :
استقام على صورته الاصلية ، وهذا هو المرة الاولى فى بدء الوحي . « وهو بالافق
الاعلى » : سد ما بين الشرق والغرب « ثم دنى فتدلى » :

فجعل يقترب من النبى ﷺ « فكان قاب قوسين او ادنى . فاوحى » الله
بواسيطة جبرائيل « الى عبده » محمد ﷺ « ما اوحى ما كذب الفؤاد » : فؤاد محمد ﷺ
« مارأى » فكان قلبه « ص » يصدق بصره فيما يرى انه حق « أفتمارونه على ما يرى . ولقد
رآه نزلة اخرى » مرة ثانية فى مرتبة انزل من الاولى « عند سدرة المنتهى عندها
جنة المأوى . اذ يغشى السدره ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى » (٢) فكان الذى
يراه حقيقة واقعة ، ليس وهما ولا خيالا .

و قال : « انه لقول رسول كريم » : جبرئيل « ذى قوة عند ذى العرش مكين .
مطاع ثم امين . وما صاحبكم » : محمد ﷺ « بمجنون . ولقد رآه » : رأى جبرئيل
فى صورته الاصلية « بالافق المبين » (٣) اشارة الى المرة الاولى ايضا .

قال ابن مسعود : ان رسول الله ﷺ لم ير جبرئيل فى صورته الا مرتين ،
احدهما انه سأله ان يراه فى صورته فاراه صورته فسد الافق . و اما الثانية فحيث

١ - سورة الشعراء : ١٩٣

٢ - سورة النجم : ٣ - ١٧

٣ - سورة التكويد : ١٩ - ٢٣

صعد به ليلة المعراج ، فذلك قوله : وهو بالافق الاعلى (١).

والصحيح ان المرتين كانت احدهما فى بدء الوحي بحراء . ظهر له جبرئيل فى صورته التى خلقه الله عليها ، ماثلاً افق السماء من المشرق و المغرب ، فتهيبه النبى ﷺ تهيباً بالغاً ، فنزل عليه جبرئيل فى صورة الادميين فضمه الى صدره ، فكان لاينزل عليه بعد ذلك الا فى صورة بشر جميل .

والثانية كانت باستدعائه «ص» الذى جاءت به الروايات : كان لايزال يأتيه جبرئيل فى صورة الادميين . فسأله رسول الله ﷺ ان يريه نفسه مرة اخرى على صورته التى خلقه الله ، فراه صورته فسد الافق . فقوله تعالى : «وهو بالافق الاعلى» كانت المرة الاولى . وقوله «نزلة اخرى» كانت المرة الثانية (٢) .

قال رسول الله ﷺ : و احيانا يتمثل لى الملك رجلا ، فيكلمنى فاعى مايقول (٣) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : ان جبرائيل كان اذا اتى النبى ﷺ لم يدخل حتى يستأذنه ، واذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد (٤) .

هذا .. و كان جبرئيل - عند ما يتمثل لرسول الله ﷺ يبدو فى صورة دحية بن خليفة الكلبي . و بتعبير اصح : يبدو فى صورة شبيهة بدحية . كما جاء فى تعبير ابن شهاب : كان رسول الله ﷺ يشبه دحية الكلبي بجبرائيل ، حينما يتصور بصورة بشر (٥)

و ذلك لان دحية كان اجمل انسان فى المدينة ، كان اذا قدم البلد خرجت

١ - الدر المنثور : السيوطى ج ٦ ص ١٢٣

٢ - مجمع البيان ج ٩ ص ١٧٣ و ١٧٥ و ج ١٠ ص ٢٤٦ وتفسير الصافي ج ٢

ص ٦١٨

٣ - البخارى ج ١ ص ٣

٤ - كمال الدين : الصدوق ص ٨٥

٥ - الاستيعاب بهامش الاصابة ج ١ ص ٢٧٢

الفتيات ينظرن اليه (١) .

والسبب في ذلك : ان جبرائيل كان حينما يتمثل بشراً ، يتمثل صورة انسان خلقه الله على الفطرة الاولى ، والانسان فى اصل خلقته جميل ، فكان يتمثل جبرئيل فى اجمل صورة انسانية . وبما ان دحية كان اجمل انسان فى المدينة ، كان الناس يزعمون من جبرئيل - وهويتمثل بشراً - انه دحية الكلبى ، ومن ثم كان العكس هو الصحيح . قال رسول الله ﷺ : كان جبرائيل يأتينى على صورة دحية الكلبى ، و كان دحية رجلاً جميلاً . و الظاهر ان الجملة الاخيرة هى من كلام انس ، راوى الحديث (٢) اى على صورة تشبهها صورة دحية . و كان الصحابة يزعمونه دحية حقيقة ، و من ثم نهاهم رسول الله ﷺ ان يدخلوا عليه اذا وجدوا دحية عنده . قال اذا رأيتم دحية الكلبى عندى فلا يدخلن على احد (٣) .

وكان جبرئيل قديتمثل للصحابة ايضاً بصورة دحية ، كما فى غزوة بنى قريظة سنة خمس من الهجرة شاهده الصحابة على بغلة بيضاء (٤) .

وشاهده ايضاً على ﷺ دفعات بمحضر النبى ﷺ وتكلم معه ، والنبى (ص) راقد (٥) .

و اما نزول الملك عليه بالوحى من غير ان يراه فكثير ايضاً ، اما القاء على مسامعه و هو يصغى اليه ، او الهاما فى قلبه فيعيه بقوة . قال تعالى : « و انه لتنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين » (٦) .

١ - الاصابة ابن حجر ج ١ ص ٤٧٣

٢ الاصابة ج ١ ص ٤٧٣ . اسد الغابة ج ٢ ص ١٣٠

٣ - بحار الانوار ج ٣٧ ص ٢٢٦ عن كتاب التفضيل لابن الاثير

٤ - سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٤٥

٥ - بحار الانوار ج ٢٠ ص ٢١٠ و ج ٢٢ ص ٣٣٢ والمجمع ج ٨ ص ٣٥١

٦ - سورة الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥

كان ﷺ فى اوائل نزول الملك عليه بالوحى ، يخشى ان يفوته اللفظ ومن ثم كان يحرك لسانه وشفتيه ليستذكره ولا ينساه ، فكان يتابع جبرائيل فى كل حرف يلقيه عليه ، فنهاه تعالى عن ذلك و وعده بالحفظ و الرعاية من جانبه تعالى قال : « لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه و قرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه » (١) « وربما كان ﷺ يقرأ على اصحابه فور قراءة جبرئيل عليه ، وقبل ان يستكمل الوحى او تنتهى الايات النازلة ، حرصاً على ضبطه و ثبته ، فنهاه تعالى ايضاً وقال : « ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك وحيه و قل رب زدنى علماً » (٢) فاطمأنه تعالى بالحفظ و الرعاية الكاملة . فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك اذا اتاه جبرئيل ، استمع له ، فاذا انطلق قرأه كما أقرئه (٣) قال تعالى : سنقرئك فلا تنسى » (٤)

واشارة الى هذا النحو من الوحى الذى هو نكت فى القلب قال ﷺ : « ان روح القدس نفث فى روعى » (٥) و هو سواد القلب ، كناية عن السر الباطن ، و المقصود : روحه الكريمة .

٣ - الوحى المباشر :

و لعل اكثرية الوحى ، كان مباشرياً لايتوسطه ملك ، على ما جاء فى وصف الصحابة حالته ﷺ ساعة نزول الوحى عليه ، كان ذا وطىء شديد على نفسه الكريمة ، يجهد من قواه و تعثره غشوة منهكة ، فكان ينكس رأسه و يتردد وجهه و يتصبب عرقاً ، و تسطو على الحضور هيبة رهيبة ، ينكسون رؤوسهم صموداً ، من روعة

— سورة القيامة : ١٦-١٩

٢ — سور طه : ١١٤

٣ — طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣٢

٤ — سورة الاعلى : ٦

٥ — الاتقان ج ١ ص ٢٢

المنظر الرهيب . قال تعالى : « انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً » (١) . قال الامام الصادق عليه السلام : كان ذلك اذا جاءه الوحي ولبس بينه وبين الله ملك ، فكانت تصيبه تلك السببة (٢) و يغشاه مايغشاه ، لثقل الوحي عليه ، اما اذا اتاه جبرائيل بالوحي فكان يقول : هو ذا جبرئيل او قال لى جبرائيل ... » (٣)

قال الشيخ ابو جعفر الصدوق : « ان النبي صلى الله عليه وآله كان يكون بين اصحابه فيغمي عليه وهو ينصاب عرقاً ، فاذا افاق قال : قال الله كذا وكذا وامر كم بكذا ونهاكم عن كذا . قال : وكان يزعم اكثر مخالفينا ان ذلك كان عند نزول جبرائيل ؟ فسل الامام الصادق عليه السلام - عن الغشية التي كانت تأخذ النبي - ص - اكانت عند هبوط جبرائيل ؟ فقال : لا . ان جبرئيل كان اذا اتى النبي صلى الله عليه وآله لم يدخل حتى يستأذنه ، واذا دخل عليه قعدين يديه قعدة العبد ، و انما ذاك عند مخاطبة الله عز وجل اياه بغير ترجمان وواسطة » (٤) .

* * *

وفيما يلي اوصاف جرت على ألسنة الصحابة ، يذكرون مشهوداتهم عن الحالة التي كانت تعترى رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة نزول الوحي عليه : -
قال امير المؤمنين عليه السلام : « نزلت على النبي صلى الله عليه وآله سورة المائدة ، وهو على بغلته الشهباء ، فنقل عليه الوحي حتى وقفت ، وتدلى بطنها ، حتى رأيت سرتها تكاد تمس الارض ، واغمى على رسول الله «ص» حتى وضع يده على ذؤابة شيبة بن وهب الجمحي ... » (٥)

١ - سورة المزمل : ٤

٢ - هي اغماءة تشبه النعسة

٣ - محاسن البرقي ص ٣٣٨ . امالى الشيخ ص ٣١ . بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٧١

و ص ٢٦٨

٤ - كمال الدين : الصدوق ص ٨٥ . البحار ج ١٨ ص ٢٦٠

٥ - تفسير العياشي ج ١ ص ٢٨٨ . ولذؤابة : شعر مقدم الراس .

وقال عبادة بن الصامت : « كان اذا نزل الوحي على النبي «ص» كرب له و
تربده وجهه » (١). وفي رواية : «نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم فلما سرى عنه
رفع رأسه » (٢) .

وقال عكرمة : « كان اذا اوحى الى رسول الله «ص» وقد لذلك ساعة كهياة
السكران » (٣) .

وقال ابن اروي الدوسي : رأيت الوحي ينزل على النبي «ص» وانه على
راحلته فترغوا ، وتقتل يديها حتى اظن ان ذراعها ينقصم . فربما بركت وربما قامت
موتدة يديها حتى يسرى عنه ، من ثقل الوحي . وانه ليتحدر منه مثل الجمان » (٤) .
وقالت عائشة : « ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم
عنه : وان جبينه ليتفصد عرقاً » (٥) . وقالت ايضاً : « انه كان ليوحى على رسول الله «ص»
وهو على راحلته فيضرب بجرا نها » (٦) .

وقال ابن عباس : « كان النبي ﷺ اذا نزل عليه الوحي ، يعالج من ذلك

١- طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣١ . « كرب » - بالبناء للمجهول : اي انقبضت نفسه وتغيرت
حالته . « تربد » اي تغير لون وجهه الى الغبرة .

٢- دائرة معارف القرن العشرين ج ١٠ ص ٧١٢ .

٣- الطبقات ج ١ ص ١٣١ . « وقد » - بالبناء للمجهول - : اي غشى عليه . والموقوذ :
من غلبه النعاس فصار كهياة السكران .

٤- الطبقات ج ١ ص ١٣١ . « غوترة » اي تضج وتكاد بدن شدة الثقل . « فقتل يديها » اي تباعد
بينهما . « ينقصم » اي ينكسر . « قامت موتدة » اي وففت جامدة لا حراك لها ، وثبتت قوائمها كالسمار
المثبت في الارض . « التحد » : الانصباب السريع ، « الجمان » اللؤلؤ . والواحدة : جمانة . شبه بذلك
قطرات عرق جبينه الطيب .

٥ - صحيح البخاري ج ١ ص ٣ . « التصفد » : قطع العرق الذي ينصب منه الدم بتدفق ،
استعارة لكثرة انصباب عرقه الطيب حين نزول الوحي .

٥ - مجمع البيان : الطبرسي ج ١٠ ص ٣٧٨ . والبحار ج ١٨ ص ٢٦٣ . « الجران » من
البعير مقدم عنقه . يقال : القى البعير جرانه اي برك .

شدة ، والمأ شديداً وثقلاً ، ويتصدع رأسه» (١) .

و قال ابن شهر آشوب : وروى انه كان اذا نزل عليه الوحي ، نكس رأسه ونكس اصحابه رؤوسهم . ومنه يقال : برحاء الوحي (٢) .

وروى ابن قيم : انه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءه الوحي مرة ، وفخذه على فخذه زيد بن ثابت فنقلت عليه حتى كادت ترصها (٣) .

وروى صاحب المنتقى ، قال : وفي الحديث المقبول انه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اوحى اليه و هو على ناقته فبركت ووضعت جرانها بالارض فما تستطيع ان تتحرك . وان عثمان كان يكتب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفخذه على فخذه عثمان فغشيه الوحي ، فنقلت وفخذه على فخذه عثمان حتى قال : خشيت ان ترصها (٤) .

* * *

واخيراً فقد وصف هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزول الوحي عليه بما يدهش :

سأله عبد الله بن عمر : هل تحس بالوحي ؟ فقال : اسمع صلاصلا ، ثم اسكت عند ذلك ، فما من مرة يوحى الى الاظننت ان نفسى تقبض! (٥)

و سأله الحارث بن هشام ، قال : يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف يأتيك الوحي ؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو اشدّه على ، فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال (٦) . و احيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى ، فاعى مايقول (٧)

١- بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦١ عن المناقب ج ١ ص ٤١

٢ - بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦١ . عن المناقب ج ١ ص ٣١ . والبرحاء : شدة الكرب والالام .

٣- زاد المعاد لابن قيم ج ١ ص ١٨

٤- بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦٤ . وعثمان هذا هو ابن مظعون ، كما جاء التصريح به فى رواية

عن الامام الباقر (ع) فى كتاب سعد السعود ص ١٢٢ والبحار ج ١٨ ص ٢٦٩

٥- الاتقان : جلال الدين ج ١ ص ٤٤ . عن مسند احمد بن حنبل .

٦- سنشرح هذا الكلام فيما تنبه عليه تالياً .

٧- صحيح البخارى ج ١ ص ٣ . الطبقات ج ١ ص ١٣٢ . بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦٠ .

والصلصلة : صوت تذاك الحديد بعضهما مع بعض .

وهو اهونه على» (١) .

وتذيلا على هذه الرواية - وهى متواترة الى حد ما - يجب ان ننبه القارى على نقاط هامة :

اولا صلصلة الجرس فى هذه الرواية ، كناية عن صوت متعاقب كصوت الناقوس المصلصل المجلجل ، كان ﷺ يسمع صوتا متداركاً كجلجلة الناقوس ، هو صوت الوحي المباشر ، فكان ﷺ ينصت له بكل وجوده حتى يتلقاه كملا . وكان ذا وقع شديد على نفسه الكريمة . وهذا التعبير «صلصلة الجرس» يشى بشدة الوقع ، حيث تتابع الصوت المتدارك يؤثر على حاسة السمع تأثيراً نافذاً فى الاعماق ، فكأنما يأخذ بلب القلب ، اخذاً متواصلاً قوياً ومن ثم قال ﷺ : ظننت ان نفسى تقبض .

و الظاهر ان هذه الصلصلة كانت تمهيد النزول الوحي عليه ﷺ كى يستعد لذلك الاتصال الروحي الشديد . ومن ثم قال : ثم اسكت عند ذلك ، اى انصت حيث الاشعار بنزول الوحي .

نعم كان للوحي ذاته دوى شديد بالغ الشدة ، لم يكن يتحمله اهل السماوات العلا .

قال ابو جعفر محمد بن على الباقر ﷺ فى تفسير قوله تعالى : حتى اذا فزع عن قلوبهم ، قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير (٢) - : « كان اهل السماوات لم يسمعوا وحيأ فى الفترة بين المسيح ﷺ و بعثة محمد ﷺ فلما بعث الله محمداً ﷺ سمع اهل السماوات صوت وحى القرآن كوقع الحديد على الصفا ، فصعقوا اجمعين . فلما فرغ الله من الوحي ، انحدر جبرئيل ، كلما مر باهل سماء فزع عن قلوبهم ، اى كشف عنهم تلك الغشية . فجعل بعضهم يقول لبعض :

١ - هذا الزيادة جاءت فى رواية ابى عوانة فى صحيحه . راجع : فتح البارى بشرح البخارى

لابن حجر ج ١ ص ٣٠ . والاتقان للسيوطى ج ١ ص ٤٤ .

٢ - سورة سبأ : ٢٣

ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ، وهو العلى الكبير (١)

وفى حديث ابن مسعود : «اذتكلم الله بالوحى سمع اهل السماوات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان - الحجر الاملس - فيفزعون » (٢) .

وقال ابن عباس : «كان اذا نزل الوحى كان صوته كسوق الحديد على الصفوان ، فيصعق اهل السماء حتى اذا فزع عن قلوبهم - اى رفع عنهم الفزع - قالوا ماذا قال ربكم ، قالت الرسل ﷺ - : الحق » (٣) .

وروى عن رسول الله ﷺ - انه قال : «اذا اراد الله ان يوحى بأمر ، تكلم بالوحى ، فاذا تكلم اخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله تعالى ، فاذا سمع بذلك اهل السماوات صعقوا وخرؤا سجداً ...» (٤) .

وبعد .. فلا نكاد نستغرب من غشية تعترى رسول الله ﷺ ساعة نزول الوحى عليه اذا كان اهل السماوات لاتتحمل وقع صوته المدهش .

* * *

ثانيا - هذا النمط من الوحى الشديد الوقع على نفسه الكريمة، كان يخص الوحى المباشر ، كما تقدم حديثه . كما ان الرواية ذاتها تشى بهذا التفصيل ، حيث جعلت من النوع الاول مثل صلصلة الجرس ، فكأن صوت الوحى النازل عليه مباشرة . ومن ثم قال ﷺ : وكان اشده علىى وجعلت من النوع الثانى مايكلمه الملك مشافهة فيعى ما يوحى اليه فى حينه ، لانه ﷺ كان حينئذ فى حالته العادية . وزعم جلال الدين : ان النوعين الذين اشارت اليهما الرواية : احدهما ما كان الملك النازل بالوحى مختفيا . و الاخر ما كان متمثلا (٥) وهذا مخالف لما يفهم

١ - تفسير على بن ابراهيم القمى ص ٥٣٩ .

٢ - الاتقان ج ١ ص ٤٤

٣ - الدر المنثور ج ٥ ص ٢٣٥

٤ - الدر المنثور ج ٥ ص ٢٣٦

٥ - الاتقان ج ١ ص ٢٤

من الرواية ذاتها ، كما نبه بذلك شيخنا الصدوق (١) . ومر في حديث الامام الصادق عليه السلام (٢) .

* * *

ثالثاً ان الجذبة الروحية القوية فى الصورة الاولى ربما كانت توهم انفلات شىء من الوحى ، حينما يفقد صلى الله عليه وآله وعيه الظاهر . لكنه صلى الله عليه وآله تدارك هذا الوهم بانه كان بعد ما يتقشع غشوته يجد كل ما وحي اليه حاضرة ذهنه الشريف ، كانما كتب فى كتاب ، ولم ينفلت منه شىء . وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله : « فيفصم عنى وقد وعيت » . والسبب فى ذلك : ان الوحى فى صورة المباشرة كان يخالط لبه ، ويتسرب الى اعماق وجوده صلى الله عليه وآله بما انقذه الله فى قلبه الكريم «سنقرئك فلا تنسى» (٣) . و بهذا يتضح معنى الحديث الذى رواه ابن ابى سلمة عن عمه ، انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول : « كان الوحى يأتينى على نحوين ، يأتينى بجبرئيل فيلقيه على ، كما يلقي الرجل على الرجل (٤) ، فذلك الذى يتفلت منى . ويأتينى فى شىء (٥) مثل صوت الجرس ، حتى يخالط قلبى ، فذاك الذى لا يتفلت منى » (٦) . قوله صلى الله عليه وآله : فذلك الذى يتفلت منى . اى الذى كان يكاد يتفلت منه . لانه كان سماعاً مباشراً من ملك الوحى ، وسرعان ما ينسى الانسان ما يسمعه من غيره اذا لم يعه وعياً . فهذا النمط من الوحى كان بمعرض النسيان وخوف التفلت - كما هو شان السماع المجرد اذالم يتقيد بالكتابة فى وقته - لانه كان يتفلت منه بالفعل . اما فى صورة الوحى المباشر فحيث كان يخالط لبه وينفذ فى اعماق قلبه الكريم ، فلم يكن

١ - كمال الدين ص ٨٥ والبحار ج ١٨ ص ٢٦٠

٢ - حاسن البرقى ص ٣٣٨ والبحار ج ١٨ ص ٢٧١

٣ - سورة الاعلى : ٦

٤ - اى كما يلقي الرجل بكلامه على صاحبه . وهذا هو الصورة الثانية مما تقدم .

٥ - اى الوحى ذاته يأتينى بلا توسط ملك . وهى الصورة الاولى مما تقدم .

٦ - طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣١

بخشى عليه التفلت اصلا .

هذا و قد وقع بعض الباحثين ، فى خلط من هذا الحديث (١) و رفضه آخرون . لكن المعنى على ما ذكرنا صحيح ، توافقه سائر الاحاديث .

تجربة روحية :

رأينا من المناسب ان نأتى هنا بذكر شاهد واحد من مآت الشواهد ، والتي مرت الاشارة اليها ، على صحة وجود النفس ، وان للانسان روحاً مستقلة عن الجسم ، وهى لاتنحل بانحلاله ، ويمكنها الاتصال بعالم ماوراء المادة ... وهى طريقة التنويم الصناعى او التنويم المغناطيسى . وهذه التجربة حضرها الاستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى سنة ١٣٥١ هجرية بالقاهرة مع حشد مثقف ، وشهد تفاصيلها بنفسه بمرآى الملاء ومسمع . وهذه التجربة اثبتت كيف يمكن التأثير على ذهنية الوسيط وتغيير عقيدته بفعل المنوم ، فيوحى اليه و هو فى حالة الاغماء ، ويأمره بالاحتفاظ به الى مدة كذا ، ثم يوقظه واذا بالذى اوحى اليه حاضره ذهنه الى تمام المدة :

قام المحاضر - وهو استاذ فى التنويم المغناطيسى - واحضر الوسيط ، وهو فتى فيه استعداد خاص للتأثر بالاستاذ ، والاستاذ فيه استعداد خاص للتأثير على الوسيط ، فالاول ضعيف النفس ، والثانى قويا . نظر الاستاذ فى عين الوسيط نظرات عميقة نافذة ، واجرى عليه حر كات يسمونها سحبات ، فما هى الا لحظة حتى رأينا الوسيط يغط غطيظ النائم ، و قد امتقع لونه ، وهمد جسمه ، و فقد احساسه المعتاد ، حتى لقد كان احدها يخزه بالابرة وخزات عدة ، ويخزه كذلك ثان وثالث ، فلا يبدى الوسيط حراكاً ، ولا يظهر اى عرض لشعوره واحساسه بها . وحينئذ تأكدنا انه قد نام ذلك النوم الصناعى .

وهناك تسلط الاستاذ على الوسيط يسأله : ما اسمك ؟ فاجابه باسمه الحقيقى ، فقال الاستاذ : ليس هذا هو اسمك ، انما اسمك كذا (وافترى عليه اسماً آخر) ثم اخذ يقرر فى نفس الوسيط هذا الاسم الجديد الكاذب ، ويمحو منه اثر الاسم القديم

الصادق ، بواسطة اغاليط يلقنها اياه فى صورة الادلة ، وبكلام يوجهه اليه فى صيغة الامر والنهى ، وهكذا املى عليه هذه الاكذوبة املاء وفرضها عليه فرضاً ، حتى خضع لها الوسيط واذعن .

ثم اخذ الاستاذ و اخذنا نناديه باسمه الحقيقى المرة بعد الاخرى فى فترات متقطعة ، وفى اثناء الحديث على حين غفلة ، كل ذلك وهو لا يجيب ، ثم نناديه كذلك باسمه المصنوع فيجب دون تردد ولا تلثم .

ثم امر الاستاذ وسيطه ان يتذكر دائماً ان هذا الاسم الجديد هو اسمه الصحيح حتى الى مابعد نصف ساعة من صحوه ويقظته . ثم ايقظه واخذ يتم محاضراته ونحن نفجأ الوسيط بالاسم الحقيقى فلا يجيب ، ثم نفجؤه باسمه الثانى فيجب ، حتى اذا مضى نصف الساعة المضروب عاد الوسيط الى حاله الاولى من العلم باسمه الحقيقى

قال الاستاذ الزرقانى : وبهذه التجربة ثبت لى ما قرب الى الوحي فهما عملياً ، فالوحي اتصال روحي يتأثر الموحي اليه بما يلقى اليه الموحي فى حالة يتسلخ من الرسول ﷺ حالته العادية ، ويظهر اثر التغير عليه ، ، ويستغرق فى الاخذ والتلقى ، وينطبع ما تلقاه فى نفسه ، حتى اذا انجلى عنه الوحي و عاد الى حالته الاولى ، وجد ما تلقاه ماثلاً فى نفسه ، حاضراً فى قلبه ، كانما كتب فى صحيفة فؤاده كتاباً .
ثم يقول : اتظن ان المخلوق يستطيع التأثير فى نفس مخلوق آخر ذلك التأثير الغريب ، ولا يستطيع مالك القوى والقدر ان يؤثر فى نفس من شاء من عباده بواسطة الوحي ؟ كلا ثم كلا ، انه على كل شىء قدير (مناهل العرفان ج ١ ص - ٦٠ - ٦١)

اقول و نحن اذ لانسلم بجميع التفاصيل التى جاءت بها طريقة التنويم المغناطيسى ، ولانصدق بجميع مظاهرها بصورة مطلقة ، اذ لا تخلوا احياناً عن السعادة لكننا نعترف بصحتها و امكانها فى الجملة ، ومن ثم فباستطاعة هذه الطريقة العلمية

الحديث المعترف بها اجمالاً ، اثبات ظاهرة الوحي - ولو اجمالاً - وفي هذا كفاية على نحو الايجاب الجزئي .

موقف النبي (ص) من الوحي :

هنا موضوعان لهما اهمية كبيرة بشأن رسالة الانبياء وصدق دعوتهم الى الله ، لابد من معالجتهما بصورة علمية مقبولة . وقد تكلم فيهما عامة اهل السنة بطريقة غير مألوفة ، وربما لا يستسيغها العقل الفطري في شيء . اما علماؤنا الامامية فتكلموا فيهما بطريقة عقلية على اساس الاستدلال البرهاني مدعماً بالنقل المأثور عن ائمة اهل البيت (ع) :

الاول : كيف عرف النبي ﷺ انه مبعوث ؟ ولم لم يشك في ان الذي اتاه شيطان ، واطمان انه جبرائيل ؟

الثاني : هل يجوز على النبي ﷺ ان يخطأ فيما يوحى اليه ، فيلتبس عليه تخيلات باطلة في نفسه لتبدو له بصورة وحي ، او يلقي عليه ابليس ما يظنه وحياً من الله ؟

و الاكثر في الموضوع الاول جعلوا من النبي (ص) مرتاعاً في اول امره ، خائفاً على نفسه من مس جنون ، عائداً الى احضان زوجه الوفية ، لتستجدهم بدورها الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، فيطمئنه هذا بانه نبي ويؤكد عليه ذلك حتى يطمأن ويستريح باله .

اما الموضوع الثاني فقد اجازوا لابليس ان يتلاعب بوحي السماء فيلقى على النبي ما يظنه وحياً - كما في حديث الغرائيق - لولا ان يتداركه جبرائيل فيذهب بكيد الشيطان .

و قد ذهب ائمة اهل البيت (ع) في كلا الموضوعين مذهباً نزيهاً ، وجعلوا من النبي (ص) اكرم على الله من ان يتركه الى انسان غيره ولا ينير عليه الدلائل

الواضحة على نبوته الكريمة فى تلك الساعة الحرجة. كما لا يدع للشيطان ان يستحوذ على مشاعر نبيه الكريم : «واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم» (١) .

هذا ... ويجدر بنا ونحن نحاول تنزيه جانب رسول الله (ص) مما الصلوقه بكرامته، ان نتكلم فى كلا المجالين بصورة مستوفاة ، كلا عليحدة :

النبوة مقرونة بدلائل نيرة :

يجب على الله - وجوباً منبثقاً من مقام لطفه ورأفته بعباده - ان يقرن تنبيئه انساناً بدلائل نيرة لاتدع لمسارب الشك مجالاً فى نفسه ، كما ارى ابراهيم ملكوت السماوات والارض ، ليكون من الموقنين (٢) . وكما نودى ياموسى انى انا الله (٣) ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم (٤) . ياموسى لاتخف انى لا يخاف لى المرسلون (٥) .

هذا هو مقتضى قاعدة اللطف ، وقد بحث عنها علماء الكلام (٦) ، وتتلخص فى : تمهيد سبيل الطاعة . فواجب عليه تعالى ان يمهد لعباده جميع ما يقر بهم الى الطاعة ويبعدهم عن المعصية . وهذا الوجوب منبثق من مقام حكمته تعالى اذا كان يريد من عباده الانقياد ، والا كان نقضاً لغرضه من التكليف . ومن ثم وجب عليه تعالى ان يبعث الانبياء وينزل الشرائع و يجعل فى الامم ما ينير لهم درب الحياة ، اما الى سعادة فباختيارهم . او الى شقاء فباختيارهم ايضاً (٧) .

١ - سورة الطور : ٤٨

٢ - مقتبس من الآية : سورة الانعام .

٣ - سورة طه : ١١

٤ - سورة النمل : ١٠٩

٥ - علم منشعب عن الفلسفة الحكيمية ، يبحث عن احوال المبدء والمعاد فى ضوء العقل و ارشاد الشريعة .

٦ - راجع : شرح تجريد الاعتقاد، للعلامة الحلى ص ١٨١

وطبقاً لهذه القاعدة لا يدع - تعالى - مجالا لتدليس اهل الزيغ والباطل ،
 الا ويفضحهم من فورهم «ولو تقول علينا بعض الاقاويل ، لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه
 الوتين» (١) فالحق دائماً يعلو ولا يعلو عليه ، والحق والباطل دائماً على وضوح الجلاء ،
 لا يكدر وجه الحق غبار الباطل ابداً ، «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو
 زاهق» (٢) . «انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا» (٣) . وهذا انما هو
 نصر واعتلاء مبدئي ، فالحق دائماً ظاهر منصور ، وان رسالة الانبياء دائماً تكون هي
 الغالبة الظافرة ، «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين : انهم لهم المنصورون . وان
 جندهم لهم الغالبون» (٤) . نعم «ان كيد الشيطان كان ضعيفاً» (٥)
 قال الامام الصادق عليه السلام : «ابى الله ان يعرف باطلا حقاً . ابى الله ان
 يجعل الحق في قلب المؤمن باطلا لاشك فيه ، وابى الله ان يجعل الباطل في قلب
 الكافر المخالف حقاً لاشك فيه . ولولم يجعل هذا هكذا ما عرف حق من باطل» .
 وقال «ليس من باطل يقوم بازاء الحق ، الا غلب الحق الباطل . وذلك قوله
 تعالى : بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق» (٦) .
 هذا .. وقد سأل زرارة بن اعين ، الامام ابا عبد الله الصادق عليه السلام عن نفس
 الموضوع . قال : قلت لابي عبد الله : كيف لم يخف رسول الله ﷺ فيما يأتيه
 من قبل الله ان يكون مما ينزغ به الشيطان؟ فقال عليه السلام : ان الله اذا اتخذ عبداً رسولاً ،
 انزل عليه السكينة والوقار - اى الطمأنينة والاتزان الفكرى - فكان الذى يأتيه من

١ - سورة الحاقة : ٢٥

٢ - سورة الانبياء : ١٨

٣ - سورة غافر : ٥١

٤ - سورة الصافات : ١٧١-١٧٣

٥ - سورة النساء : ٧٦

٦ - معاسن البرقى ، كتاب مصابيح الظلم ، الحديث رقم ٣٩٢ و ٣٩٥ . ص ٢٢٢

قبل الله ، مثل الذى يراه بعينه» (١) اى يجعله فى وضوح الحق ، لا غبار عليه ابداً ،
فيرى الواقع ناصعاً جلياً لا يشك ولا يضطرب فى رأيه ولا فى عقله . وقد اوضح
الامام عليه السلام ذلك فى حديث آخر ، سئل عليه السلام : كيف علمت الرسل انها رسل ؟ قال :
« كشف عنهم الغطاء » .. (٢) .

قال العلامة الطبرسى : ان الله لا يوحى الى رسوله الا بالبراهين النيرة و
الايات البينة ، الدالة على ان ما يوحى اليه انما هو من الله تعالى فلا يحتاج الى شىء
سواها ، ولا يفزع ولا يفزع ولا يفزع ولا يفزع » (٣) .

وقال القاضى عياض : « لا يصح - اى فى حكمته تعالى ، وهو اشارة الى قاعدة
اللطيف - ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك ، ويلبس عليه الامر ، لافى اول
الرسالة ولا بعدها . والاعتماد - اى اطمينان النبى - فى ذلك دليل المعجزة . بل لا يشك
النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان ما يأتى من الله هو الملك و رسوله الحقيقى اما بعلم ضرورى يخلقه
الله له ، او ببرهان جلى يظهره الله لديه . لتتم كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلمات
الله » (٤) .

اذن فلا بد ان يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين انبعائه نبياً على علم يقين ، بل عين
يقين من أمره ، لا يشك ولا يضطرب ، مستيقناً مطمئناً بالله . مرعياً بعناية الله تعالى
ولطفه الخاص ، منصوراً مؤيداً ، ولا سيما فى بدء البعثة فيأتيه الناموس الاكبر وهو
الحق الصراح معانيها مشهوداً ، وهى موقعية حاسمة لا ينبغى لنبى ان يتزلزل فيها او يتروع
فى موقفه ذلك الحرج العصيب : « انسى لا يخاف لدى المرسلون » (٥) .

١- العياشى ج ٢ ص ٢٠١ والبحار ج ١٨ ص ٢٦٢

٢- بحار الانوار ج ١١ ص ٥٦

٣- مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٨٤

٤ - رسالة الشفا ص ١١٢

٥- سورة النمل: ١٠

و ايضاً فان النبي ﷺ لم يختره الله لنبوته ، الا بعد ان اكمل عقله و أدبه فاحسن تأديبه . وعرفه من اسرار ملكوت السماوات والارض ما يستأهله للقيام بمهمة السفارة وتبليغ رسالة الله الى العالمين . كما فعل بابراهيم الخليل عليه السلام قال الامام امير المؤمنين عليه السلام : «ولقد قرن الله به -ص- من لدن ان كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره .» (١) وقال الامام العسكري عليه السلام : «ان الله وجد قلب محمد - ص - افضل القلوب واوعاها فاختره لنبوته .» (٢) .

قال العلامة المجلسي : «منذ ان اكمل الله عقله ، لم يزل مؤيداً بروح القدس يكلمه ويسمع صوته ويرى الرؤيا الصادقة ، حتى بعثه الله نبياً رسولا» (٣) . والدلائل على انه - ص - منذ بدايته كان مورد لطفه تعالى وعنايته الخاصة كثيرة ، وقد عرف قومه فيه النبوغ والجدارة الذاتية ، ولمسوا فيه الصدق والامانة والذكاء والفتنة، فوجدوه مزيجاً من الاستقامة وحصافة العقل، حتى حُبب الى الناس جميعاً ولقبوه بالصادق الامين ، اميناً في رأيه ، واميناً في سلوكه .

وكان قبيل بعثته تظهر له علائم النبوة ، فقد ظهرت آياتها قبل ثلاث سنوات من بعثته وهو في سن السابع والثلاثين - كما في رواية علي بن ابراهيم القمي (٤)- فكان يرى الرؤيا الصادقة ، و كان يختلي بنفسه في غار حراء ، متفكراً في اسرار الملكوت ، متعمقاً في ذات الله متطلعاً سر الخليفة ، حتى فجأه الحق وقد بلغ سن الاربعين . فقد كان ممهداً نفسه لذلك ، عارفاً بسمات أمر قد اشرفت طلائعه منذ حين .

١ - نهج البلاغة ج ١ ص ٣٩٢ الخطبة القاصعة.

٢ - بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٠٦

٣ - » » ص ٢٧٧

٤ - راجع: ص: ٣١

وهكذا انسان لا يفرع ولا يفرق ولا يظن بنفسه الجنة او عارضة سوء ، ليلتجأ الى امرأة لاعهد لها باسرار النبوات او رجل (١) كان حظه من العلم ان قرأ كتباً محرقة وآثراً بائدة ، لم يثبت آنذاك انه لمس حقائق ومعارف من الملك والملكوت كانت موجودة فيها لحد ذاك، غير ممسوخة عن فطرتها الاولى.

على ان النبي محمداً ﷺ كان اشرف الانبياء و افضل المرسلين وخاتم سفراء رب العالمين ، فكان اكرم عليه تعالى من ان يتركه ونفسه يتلوى في احضان القلق والاضطراب ، خائفاً على نفسه مس جنون او الاستحواذ على عقله الكريم - على ما جاءت في روايات آتية لقيمة لها عندنا .

اذن فقد كان موقف النبي ﷺ تجاه نزول الحق عليه - في بدء البعثة - موقف انسان واع بجلى الامر ، عارف بحقيقة الحق النازل عليه، في اطمئنان بالغ وسكون نفس وانسراح صدر، لم يتردد ولم يشك ولم يضطرب، كما لم يفرع ولم يفرق. وسندكر قصة بدء البعثة على ما جاءت في روايات اهل البيت - ع - وهى تشرح جوانب من موقف النبي - ص - آنذاك ملؤها عظمة واكبار وابهة وجلال .

قصة ورقة بن نوفل :

تلك كانت قصة البعثة ، وفق ما جاءت في احاديث اهل البيت ، وهم ادرى بما في البيت ، واليك الان حديثاً آخر عن بعثة النبي محمد - ص - على ما جاءت في روايات غيرهم :

روى البخارى و مسلم و ابن هشام والطبرى واضرابهم : « بينما كان النبى - ص - مختلياً بنفسه فى غار حراء اذسمع هاتفا يدعوه ، فاخذه الروع ورفع رأسه و اذا صورة رهيبة هى التى تناديه ، فزاد به الفزع و اوقفه الرعب مكانه ، وجعل يصرف وجهه عما يرى ، فاذا هو يراه فى آفاق السماء جميعاً ويتقدم و يتأخر فلا تنصرف الصورة من كل وجه يتجه اليه . واقام على ذلك زمناً ، ذاهلاً عن نفسه ،

١ - هو: ورقة بن نوفل ابن عم خديجة . تأتى قصته فى الفصل التالى .

وكادان يطرح بنفسه من حائق من جبل ، من شدة ما ألم به من روعة المنظر الرهيب . وكانت خديجة قد بعثت اثناءه من يلتمس النبی - ص - فى الغار فلا يجده ، حتى اذا انصرفت الصورة ، عاد هو راجعاً ، و قلبه مضطرب ممتلئاً رعباً وهلعاً ، حتى دخل على خديجة وهو يرتعد فرقاً كأن به الحمى ، فنظر الى زوجه نظرة العائد المستنجد ، قائلاً : يا خديجة : مالى ؟ ! وحدثها بما رأى ، و افضى اليها بمخاوفه ان تخدعه بصيرته . قال : لقد اشفقت على نفسى ، وما ارانى الا قد عرض لى (١) و قال : ان الابد - يعنى نفسه الكريمة - لكاهن او مجنون !

فرنت اليه زوجه الوفية بنظرة الاشفاق ، و قالت : كلا يا ابن عم ، ابشر و اثبت ، والله لا يخزيك ابداً . فو الذى نفس خديجة بيده ، انى لارجو ان تكون نبى هذه الامة ، انك لتصل الرحم ، و تصدق الحديث ، و تقرى الضيف ، و تعين على النوائب ، و ما اوتيت بفاحشة قط . وهكذا طمأنته بحديثها المرفه .

ثم قامت بتجربة ناجحة : قالت : يا ابن عم ، أستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك ؟ قال : نعم . قالت : فاذا جاءك فاخبرنى به . فجاءه الملك كما كان يأتيه . فقال رسول الله ﷺ : يا خديجة ، هذا هو قد جاءنى . فقالت : نعم ، فقم يا ابن عم و اجلس على فخذى اليسرى . فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها . فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحول واقعد على فخذى اليمنى ، فتحول رسول الله ﷺ - ص - فجلس عليها . فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت فتحول و اجلس فى حجرى ، فتحول و جلس فى حجرها ، ثم تحسرت (٢) و اقلت خمارها ، و رسول الله ﷺ جالس فى حجرها . فقالت : هل تراه يا ابن عم ؟ قال : لا . فقالت : يا ابن عم ، ابشر و اثبت ، فوالله انه لملك و ما هو بشيطان .

ثم تو كيداً لما استنتجته من تجربتها ، انطلقت الى ابن عمها ورقة بن نوفل و كان متنصراً قارئاً للكتب ، فقصت عليه خبر ابن عمها محمد ﷺ فقال ورقة :

١ - قال ابن الاثير: اى اصابنى مس من الجن .

٢ - اى كشفت عن نفسها .

قدوس قدوس . لئن كنت صدقتني يا خديجة ، فقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتي موسى . فقولى له : فليثبت . وأنه لنبي هذه الامة . ولوددت ان ادراك ايامه فأؤمن به وانصره . فعادت خديجة الى رسول الله ﷺ واخبرته بما قال ، فعند ذلك اطمأن باله ، وذهبت روعته ، وايقن انه نبي (١) .

* * *

قلت : لاشك ان قصة ارتياح النبي ﷺ بتلك الصورة الفضيعة ، اسطورة خرافة حاكتها عقول ساذجة ، جاهلة بمقام انبياء الله الكرام . ومن ثم فهي ازراء بشأنهم الرفيع ، و حط من منزلتهم الشامخة ، ان لم تكن ضعضة باقوى دعامة رسالة الله !

اولا - النبي ﷺ اكرم على الله من ان يروعه فى ساعة حرجة هي نقطة حاسمة فى حياة رسوله الكريم ، هي نقطة تحول عظيم ، من انسان كامل كان مسؤول نفسه ، الى انسان رسول هو مسئول امة باجمعها ، كان قبل ان يصل الى موقفه هذا العصيب ، يسير قدماً الى قمة الاكتمال الانساني الاعلى ، فى سفرة خطيرة كان مبدؤها الخلق ومنتهائها الحق تعالى . فكان يسير من الخلق الى الحق . والان وقد وصل القمة ، فعاد من الحق ، حاملاً للحق ، الى الخلق (٢) .

فساعة البعثة هي الفترة الحاسمة ، وهي الحلقة الواصلة بين السفرتين الذاهبة والراجعة ، وهي موقف حرج ، حاشا الله ان يترك حبيبه يكابد الامرّين حينما بلغ قمة اللقاء ، والان يريد ان يختاره رسولا الى الناس ، فيتركه يتلوى فى هواجس

١ - راجع : سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٢ - ٢٥٥ . صحيح البخارى ج ١ ص ٣ - ٤ .

صحيح مسلم ج ١ ص ٩٧ - ٩٩ . تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٩٨ - ٣٠٣ . تفسيره ج ٣٠ ص

١٦١ . حياة محمد : هيكمل ص ٩٥ - ٩٦ .

٢ - على ما جاء فى تعبير الفيلسوف الالهى ، الحكيم صدر الدين الشيرازى تقدم كلامه

مخطرة ، وبروعه بتلك الصورة الفضيعة التي تكاد تذهب بنفسه الكريمة او تستحوذ على عقله روعة المنظر الرهيب !!

أليس محمد ﷺ اكرم على الله من ابراهيم الخليل وموسى الكليم وغيرهما من انبياء عظام، لم يتركهم فى ساعة العسرة ، ليلتجأوا الى انسان غيره ، حاشاه من رب رؤوف رحيم!!

ثانياً - انا لنربأ بعلماء - هم اهل تحقيق وتمحيص - ان يفضلوا عقلية امرأة لاشأن لها واسرار النبوات ، على عقلية انسان كامل كان قد بلغ القمة التى استأهلته لحمل رسالة الله . ثم تقوم هى بتجربة حاسمة يجهلها رسول رب العالمين . ليطمأن الى قولتها . او قولة رجل كان شأنه ان كان قارئاً للكتب ، وليس لذلك العهد كتب فيها حقائق ومعارف غير محرقة قطعياً . ولم نعرف ما الذى وجده رسول الله ﷺ فى قولتهما فكان منشأ اطمئنانه ، لم يجده فى الحق النازل عليه من عند الله العزيز الحكيم .

الم تكن الرؤى الصادقة التى سبقت البعثة ، و لم يكن تسليم الملك النازل عليه حينها : السلام عليك يا رسول الله . و تسليم الشجر والحجر كلما مر بهما فى طريقه راجعاً الى بيت خديجة . و لم يكن عرفانه الذاتى الذى كان يتعمقه مدة اختلاؤه بحراء . كل ذلك لم يستوجب استيقانه بالامر ، ليستيقن من طمأنة امرأة او رجل متنصر !! ان هذا الا ازراء فضيع بمقام رسالة الله ، ان لم يكن مسأ شنيعا بكرامة رسول الله ﷺ المنيع .

ثالثاً - اختلاف سرد القصة ، بما لا يلائم مع بعضها البعض ، لدليل على كذبها رأساً . ففى رواية : انطلقت خديجة لوحدها الى ورقة ، فاخبرته بما جرى . وفى اخرى : انطلقت بي الى ورقة وقالت : اسمع من ابن اخيك . فسألنى فاخبرته ، فقال : هذا الناموس الذى انزل على موسى . وفى ثالثة : لقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالبيت فقال يا بن اخى ، اخبرنى بما رأيت وسمعت . فاخبره رسول الله ﷺ . فقال له ورقة : و الذى نفسى بيده انك لنبى هذه الامة .

ولئن ادركت ذلك لانصرن الله نصرأ يعلمه . وفي رابعة : عن ابن عباس عن ورقة ابن نوفل . قال : قلت : يا محمد اخبرني عن هذا الذي يأتيك ، يعنى جبرئيل عليه السلام فقال : يأتيني من السماء جناحه لؤلؤ و باطن قدميه اخضر (١) . وهذا ليس في روايات خديجة مع ورقة . على ما جاءت في الصحاح المتقدمة . وفي خامسة : ان ابا بكر دخل على خديجة ، فقالت ، انطلق بمحمد الى ورقة ، فانطلقا فقصا عليه ... (٢) ثم لوصحت القصة ، فلماذا لم يؤمن به ورقة ، حينذاك وقد علم انه نبي مبعوث؟! فقد صح انه مات كافراً لم يؤمن به . وقضية رؤيا النبي -ص- : كان ورقة في ثياب بيض . ايضاً مكذوبة وسندها مقطوع . والا لسجل اسمه فيمن آمن به . قال ابن عساكر : لا اعرف احداً قال انه اسلم (٣) هذا وقد عاش ورقة الى زمن بعد البعثة ، فقد روى انه مر ببلال وهو يعذب (٤) قال ابن حجر : وهذا يدل على انه عاش حتى ظهرت دعوته عليه السلام و دعا بلالا فاسلم . اذن فلم يبق على كفره ولم يسلم كما اسلم الاخرون؟ ولم لم ينصره كما نصره آخرون؟ وقد خالف عهده كما جاء في الاسطورة .

الوحي لا يحتمل التباساً:

هذا هو الموضوع الثاني - فيما اشرنا سابقاً - : النبي صلى الله عليه وسلم لا يخطأ فيما يوحي اليه ، و لا يلتبس عليه الامر قط . النبي كان عند ما يوحي اليه : يكشف عن عينه الغطاء ، فيرى الواقعة فيما يتصل بجانب روحه الملكوتي ، منقطعاً عن صوارف المادة ، انه صلى الله عليه وسلم حينذاك يلمس تجليات و اشراقات نورية تغشاها من عالم الملكوت ، لينصرف بكليته الى لقاء روح الله و تلقى كلماته ، فيرى حقيقة الحق النازل عليه بشعور واعي و بصيرة نافذة ، كمن يرى الشمس في وضوح النهار ، لا يحتمل خطأ في ابصاره ولا التباساً فيما يعبه .

وهكذا الوحي ، اذ لم يكن فكرة نابعة من داخل الضمير ، ليحتمل الخطأ

١- اسد الغابة: ابن الاثير ج ٥ ص ٨٨ والرواية ضعيفة بروح بن مسافر . ولم يدرك ابن عباس ورقة

٢- الاتقان ج ١ ص ٢٤

٣- الاصابة : ابن حجر ج ٣ ص ٦٣٣

٤- نفس المصدر .

فى ترتيب مقدمات استنتاجها . او ابصاراً من بعيد ليحمل التباساً فى الانطباق (١) .
بل هى مشاهدة حقيقة حاضرة بعين نافذة . فاحتمال الخطأ فيه مستحيل .

* * *

تلك طريقة علمية فلسفية (٢) تهدىنا الى الاعتراف بعدم احتمال الوحي الخطأ
ابداً . و من ثم فان شريعة الله النازلة على ايدى رسله الامناء ، مصونة عن احتمال
الخطأ رأساً .

وهناك طريقة اخرى عقلية تحتم لزوم عصمة الانبياء ، فيما يبلغون من شرائع
الله ، يفصلها علماء الكلام . وتتلخص فى ان النبى المبلغ عن الله ، يجب - فى ضوء
قاعدة اللطف - ان ينعم بصحة كاملة فى اجهزة احساسه ، و سلامة تامة فى قوى
مشاعره ، وفى مقدرته العقلية ، فيكون مستقيماً فى آرائه ونظرياته ، معتدلاً فى خلقه
وسيرته ، مستوياً فى خلقته وصورته . وبكلمة جامعة : يجب ان يختار الله لرسالته

١ - الخطأ انما يحتمل فى مجالين : اما فى مجال التفكير او فى مجال الابصار الخارجى
- مثلاً - وذلك لان للاستنتاج الفكرى شرائط واحكاماً ، اذا ما اهملها المتفكر فسوف يقع
فى خطأ التفكير ، وكذلك ابصار العين الخارجية اذا كان من بعيد ، فربما يقع الخطأ فيه
من ناحية تطبيق ما عند النفس من مركبات ومعلومات على خصوصيات يراها موجودة فى العين
الخارجية ، فالخطأ انما هو فى هذا التطبيق النفسى ، لافى العين المشاهدة . لان الابصار عبارة
عن انطباع صورة الخارج - وهى واقعية لاتغير - فى الشبكة العنصرية خلف بؤرة العين . و
هذه ظاهرة طبيعية تتحقق ذاتياً اذا ما تحققت شرائطها . نعم كانت النفس هى التى تحكم على ما شاهده
العين بانه كذا وكذا ، والخطأ انما هو فى هذا الحكم ، لافى ذاك الابصار الطبيعى .

اذن فيما ان الوحي خارج عن الامرين ، لاتفكير ولا ابصار من بعيد - مثلاً - وانما هو
لمس حقيقة حاضرة فلاموقع للخطأ فيه اصلاً .

٢ - راجع : ما كتبه الاستاذ العلامة الطباطبائى بهذا الصدد فى رسالة الوحي «وحي يا شعور

مرموز» ص ١٠٢

انسانا كاملا فى خلقه و خلقه . كى لايتنفر الناس من معاشرته ، ويطمأنوا الى مايلغه
عن الله . والا كان نقضاً لغرض التشريع .

فالنبي -ص- معصوم من الخطأ والنسيان، ولا سيما فيما يخص تبليغ احكام
الشريعة . وهذا اجماع من المسلمين . ومن غيرهم من عقلاء اذعنوا برسالة الانبياء .
ولولاه لكان الالتزام بشرايع الدين سفهاً يأباه العقل (١) .

* * *

هذا مضافاً الى ماعهد الله لنبيه بالرعاية و الحفظ : « سنقرؤك فلا تنسى » (٢)
كان ﷺ فى بدء نزول القرآن ، يخشى ان يفوته شىء فكان يساق جبرئيل فيما
يلقى عليه كلمة بكلمة فهى عن ذلك : « لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه
و قرآنه . ثم ان علينا بيانه » (٣) « ولاتعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك وحيه . و
قل رب زدنى علماً » (٤) قال ابن عباس : فكان رسول الله « ص » بعد ذلك اذا اتاه
جبرئيل استمع له ، فاذا انطلق قرأ كما اقرئه (٥) ، و اخيراً فان قوله تعالى : « انا
نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون » (٦) يقطع اى احتمال الدس والتزوير فى نصوص
القرآن الكريم .

* * *

و اما احتمال تلبس ابليس ليتدخل فيما يوحى الى النبى ﷺ ويجعل من
تسويلاته الشيطانية فى صورة وحى و يلبسه على النبى ﷺ ليزعمه وحياً من الله .
فهو امر مستحيل ، لان الشيطان لا يستطيع الاستحواذ على عقلية رسل الله و عباده

-
- ١- راجع: مباحث العصمة من شرح تجريد الاعتقاد : المسألة الثالثة من المقصد الرابع
من مباحث النبوة العامة ص ١٩٥
٢ - سورة الاعلى : ٦
٣- سورة القيامة : ١٦- ١٩
٤- سورة طه : ١١٤
٥- طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣٢
٦- سورة الحجر : ٩

المكرمين: «ان عبادى ليس لك عليهم سلطان» (١) . ومتناف مع قوله تعالى: «ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين...» (٢) . وقوله تعالى: «وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى» (٣) . وقد قال الشيطان: «و ما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى» (٤) و متناف مع قاعدة اللطف الانفة ، و متناقض مع حكمته تعالى فى بعث الانبياء (ع) فى شرح سبق تفصيله .

نعم ذهب اصحاب الحديث من العامة الى امكان استحواذ الشيطان على عقلية الرسول ﷺ كما جاءت روايتهم لقصة الغرائق، الامر الذى نراه مستحيلا اطلاقاً، و من ثم فهي اسطورة وضعها من يريد الامتحان بمقام الرسالة ، ليعبر بها على عقول البسطاء ، فكانت غنيمة بايدى اعداء الاسلام . و اليك نص الاسطورة و نقدها تباعاً :-

اسطورة الغرائق :

روى ابن جبير الطبرى باسناد زعمها صحيحة، عن محمد بن كعب، ومحمد بن قيس، و سعيد بن جبير، وابن عباس، وغيرهم: ان النبى ﷺ كان فى حشد من مشركى قريش ، بفناء الكعبة ، او فى ناد من اند يتهم . وكانت تساوره نفسه لويأتيه شىء من القرآن يقارب بينه و بين قومه الالداء . اذ كان يتألم من مباعدهم ، وكان يرجو الائتلاف معهم مهما كلف الامر . واذأ نزلت عليه سورة النجم ، فجعل يتلوها حتى اذا بلغ : « افرايتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى » القى عليه الشيطان :

١- سورة الاسراء : ٥٥

٢- سورة الحاقة : ٢٦

٣- سورة النجم : ٥

٤- سورة ابراهيم : ٢٢

« تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترتجى » (١) فحسبها وحياً ، فقرأها على ملاء من قريش ، ثم مضى وقرأ بقية السورة . حتى اذا اكملها سجد و سجد المسلمون ، و سجد المشركون ايضاً ، تقديرأ بما وافقهم محمد ﷺ فى تعظيم آلهتهم و رجاء شفاعتهم . و طار هذا النبأ حتى بلغ مهاجرى الحبشة ، فجعلوا يرجعون الى بلدهم مكة . فر حين بهذا التوافق المفاجيء . كما فرح النبى ﷺ ايضاً بتحقيق امينته القديمة على ائتلاف قومه .

ويقال : ان شيطانا ابيض : هو الذى تمثل للنبى فى صورة جبرئيل والقى عليه تينك الكلمتين .

ويقال : كان النبى ﷺ يصلى عند المقام : اذ نعس نعسة فجرت على لسانه هاتان الكلمتان من غير شعور بهما .

ويقال : النبى ﷺ هو الذى تكلم بهما من تلقاء نفسه : حرصاً على ائتلاف قلوب المشركين . ثم ندم من فعله هذا الذى كان افتراء على الله !
ويقال : ان الشيطان اجره على النطق بهذا الكلام ... الخ

ثم لما امسى الليل اتاه جبرائيل ، فقال له : اعرض على السورة . فجعل النبى ﷺ يقرأها عليه حتى اذا بلغ الكلمتين قال جبرائيل : مه ، من اين جيئت بهاتين الكلمتين فتقدم رسول الله ﷺ وقال : لقد افتريت على الله ، وقلت على الله ما لم يقل ! فحزن حزناً شديداً ، و خاف من الله خوفاً كبيراً .

ويقال : ان النبى ﷺ قال لجبرائيل : انه اتانى آت على صورتك فالتقاها على لسانى فقال جبرائيل : معاذ الله ان اكون أقرأتلك هذا . فاشتد ذلك على رسول الله . فنزلت : « وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره ، و اذا لاتخذوك خليلاً . ولولا ان ثبتناك لقد كنت تركن اليهم شيئاً قليلاً اذاً لاذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات

١ - الغرائق : جمع الغرثوق . وهو الشاب الناعم الابيض . وفى الاصل : اسم لطير الماء (مالك الحزين) وهو تشبيه آلهة المشركين بطيور يرض متحلقة فى اجواء السماء ، كناية عن قربهم من الله .

ثم لا تجد لك علينا نصيراً» (١) .

فا شتد حزن رسول الله ﷺ على هذه البادرة المباغثة ، و لم يزل مغموماً مهموماً ، حتى نزلت عليه : وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته . فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته . و الله عليم حكيم» (٢) وكانت تسلية لقلبه الحزين ، فعند ذلك سرى عنه الهم وطابت نفسه (٣) .

* * *

نقد الحديث سنداً :

تلك اسطورة الغرائق ، مفتراة على النبي الكريم ﷺ وقد اطلع المستشرقون و الطاعنون فى الدين الاسلامى الحنيف ، بهذه الاسطورة المصطنعة و اذا عوها و اثاروا حولها عجاجة من القول البذى (٤) .

فى حين انها اكدوبة مفتعلة، صنعتها قرائح القصاصين ، ونسبوها الى بعض التابعين ، ومن الصحابة الى ابن عباس ، ودلائل الكذب والافتراء بادية على محياها القدر .

اولا : لم يتصل تسلسل سند الحديث الى صحابى اطلاقاً . وانما اسند الى جماعة من التابعين ومن لم يدرك حياة رسول الله ﷺ وعليه فالحديث مرسل غير موصول السند الى من شاهد القضية - فرضاً -

و اما النسبة الى ابن عباس فلا تنقل عن غيرها ، بعد ان كانت ولادة ابن عباس فى السنة الثالثة قبل الهجرة ، فلم يشهد القصة بتاتاً ، وانما نقلت اليه .

١- سورة الاسراء : ٧٤

٢- سورة الحج : ٥٢

٣- تفسير الطبرى ج ١٧ ص ١٣١ - ١٣٤ . الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٢ وص ٣٦٦ -

٣٦٨ . فتح البارى بشرح البخارى ج ٨ ص ٣٣٣

٤ - انظر : تاريخ الشعوب الاسلامية لكادبرو كلمان ص ٣٢

فالرواية من جميع وجوهها غير موصولة الاسناد الى شهود القصة لوصحت
الواقعة .

و قواعد فن التمهيص فى اسناد الروايات تأبى جواز الاحتجاج بمثل
هذا الحديث المرسل .

هذا وقد شد ابن حجر فى قوله : فيها ثلاث مراسيل رجالها ثقات على شرط
الصحة . ثم اخذ يتهم على من زعمها مختلفة : قائلا : اذا كثرت الطرق و تباينت
مخارجها ، دل ذلك على ان لها اصلا ، قال : وتلك المراسيل يحتج بها و لو عند
من لا يحتج بالمراسيل ، لاعتضاد بعضها ببعض (١) .
اقول : وهل الكذبة اذا راجت صدقت ؟!

ثانياً : شهادة جل ائمة الحديث بكذب هذا الخبر ، و ان الطرق اليه ضعاف
واهية ، فهو فيما يشتمل عليه من السند ايضا ساقط فى نظر الفن .
قال ابن حجر نفسه : وجميع الطرق الى هذه القصة _ سوى طريق ابن جبير _
اما ضعيف (يكون الرواى غير موثوق به او مرمياً بالوضع والكذب) او منقطع
(اى كانت حلقة الوصل بين الراوى الاول والراوى الاخير مفقودة) (٢) وسنذكر
ان بلاء طريق ابن جبير هو الارسال والضعف ايضا .

و قال احمد بن الحسين البيهقى _ اكبر ائمة الشافعية ، مشهوراً بدقة النقد
و التمهيص _ : « هذا الحديث من جهة النقل غير ثابت ورواته مطعون فيهم » (٣).
وقال ابو بكر ابن العربى : « كل ما يرويه الطبرى فى ذلك باطل لا اصل له » (٤)
وصنف محمد بن اسحاق بن خزيمة رسالة ، فند فيها هذا الحديث المفتعل ، ونسبه

١ - فتح البارى بشرح البخارى ج ٨ ص ٣٣٣

٢ - نفس المصدر .

٣ - تفسير الرازى ج ٢٣ ص ٥٠

٤ - فتح البارى ج ٨ ص ٣٣٣

الى وضع الزنادقة (١)

و قال القاضى عياض : هذا الحديث لم يخرج له احد من اهل الصحة ، و
لارواه ثقة بسند سليم متصل ، وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون
بكل غريب ، المتلفقون من الصحف كل صحيح و سقيم . قال : و صدق القاضى
بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بلى المسلمون ببعض اهل الاهواء والتفسير ،
وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته ، و اضطراب رواياته ، و انقطاع اسناده ، و
اختلاف كلماته » (٢) .

و اما طريق ابن جبير فذكر ابوبكر البراز : ان هذا الحديث لم يسنده عن
شعبة الا امية بن خالد وغيره ، يرسله عن سعيد بن جبير ، وانما يعرف عن الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس . ثم يذكر شكه في صحة الاسناد الى ابن عباس ايضاً
فيما اسند الى ابن جبير (٣) و اما طريق الكلبي الى ابن عباس عن طريق ابي صالح
فموهون بالاتفاق ، قال جلال الدين السيوطى : هي او هي الطرق (٤) .

ثالثاً - اتفاق كلمة المحققين من علماء الاسلام قديماً وحديثاً ، على انه حديث
مفترى وحكموا عليه بالكذب الفاضح ، غير آبهين بجانب السند ، متصل ام منقطع ،
صحيح ام سقيم ، لانه قبل كل شيء متناقض مع صريح القرآن الذى لا يأتىه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٥) وهادم لا قوى اسس الشريعة و
اقوم دعامته الرصينة .

قال الشريف المرتضى : فاما الاحاديث المروية في هذا الباب فلا يلتفت اليها ،
من حيث انها تضمنت ما قد نزهت العقول الرسل - ع - عنه . هذا لو لم يكن فى

١ - تفسير الرازى ج ٢٣ ص ٥٠

٢ - الشفا : القاضى عياض ص ١١٧

٣ - نفس المصدر ص ١١٨

٤ - الاتقان ج ٢ ص ١٨٩

٥ - سورة فصلت : ٢٢

انفسها مطعونة ضعيفة عند اصحاب الحديث . و كيف يجيز ذلك على النبي ﷺ من يسمع قول الله تعالى : « كذلك لنثبت به فؤادك » . و قوله : « ولو تقول علينا بعض الاقاويل » وقوله : « سنقرئك فلا تنسى » .. ثم اخذ في توضيح الاستدلال (١) .

وقال الامام الفخر : هذه رواية عامة المفسرين الظاهريين . واما اهل التحقيق فيرونها باطلة موضوعة ، واحتجوا عليها بوجوه من العقل والنقل (٢) .

وقال السيد الطباطبائي : الادلة القطعية على عصمة النبي ﷺ تكذب متن الحديث ، و ان فرضت صحة اسناده . فمن الواجب تنزيهه جانب قدسية النبي ﷺ عن امثال هذه الرذائل التي تمس كرامة الانبياء (٣) .

وتكلم القاضي عياض في تفنيد هذا الحديث بوجوه عديدة اقتبسنا منها فصولا في هذا العرض . واخيراً اخذ الدكتور حسين هيكل في تفنيد القصة بأسلوب حديث، لخصناه في نهاية المقال .

نقد الحديث مدلولاً :

هذا الحديث ، فضلاً عن سنده الموهون ، فان مضمونه باطل على كل تقدير :

اولاً - مناقضته الصريحة مع كثير من نصوص القرآن الكريم في شتى الجهات .

ثانياً - منافاته الظاهرة مع مقام عصمة الانبياء ، الثابتة بدليل العقل والنقل المتواتر و الاجماع .

ثالثاً - عدم امكان التثامه مع سائر آيات السورة نفسها ، لحناً و اسلوباً ، بحيث لا يمكن التباس هذا الجانب على من يعرف اساليب الكلام الفصيح ، و بالاحرى ان لا يلتبس الامر على افصح من نطق بالضاد ، وعلى اولئك الحضور ، وهم صناديد قريش وافلاذ العرب .

١- تنزيه الانبياء : ص ١٠٧-١٠٩

٢- التفسير الكبير ج ٢٣ ص ٥٠

٣- تفسير الميزان ج ١٢ ص ٢٣٥

وتوضيحاً لهذه الجوانب الثلاث الخطيرة نستعرض مايلي :

١ - مناقضته مع القرآن :

انا لربأ بمسلم نابه - فضلاً عن ناقد خبير كابن حجر - ان يتسلم صدق هذا الحديث المفتعل ، نظراً لما زعمه من صحة اسناده المراسيل ، ثم لا يتدبر في متنه الفاسد ، الظاهر التنافي مع كثير من نصوص الكتاب العزيز ، واليك طرفاً من ذلك :

أ - تبدأ السورة بقوله تعالى : «والنجم اذا هوى . ماضل صاحبكم وماغوى .

وما ينطق عن الهوى . ان هو الاوحى يوحى . علمه شديد القوى» (١) .

وهي شهادة صريحة من الله ، بأن محمداً ﷺ لا يضل ولا يغوى ولا ينطق الا عن

وحى من الله ، يعلمه الروح الامين .

فلوصح ماذكروه في رأس الآية العشرين ، لكان تكذيباً فاضحاً لهذه الشهادة ،

وتغليياً لجانب الشيطان على جانب الرحمان ، وهو القائل تعالى : «ان كيد الشيطان

كان ضعيفاً» (٢) . والقائل : «كتب الله لاغلبن انا ورسلى ، ان الله قوى عزيز» (٣) .

فكيف - ياترى - يتغلب ابليس على ضمان يضمنه الله تعالى ، فيبطله صريحاً ،

قبل ان يفرغ من كلامه عز شأنه ؟! وهل يتغلب ضعيف في كيده على قوى في ارادته ؟!

وهل هذا الاتهافت باهت ، وكلام فارغ ، لا يستطيع عاقل تصديقه !

ب - وايضاً فانه تعالى يقول : «ولو تقول علينا بعض الاقايل ، لاخذنا منه

باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين» (٤) : كناية عن أن احداً لا يستطيع القول على الله ،

تليساً للحقيقة الا ويهلكه الله من فوره . الامر الذي تقتضيه حكمته تعالى ، جرياً مع

١ - سورة النجم : ١ - ٥

٢ - سورة النساء : ٧٦

٣ - سورة المجادلة : ٢١

٤ - سورة الحاقة : ٢٦

قاعدة اللطف ، وقد سبقت الإشارة إليها .

أفهل ترى - بعد هذا التأكيد - يستطيع إبليس ، وهو صاحب الكيد الضعيف ان يقول على الله ، ويلبس الامر على رسول الله -ص- بما يحسبه حياً آتياً به جبرائيل الامين ؟! اذن فأين الضمان الذى ضمنه الله تعالى الغالب على امره ، وتعهده على نفسه فى الآية المذكورة ؟!

ج - وقال تعالى : «انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون» (١) فقد ضمن تعالى سلامة القرآن من تلاعب ايدى المبطلين ، وحفظه عن دسائس المعاندين ، أفهل يعقل - بعد ذلك - أن يترك إبليس وشأنه فى سبيل التلاعب بالذكر الحكيم ، فور نزوله على رسوله الكريم ؟! وهل هذا الاتهاف فى الرأى ، وابطال لضمان الله ؟! ومعه لا تبقى نفة بما وعد الله المؤمنين من النصر والغلبة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !!

د- وقال تعالى : «انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون» (٢) . وقال : «ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا» (٣) . فكيف نجوز - بعد هذا الضمان الصريح المؤكد - ان يتسلط إبليس على أخلص عباد الله المكرمين ، فيلبس عليه ناموس الكبرياء ، وفى أمس شؤون رسالته المضمونة ؟!

على أن القرآن يصرح : ان لاسطة لابليس على أحد اطلاقاً ، سوى وسوسته الخداعة ودعوته الى شرور ، اما التدخل عملياً فى شؤون الخلق او الخالق ، فهذا لاسبيل لابليس اليه اطلاقاً ، وقد حكى الله سبحانه عن لسان إبليس : « وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى» (٤) .

١- سورة الحجر : ٩

٢- سورة النحل : ٩٩

٣- سورة الاسراء : ٦٥

٤- سورة ابراهيم : ٢٢

٢- منافاته لمقام العصمة :

قال القاضي عياض : « وقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته - ص - ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة ، امانتيه أن ينزل عليه مثل هذا ، من مدح آلهة غير الله ، وهو كفر . أو ان يتصور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن ، حتى يجعل فيه ما ليس منه ، ويعتقد النبي - ص - ان من القرآن ما ليس منه ، حتى ينبهه جبرائيل - ع - وذلك كله ممتنع في حقه - ص - .

او يقول النبي - ص - ذلك من قبل نفسه عمداً ، وذلك كفر . اوسهواً ، وهو معصوم من هذا كله .
وقد قررنا بالبراهين والاجماع عصمته - ص - من جريان الكفر على قلبه اولسانه ، لاعمداً ولاسهواً .

او ان يتشبه عليه ما يليقه الملك مما يليق الشيطان ، او يكون للشيطان عليه سبيل ، او يتقول على الله ما لم ينزل عليه ، وقد قال تعالى : « ولو تقول علينا بعض الاقاويل ... الاية . وقال تعالى : اذن لاذنك ضعف الحياة وضعف الممات .. الاية (١) .
وايضاً فلولا العصمة الملحوظة في اداء رسالة الله ، لزال الثقة بالدين ، ولاخذت الشكوك مواضعها من احكام وتكاليف وشرائع يبلغها النبي - ص - عن الله تعالى !!

وامتداداً لجانب عصمته - ص - وان لاسبيل لابليس الى شأن من شؤون المعصمة بعصمة الله تعالى ، قال : « من رآني فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي » (٢) . وقد فهم العلماء من هذا الحديث قاعدة كلية : لا يستطيع ابليس التمثل بأى ولى من اولياء الله العباد المخلصين ، وبالاخرى : عدم استطاعته التمثل بجبرائيل ، ملك الوحي المقرب

١- القاضي عياض : الشفا ج ٢ ص ١١٨ - ١١٩

٢- صحيح مسلم ج ٧ ص ٥٧

اذن فأنى لابلّيس التلاعب بوحي السماء ، أو أن ينتحل صورة رسول من رسل الله
الأكرمين ! كلا ، «لا يسمعون الى الملاء الاعلى ويقذفون من كل جانب» (١) .

٣- تهافته مع آى السورة :

قال القاضى عياض - ايضاً - : « ووجه ثان ، وهو استحالة هذه القصة نظراً
وعرفاً ، وذلك ان هذا الكلام لو كان - كما روى - لكان بعيداً للثام ، متناقض الاقسام ،
ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولما كان النبى - ص - ولا من بحضرته
من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك . وهذا لا يخفى على ادنى
متأمل ، فكيف بمن رجح حلمه واتسع فى باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه » (٢) .
أفهل يتصور بشأن النبى محمد - ص - وهو العارف بمواقع الكلام ، الناقد
لافصح اقوال العرب الفصحاء ، ان يلتبس عليه شأن كلام ساقط ، لا يتناسب وسائر
جمل وآيات كانت تنزل عليه حينذاك ؟ أم كيف ينسجم ما ذكره مع قوله تعالى :
« ان هى الاسماء سميتوها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان » (٣) ام كيف يقتنع
المشركون - وهم اهل نقد وفصاحة - بتلك المجاملة المفضوحة : يقترن مدح مشكوك ،
بذلك القدح الصارم ، ليأخذوه تقارباً مبدئياً بين اشراكهم والدعوة التى قام بها محمد
- صلى الله عليه وآله - والتى قامت على محق الشرك واخلاص الدين الحنيف .
ولاسيما مع تعقيبها بقوله ايضاً : « وكم من ملك فى السماوات والارض لا تغنى شفاعتهم
شيئاً » (٤) أفهل يلتئم هذا الكلام التوحيدى الخالص مع تلك الاكذوبة : « وان شفاعتهن

١- سورة الصافات : ٨

٢- الشفا ج ٢ ص ١١٩

٣- سورة النجم : ٢٣

٤- سورة النجم : ٢٦

* * *

واخيراً فلوصحت الحكاية لشاعت وذاعت ، ولاخذاً المشركون مستمسكاً
فى وجه المسلمين طول الدعوة ، ولم يصدقوا النبى ﷺ فى دعواه
النسخ مهما كلف الامر . هذا فى حين ان التاريخ لم يضبط من تلك الاقصوة المفتعلة
سوى حكايتها عن أناس تأخروا عن ظرفها بزمان بعيد ولم يسجل التاريخ من يقول:
حضرتها ! الامر الذى يجعلنا قاطعين بكذبها . ولعلها من الاسرائيليات المفصوحة
التي نسجتها أيدى النكاة بالاسلام ، فى عهد سطو المظالم على ارجاء البلاد الاسلامية ،
فى ظل حكومة بنى امية اعداء الدين والقرآن . وهذا هو الارجح فى نظرنا . وفى
فصول هذا الكتاب الاتية يتضح موقف هذه الفئة الباغية على الاسلام اكثر .

* * *

قال الاستاذ هيكال : حديث الغرائق حديث ظاهر التهافت ، ينقضه قليل من
التمحيص . وهو بعد حديث ينقض ما لكل نبى من العصمة فى تبليغ رسالات ربه .
فمن عجب أن يأخذ به بعض كتاب السيرة وبعض المفسرين المسلمين . ولذلك
لم يتردد ابن اسحاق حين سئل عنه فى ان قال : انه من وضع الزنادقة . لكن بعض
الذين أخذوا به حاولوا تبرير اخذهم هذا ، فاستندوا الى قوله تعالى : «وان كادوا
ليفتنونك» . والى قوله : «الا اذا تمنى القى الشيطان» ويضيف (سير وليم موير) ان
مرجع المسلمين الذين هاجروا الى الحبشة بعد ثلاثة اشهر من اقامتهم هناك لدليل
قاطع على صحة هذه القصة .

وهذه الحجج التي يسوقها القائل بصحة حديث الغرائق ، حجاج واهية لا تقوم
امام التمهيص : امارجوع المسلمين فكان سببه اضطراب سياسى ، عم ارجاء الحبشة
على أثر ثورة جديدة قامت فيها .

اما الاحتجاج بالايات فاحتجاج مقلوب ، لان الاية الاولى لاتشى بسوق

الامر : «ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم» .

فالاية تقول : ان الله ثبته فلم يفعل . واما آية التمنى فلا صلة لها بحديث الغرائيق ، وقد تقدم شأنها .

ودليل آخر اقوى واقطع : سياق السورة وعدم احتماله لمسألة الغرائيق ، فانها ذم صريح ، ولهجة تجميع لا ينسجم وادراج هكذا جملة ، الامر الذى لا يكاد يخفى على العرب آنذاك .

وايضاً فان وصف آلهة قريش بالغرائيق لم يأت فى نظمهم هم ولا فى خطبهم ولا شئ من معنى الغرنوق يلائم معنى الالهة التى وصفها العرب - كما قاله الشيخ محمد عبده .

وبقيت حجة قاطعة نسوقها للدلالة على استحالة قصة الغرائيق هذه ، من حياة محمد نفسه ، فهو منذ طفولته وصباه وشبابه لم يجرب عليه الكذب قط ، حتى سمي الامين . وكان صدقه امراً مسلماً به من الناس جميعاً ، فكيف يصدق انسان انه يقول على ربه ما لم يقل ، ويخشى الناس والله احق ان يخشاه ! هذا امر مستحيل ، يدرك استحالته الذين درسوا هذه النفوس القوية الممتازة التى تعرف الصلابة فى الحق ولا تداجى فيه لاي اعتبار» (١) .

٢- نزول القرآن

- * بدء نزول الوحي .
- * بدء نزول القرآن .
- * فترة ثلاث سنوات .
- * آراء وتأويلات .
- * اول ما نزل من القرآن .
- * آخر ما نزل من القرآن .
- * التعريف بالمكي والمدني .
- * ترتيب النزول .
- * سور مختلف فيها .
- * آيات مستثنيات .

بدء نزول الوحي «البعثة» :

قال الشيخ الجليل الثقة على بن ابراهيم القمي : ان النبي ﷺ لما أتى له سبع وثلاثون سنة ، كان يرى في منامه كأن آتياً يأتيه فيقول : يا رسول الله ! مضت عليه برهة من الزمان وهو على ذلك يكتمه ، واذا هو في بعض الايام يرعى غنماً لأبى طالب في شعب الجبال ، اذ رأى شخصاً يقول له : يا رسول الله ! فقال له : من أنت ؟ قال : انا جبرئيل ، ارسلني الله اليك ليتخذك رسولا ، فجعل يعلمه الوضوء والصلاة . وذلك عند ماتم له اربعون سنة . فدخل على ﷺ وهو يصلي . قال : يا ابا القاسم ماهذا ؟ قال : هذه الصلاة التي امرني الله بها . فجعل يصلي معه . وكانت خديجة ثالثتهما . فكان على - ع - يصلي الى جناح رسول الله الايمن ، وخديجة خلفه ، فأمر ابوطالب ابنه جعفر أن يصلي الى جناح رسول الله الايسر . وكان زيد بن حارثة عتيق رسول الله (١) - قد اسلم عند مانبىء رسول الله ﷺ ، فكان يصلي معهم ايضاً . وبهذا الجمع انعقدت نطفة الاسلام (٢) .

١- قيل : اشتراه رسول الله - ص - لخديجة ، فلما تزوجها وهبته له ، فاعتقه رسول الله - ص - وقيل : استوهبته خديجة من ابن اخيها حكيم بن حزام من خويلد ، عند ما قدم مكة بريق فيهم زيد وصيف اى غلام لم يراهق . فقال لها : يا عمة ! اختارى اى هؤلاء الغلمان شئت : فاخترت زيدا ، ثم وهبته لرسول الله - ص - فاعتقه رسول الله وتبناه .

٢- بحار الانوار ج ١٨ ص ١٨٢ و ص ١٩٢

وفي تفسير الامام : كان رسول الله ﷺ يغدو كل يوم الى حراء ، وينظر الى آثار رحمة الله ، متعمقاً في ملكوت السماوات والارض ، ويعبد الله حق عبادته ، حتى استكمل سن الاربعين ، ووجد الله قلبه الكريم افضل القلوب وأجلها واطوعها وأخشعها . فأذن لابواب السماء فتحت ، وأذن للملائكة فنزلوا ، ومحمد ﷺ ينظر الى ذلك ، فنزلت عليه الرحمة من لدن ساق العرش ، ونظر الى الروح الامين جبرائيل مطوقاً بالنور ، هبط اليه وأخذ بضبعه وهزه ، فقال : يا محمد ! اقرأ . قال : وما اقرأ ؟ قال : يا محمد ! اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم .

ثم أوحى اليه ما أوحى . وصعد جبرائيل الى ربه ، ونزل محمد ﷺ من الجبل وقد غشيه من عظمة الله وجلال ابهته ماركه الحمى النافضة (١) وقد اشتد عليه ما كان يخافه من تكذيب قريش ونسبته الى الجنون ، وقد كان أعقل خلق الله واكرم بريته . وكان ابغض الاشياء اليه الشيطان وافعال المجانين ، فاراد الله ان يشجع قلبه ويشرح صدره ، فجعل كلما يمر بحجر وشجر ناداه : السلام عليك يا رسول الله . (٢) .

١- وهي الشديدة .

٢ - تفسير الامام ص وهو منسوب الى الامام الحادي عشر : الحسن بن علي العسكري - عليهما السلام - وقد طعن بعض المحققين في نسبته الى الامام - ع - لما فيه من مناكير . لكن لو كان المقصود انه من تأليف الامام بقلبه وانشائه الخاص ، فهذا شيء لا يمكن قبوله بتاتاً . واما اذا كانت النسبة بملاحظة ان الراوى كان يحضر مجلس الامام - ع - ويسأله عن أشياء مما يتعلق بتفسير آي القرآن ، ثم عندما يرجع الى داره يسجله حسب ما حفظه ووعاه ، وربما يزيد عليه اشياء او ينقص ، وفق معلوماته الخاصة أيضاً . فهذا شيء لا سبيل الى انكاره ، ونحن نقول بذلك ، ومن ثم نعتد على كثير مما جاء في هذا التفسير ، مما يوافق سائر الآثار الصحيحة .

وراجع - ايضاً - : بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٠٦ .

وفى شرح النهج : ان بعض اصحاب ابى جعفر محمد بن على الباقر - ع -
سأله عن قول الله - عز وجل - : « الامن ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه
ومن خلفه رسداً » (١) فقال : يوكل الله تعالى بانبيائه ملائكة يحصون اعمالهم ، ويؤدون
اليه تبليغهم الرسالة ، ووكل بمحمد ﷺ ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده
الى الخيرات ومكارم الاخلاق ، ويصده عن الشر ومساوىء الاخلاق ، وهو الذى كان
يناديه : السلام عليك يا محمد يا رسول الله ، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد ، فيظن
ان ذلك من الحجر والارض ، فيتأمل فلا يرى شيئاً (٢) .

وراجع : الخطبة القاصعة من كلام امير المؤمنين - ع - بهذا الشأن ، وقد نقلنا
فيما سبق شرطاً منها . وهى الخطبة رقم : ٢٣٨ فى شرح النهج لابن ابى الحديد .
وفى تاريخ الطبرى : كان رسول الله ﷺ من قبل ان يظهر له جبرئيل - ع -
برسالة الله اليه ، يرى ويعاين آثاراً واسباباً من آثار من يريد الله اكرامه واختصاصه
بفضله ، فكان من ذلك سامضى من خبره عن الملكين اللذين أتياه فشقا بطنه (٣)
واستخرجا مافيه من الغل والدنس ، وهو عند امه من الرضاعة حليلة . ومن ذلك انه
كان اذا امر فى طريق لا يمر بشجر ولا حجر الا سلم عليه . وهكذا كان اذا خرج لحاجته
ابعد حتى لا يرى بيتاً ، ويفضى الى الشعاب وبطون الاودية . فلا يمر بحجر ولا شجر
الا قال : السلام عليك يا رسول الله ﷺ فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى
أحدأ (٤) .

قال اليعقوبى : كان جبرائيل يظهر له ويكلمه اوربما ناداه من السماء ومن الشجر
ومن الجبل . ثم قال له : ان ربك يأمر ان تجتنب الرجس من الاوثان ، فكان اول

١- سورة الجن : ٢٧

٢- ابن ابى الحديد : شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٠٧

٣- لم يرد بهذا المعنى حديث من طريق اهل البيت - عليهم السلام -

٤- ابو جعفر الطبرى : التاريخ ج ٢ ص ٢٩٤ - ٢٩٥

امره . فكان رسول الله يأتي خديجة ابنة خويلد ويقول لها ماسمع وتكلم به ، فتقول له : استريا ابن عم ! فوالله اني لارجو ان يصنع الله بك خيراً (١) .

* * *

وكان ﷺ يوم بعث قد استكمل الاربعين ، لعشرين مضين من ملك كسرى ابرويز بن هرمز بن انوشروان (٢) . قال اليعقوبى : كان مبعثه ﷺ فى شهر ربيع الاول . وقيل : فى رمضان . ومن شهور العجم : فى شباط . قال : وأتاه جبرئيل ليلة السبت وليلة الاحد ، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين (٣) . قال ابن سعد : نزل الملك على رسول الله ﷺ بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان (٤) .

قال ابو جعفر الطبرى : وهذا - اى نزول الوحي عليه بالرسالة يوم الاثنين - مما لاختلاف فيه بين اهل العلم وانما اختلفوا فى أى الاثنين كان ذلك ؟ فقال بعضهم : نزل القرآن على رسول الله ﷺ لثمانى عشرة خلت من رمضان . وقال آخرون : لاربع وعشرين خلت منه . وقال آخرون : لسبع عشرة خلت من شهر رمضان : واستشهدوا لذلك بقوله تعالى : « وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » (٥) . وذلك ملتقى رسول الله ﷺ والمشركين ببدر ، وكان صبيحة سبع عشرة من رمضان (٦) .

لكن لادلالة فى الآية على ان مبعثه كان مصادفاً لذلك اليوم : اولاً - لان المقصود : ما انزل عليه ذلك اليوم من دلائل الحق وآيات النصر ، لا القرآن كله ولا مبدء نزوله .

١- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٧ طبعة النجف الثانية .

٢- ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣١

٣- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٧ - ١٨

٤- طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٢٩

٥- سورة الانفال . ٢١

٦- تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٩٤

وثانياً - سوف نذكر : ان مبدء نزول القرآن - بعنوان كونه كتاباً سماوياً - كان متأخراً عن يوم مبعثه بالرسالة ، فقد بعث ﷺ رسولا الى الناس في ٢٧ رجب ، وانزل عليه القرآن في شهر رمضان ليلة القدر ، وربما كان بعد فترة ثلاث سنين - كما يأتي . وثالثاً - معنى يوم الفرقان : اليوم الذي فرق فيه بين الحق والباطل ، وغلب الحق على الباطل فكان زهوقاً ، وكان يوماً حاسماً في حياة المسلمين ، وقد أيس الشيطان فيه ان يعبد او يطاع الى الابد (١) .

قال المسعودي : اول ما نزل عليه ﷺ من القرآن : «اقرأ باسم ربك» . وأتاه جبرائيل في ليلة السبت ثم في ليلة الاحد وخاطبه بالرسالة يوم الاثنين ، وذلك بحراء ، وهو اول موضع نزل فيه القرآن ، وخاطبه باول السورة الى قوله : «علم الانسان ما لم يعلم» ونزل تمامها بعد ذلك .

وكان ذلك بعد بنیان الكعبة بخمس سنين ، على رأس عشرين سنة من ملك كسرى ابرويز ، وعلى رأس مأتى سنة من يوم التحالف بالربذة (٢) . وكانت سنة ستمائة وتسع من تاريخ ميلاد المسيح -ع- (٣) .

* * *

والصحيح عندنا في تعيين يوم مبعثه ﷺ : أنه اليوم السابع والعشرون من شهر رجب الاصب ، على ما جاء في روايات اهل البيت - عليهم السلام - ويستحب صيامه والقيام بأداب وعبادات تخصه ، تلتزم بها الشيعة الامامية ، كل عام تقديساً لهذا اليوم المبارك ، الذي انزلت الرحمة فيه على الناس جميعاً ، وافتتحت ابواب البركة العامة على اهل الارض ، اذ بعث النبي ﷺ رحمة للعالمين ، فياله من يوم مبارك !

١- راجع : تفسير شبر ص ١٩٥

٢- مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٢

٣- تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ج ١ ص ٤٣

قال الامام الصادق عليه السلام : «فى اليوم السابع والعشرين من رجب نزلت النبوة على رسول الله صلى الله عليه وآله» (١) وقال : «لاتدع صيام يوم سبع وعشرين من رجب فانه اليوم الذى نزلت فيه النبوة على محمد صلى الله عليه وآله» (٢) .

وقال الامام الرضا -ع- : «بعث الله -عز وجل - محمداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، فى سبع وعشرين من رجب ، فمن صام ذلك اليوم كتب الله له صيام ستين شهراً» (٣) .
والروايات بهذا الشأن من طرق اهل البيت عليهم السلام كثيرة (٤) .

وهكذا وردت روايات من طرق اهل السنة ، بتعيين نفس اليوم :
اورد الحافظ الدمياطى فى سيرته عن ابى هريرة ، قال : « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله تعالى له صيام ستين شهراً ، وهو اليوم الذى نزل فيه جبرئيل على النبى صلى الله عليه وآله بالرسالة واول يوم هبط فيه جبرئيل» (٥) .

وروى البيهقى فى شعب الايمان ، عن سلمان الفارسى ، قال : «فى رجب يوم وليلة ، من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان كمن صام مائة سنة وقام مائة سنة ، وهو لثلاث بقين من رجب ، وفيه بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله» (٦) .

وروى صاحب المناقب عن ابن عباس ، وانس بن مالك :أنهما قالا :«اوحى الله الى محمد صلى الله عليه وآله يوم الاثنين، السابع والعشرين من رجب، وله من العمر اربعون سنة» (٧) .

* * *

١- امالى ابن الشيخ ص ٢٨ وبحار الانوار ج ١٨ ص ١٨٩

٢-٣- الكافى ج ٤ ص ١٢٩

٤ - راجع : وسائل الشيعة ، للشيخ الحر العاملى ، كتاب الصوم ، ابواب الصوم

المندوب ، الباب : ١٥

٥- السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٣٨

٦- منتخب كز العمال ، بهامش المستند ج ٣ ص ٣٦٢

٧- المناقب : ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٥٠ . والبحار ج ١٨ ص ٢٠٤

قال العلامة المجلسي - قدس سره - : اختلفوا في اليوم الذي بعث فيه النبي

محمد ﷺ على خمسة اقوال :

الاول : سابع عشر شهر رمضان .

الثاني : ثامن عشر شهر رمضان .

الثالث : اربع وعشرون شهر رمضان .

الرابع : ثاني عشر ربيع الاول .

الخامس : سابع وعشرون شهر رجب .

قال : وعلى الاخير اتفاق الامامية (١) .

اقول : وهناك قول سادس : ثامن ربيع الاول . وقول سابع : ثالث ربيع

الاول . ذكرهما ابن يرهان الحلبي في سيرته . ثم ذكر القول بانه الثاني عشر من

ربيع الاول ، يوم مولده الشريف ، ليوافق القول بانه بعث على رأس تمام الاربعين (٢) .

وسنذكر : ان اكثرية القائلين ببعثته - ص - في شهر رمضان ، لعله قد اشتبه

عليهم مبدأ حادث النبوة بمبدأ حادث نزول القرآن كتاباً فيه تبيان كل شيء . وهذا

الاشتباه يبدون استدلالهم على تعيين يوم البعثة بمادل على أن القرآن نزل في ليلة

القدر من شهر رمضان . وسنتحقق : أن لاصلة بين الحادثين ، فقد بعث - ص - في

رجب : ٢٧ . ولكن القرآن بسمته كتاباً مفصلاً ، بدأ نزوله على النبي - ص - في

شهر رمضان : ليلة القدر . بعد ثلاث سنين من نبوته ﷺ فكانت مدة نبوته ﷺ ثلاثاً

وعشرين سنة . ولكن فترة نزول القرآن مفزاً استغرقت عشرين عاماً ، بدأت بدخول

السنة الرابعة من البعثة ، وختمت في عاشر الهجرة بوفاته ﷺ .

١- بحار الانوار ج ١٨ ص ١٩٠

٢- السيرة الحلبي ج ١ ص ٢٣٨

بدء نزول القرآن :

لاشك أن القرآن نزل على رسول الله ﷺ في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك ، لقوله تعالى : «شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن» (١) . وقوله : «انا انزلناه في ليلة مباركة» (٢) . وقوله : «انا انزلناه في ليلة القدر» (٣) .

وليلة القدر - عندنا - مرددة بين ليلتين في العشر الاخير من شهر رمضان المبارك : احدى وعشرين ام ثلاثة وعشرين ؟ والارجح انها الثانية ، لحديث الجهنى (٤) . وقال الصدوق - رحمه الله - : اتفق مشايخنا على انها ليلة ثلاث وعشرين (٥) .

والكلام في تعيين ليلة القدر ليس من مبحثنا الان ، وانما يهمننا التعرض لجوانب من هذا التحديد ، اى نزول القرآن في ليلة واحدة - هي ليلة القدر - من شهر رمضان : اولاً : منافاته - ظاهراً - مع ما سلفناه من اتفاق الامامية وعدد من احاديث غيرهم ،

١- سورة البقرة : ١٨٥

٢- سورة الدخان : ٣

٣- سورة القدر : ١

٤- راجع : وسائل الشيعة ج ٧ ص ٢٦٢ الحديث : ١٦ باب ٣٢ من ابواب احكام

شهر رمضان .

٥- الخصال ج ٢ ص ١٠٢

على ان البعثة كانت فى رجب ، ولا شك ان البعثة كانت مقرونة بنزول آى من القرآن :
خمس آيات من اول سورة العلق . فكيف يتم ذلك مع القول بنزول القرآن - كله
اوبدء نزوله - فى شهر رمضان فى ليلة القدر ؟

ثانياً : ماذا يكون المقصود من نزول القرآن فى ليلة واحدة هى ليلة القدر ؟ هل
نزل القرآن كله جملة واحدة تلك الليلة ؟ مع العلم ان القرآن نزل نجوماً لفترة عشرين
او ثلاث وعشرين عاماً ، حسب المناسبات والظروف المختلفة ، ودعيت باسم «اسباب
النزول» ، فكيف ذلك ؟

ثالثاً : ماهى اول آية اوسورة نزلت من القرآن ، فان كانت هى سورة العلق
او آى منها ، فلم سميت سورة الحمد بفاتحة الكتاب ؟ اذ ليس المعنى : انها كتبت فى
بدء المصحف ! لان هذا الترتيب شىء حصل بعد وفاة النبى ﷺ اول اقل فى عهد
متأخر من حياته - فرضاً - فى حين انها كانت تسمى بفاتحة الكتاب منذ بداية نزولها :
«الاصلاة الابفاتحة الكتاب» (١) حديث مأثور عن لسان النبى ﷺ !

وللاجابة على هذه الاسئلة الثلاث - بصورة اجمالية - نقول : ان بدء البعثة
يختلف عن بدء نزول القرآن ككتاب سماوى . لانه ﷺ نبىء ولم يؤمر بالتبليغ
العام الا بعد ثلاث سنوات ، كان خلالها يدعو فى اخفاء حتى نزلت الاية : «فاصدع
بما تؤمر واعرض عن المشركين» (٢) . ومن هذا الحين جعل القرآن ينزل تباعاً ،
بسمة كونه كتابا انزل من السماء وكان يسجل على العصب واللخاف ، يكتبه من كان
يعرف الكتابة من المؤمنين ، وهم عدد قليل ، خلال عشرين عاماً .

وقد كان بدء نزول القرآن - بعد تلك الفترة - فى ليلة القدر من شهر رمضان .
وبهذا الاعتبار صح التعبير بأن القرآن نزل فى ليلة القدر ، وان كان نزوله تباعاً
استغرق عشرين عاماً . اذ كل حدث خطير تكون له مدة وامتداد ، فان تاريخه يسجل حسب

١- صحيح مسلم ج ٢ ص ٩ ، منتخب كنز العمال بهامش المسند ج ٣ ص ١٨٠

٢- سورة الحجر : ٩٢

مبدء شروعه ، كما سنفصل الكلام عنه .

اما اول آية نزلت فهي الايات الخمس من اول سورة العلق ، ونزلت بقيتها في فترة متأخرة . غير ان اول سورة كاملة نزلت من القرآن هي سورة الحمد ، ومن ثم سميت بفاتحة الكتاب .

هذا اجمال الكلام حول هذه المواضيع الثلاث ، وأما التفصيل فهو كما يلي :

فترة ثلاث سنوات :

ولنفرض ان البعثة كانت في رجب ، حسب رواية اهل البيت ولقيف من غيرهم ، لكن القرآن - بسمة كونه كتابا سماوياً ودستوراً الهياً خالداً - لم ينزل عليه الا بعد فترة ثلاث سنين . كان النبي ﷺ خلالها يكتّم امره من ملا الناس ، ويدعو الى الله سرّاً ، ومن ثم لم يكن المشركون يتعرضون اذاه ، سوى طعنات لسنية ، حيث لا يرون من شأنه ما يخشى على دينهم .

وكان يصلى اذ ذاك مع رسول الله ﷺ اربعة : علي وجعفر وزيد وخديجة . وكلما مريهم ملا من قريش سخروا منهم .

قال علي بن ابراهيم القمي : فلما أتى لذلك ثلاث سنين ، انزل الله عليه : «فاصدع بما تؤمر ، واعرض عن المشركين ، انا كفيناك المستهزئين» (١) . قال : وكان ذلك بعد ان نبيء بثلاث سنين (٢) .

وقال اليعقوبي : وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين يكتّم أمره (٣) . وقال محمد بن اسحاق : وبعد ثلاث سنين من مبعثه نزل «فاصدع بما تؤمر» ،

١- سورة الحجر : ٩٢ - ٩٦ .

٢- تفسير القمي : ص ٣٥٣ وبحار الانوار ج ١٨ ص ٥٣ وص ١٧٩

٣- تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٩

فأمر أن يجهر بالدعوة ويعم الإنذار (١) .

قال الامام الصادق -ع- : «مكث رسول الله -ص- بمكة بعدما جاءه الوحي عن الله تبارك وتعالى ثلاث عشرة سنة ، منها ثلاث سنين مختفياً خائفاً لا يظهر امره ، حتى امره الله أن يصدع بما أمر به ، فظهر حينئذ الدعوة (٢) .

وهذه الروايات ، اذا احفظناها مع روايات قائلة : ان فترة نزول القرآن على النبي ﷺ استغرقت عشرين عاماً ، تعطينا : ان مبدء نزول القرآن كان متأخراً عن البعثة بثلاث سنوات ، اذ لا شك ان القرآن كان ينزل عليه -ص- حتى عام وفاته -ص- وبذلك يلتئم القول بان بدء نزول القرآن كان في شهر رمضان ، ليلة القدر - كما نص عليه القرآن الكريم . قال الامام الصادق -ع- : «ثم نزل القرآن في طول عشرين عاماً» - كما جاء في رواية الكليني (٣) والعياشي (٤) و اشار اليه الصدوق (٥) والمجلسي (٦) . والنص على تحديد فترة نزول القرآن بعشرين عاماً كثير (٧) .

والى هذا المعنى تشير الرواية عن سعيد بن المسيب ، قال : انزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث واربعين (٨) اى انزل عليه القرآن عند ذلك . اذ لا شك أن النبوة نزلت

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٠ . والمناقب : ابن شهر آشوب ج ١ ص ٤٠ . والبحار

ج ١٨ ص ١٩٤

٢- الفقيه : الشيخ الطوسي ص ٢١٧ و كمال الدين للصدوق والبحار ج ١٨ ص ١٧٧

٣- الكافي - الاصول - ج ٢ ص ٢٢٩

٤- تفسير العياشي ج ١ ص ٨٠

٥- الاعتقادات ص ١٠١

٦- بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٥٣ و ص ٢٥٠

٧- راجع : الاتقان ج ١ ص ٤٠ . وتفسير شبر ص ٣٥٠ عند تفسير آية : ٣٢ من

سورة الفرقان .

٨- مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٦١٠

عليه ﷺ عند اكتمال الأربعين ، وهذا اجماع الامة ، وعليه اتفاق كلمتهم ، فكيف يخفى على مثل سعيد !

واوضح من ذلك مارواه الامام احمد بسند متصل الى عامر الشعبي : ان رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين سنة ، فقرن بنوته اسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن . فلما مضت ثلاث سنين ، قرن بنوته جبرئيل ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشرأ بمكة وعشرأ بالمدينة ، فمات - ص - وهو ابن ثلاث وستين سنة . قال ابن كثير : وهو اسناد صحيح الى الشعبي (١) .

وهذه الرواية وان كانت فيها اشياء لانعرفها ، ولعلها من اجتهاد الشعبي الخاص ، لكن الذى نريده من هذه الرواية هو جانب تحديد نزول القرآن فى مدة عشرين عاماً ، وان نزوله تأخر عن البعثة بثلاث سنين ، وهذا شىء متفق عليه .

آراء وتأويلات :

وأما تأويل نزول القرآن فى ليلة القدر من شهر رمضان ، مع العلم ان القرآن نزل منجماً طول عشرين او ثلاث وعشرين عاماً ، فى فترات ومناسبات خاصة ، تدعى باسباب النزول ، فللعلماء فى ذلك آراء وتأويلات :

١- ان بدء نزوله كان فى ليلة القدر من شهر رمضان .

وهذا اختيار محمد بن اسحاق (٢) والشعبي (٣) ، قال الامام الرازى : وذلك لان مبادئ الملل والدول هى التى تؤرخ بها . لكونها اشرف الاوقات . ولانها ايضاً

١- البداية والنهاية : ابن كثير ج ٣ ص ٤ والاتقان ج ١ ص ٤٥ والطبقات ج ١ ص ١٢٧

واليعقوبى ج ٢ ص ١٨

٢- مجمع البيان ج ٢ ص ٢٧٤

٣- الاتقان ج ١ ص ٢٠

اوقات مضبوطة معلومة (١) . وهكذا فسر الزمخشري الآية بذلك ، قال : «ابتدىء فيه انزاله» (٢) .

وهو الذى نرتأيه ، نظراً لان كل حادث خطير ، اذا كانت له مدة وامتداد زمنى ، فان بدء شروعه هو الذى يسجل تاريخياً كما اذا سئل عن تاريخ دولة او مؤسسة او تشكيل حزبى ، او اذا سئل عن تاريخ دراسة طالب علم او تلبسه الخاص وامثال ذلك ، فان الجواب هو تعيين مبدء الشروع والتأسيس لا غير .

وايضاً : فان قوله تعالى : «انزل فيه القرآن» والايات الاخر ، حكاية عن أمر سابق لا يشمل نفس هذا الكلام الحاكى والالكان اللفظ بصيغة المضارع او الوصف . فنفس هذا الكلام دليل على ان من القرآن منازل متأخر أعن ليلة القدر ، اللهم الا بضرب من التأويل غير المستند ، على ماسياتى .

كما أن اختلاف مناسبات الايات ، حسب الظروف والدواعى ، اكبر دليل على اختلاف مواقع نزولها ، اذ يربط ذلك كل آية بحادثة فى قيد وقتها ، وهذا فى كل آية نزلت بشأن حدث او واقعة وقعت فى وقتها الخاص ، وجاءت آية تعالجها فى نفس الوقت . كل ذلك دليل على ان القرآن لم ينزل جملة واحدة . والالما كان موقع لقولة المشركين : «لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة» قال تعالى -رداً على هذا الاعتراض- : « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً » (٣) . اى كان نزول القرآن تباعاً وفى فترات مناسبة ادعم لاطمئنان قلبك ، حيث الشعور بعناية الله المتواصلة فى كل آونة ومناسبة (٤) .

١- التفسير الكبير ج ٥ ص ٨٥

٢- الكشف ج ١ ص ٢٢٧

٣- سورة الفرقان : ٣٢

٤- راجع : الاتقان ج ١ ص ٢١

وذهب الى هذا الرأى - ايضاً - ابن شهر آشوب فى المناقب ، قال : شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ، اى ابتدأ نزوله (١). وقال فى متشابهات القرآن : والصحيح ان « القرآن » فى هذا الموضع لا يفيد العموم ، وانما يفيد الجنس : فأى شىء نزل فيه فقد طابق الظاهر .

ويبدو من الشيخ المفيد - قدس سره - من آخر كلامه ردأعلى ابى جعفر الصدوق - عليه الرحمة - فيما يأتى : اختيار هذا القول ايضاً ، قال : وقد يجوز فى الخبر الوارد بنزول القرآن جملة فى ليلة القدر ، أنه نزلت جملة منه ليلة القدر ، ثم تلاه ما نزل منه الى وفاة النبى ﷺ . فأمّا ان يكون نزل بأسره وجميعه فى ليلة القدر ، فهو بعيد عما يقتضيه ظاهر القرآن ، والمتواتر من الاخبار ، واجماع العلماء على اختلافهم فى الاراء (٢) .

* * *

٢- كان ينزل على النبى ﷺ فى كل ليلة قدر من كل عام ، ما كان يحتاج اليه الناس فى تلك السنة من القرآن ، ثم ينزله جبرائيل حسب مواقع الحاجة شيئاً فشيئاً بما يأمره الله تعالى . فيكون المقصود من شهر رمضان : هو النوع . لا رمضان خاص - وهو احتمال الامام الرازى ايضاً (٣) - .

وهذا اختيار ابن جريح (٤) والسدى ، واسنده الاخير الى ابن عباس ايضاً (٥) . ونقله القرطبى عن مقاتل بن حيان . ووافقه الحليمى والماوردى وغيرهما (٦) .

١- مناقب آل ابى طالب ج ١ ص ١٥٠

٢- شرح عقائد الصدوق ص ٥٨

٣- التفسير الكبير ج ٥ ص ٨٥

٤- الدر المنثور ج ١ ص ١٨٩

٥- مجمع البيان ج ٢ ص ٢٧٦

٦- الاتقان ج ١ ص ٤٠

غير ان هذا الاختيار ، يخالفه ظاهر قوله تعالى : « انزل فيه » او « انزلناه »
حكاية عن حدث سابق ، فلو صح هذا القول لكان المناسب ان يقول : نزله ، صفة
للحال !

وايضاً يردّه ما استبعدناه على الرأى الخامس الاتى : ماهى الفائدة المتوخاة
من نزول قرآن قبل الحاجة اليه ، ولا سيما فى صيغة جملة الماضى او الحال ، المستدعية
كونها نزلت لمناسبة وقتية ، لاموقع لنزولها قبل ذلك ، حسب التعبير اللفظى !

* * *

٣- شهر رمضان الذى نزل فى شأنه القرآن ، اى فى فرض صيامه ، كما يقال:
نزل فى فلان ، اوفى مناسبة كذا قرآن . والمراد من القرآن آية او آيات منه (١) .
قال الضحاك : شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ، اى السدى انزل صومه
فى القرآن (٢) . وقال سفيان بن عيينة : معناه : انزل فى فضله القرآن . واختاره الحسين
ابن الفضل وابن الانبارى (٣) .

لكن هذا الوجه يخص آية البقرة ، ولا يجرى فى آيتى الدخان والقدر ، كما
لا يخفى . فضلا عن انه تأويل فى اللفظ لا مبرر له ولا مستند .

* * *

٤- ان معظمه نزل فى اشهر رمضان ، ومن ثم صحت نسبة الجميع اليه .
وهذا احتمال ثان احتملهما سيد قطب ، قال : الشهر الذى انزل فيه القرآن
اما بمعنى ان بدء نزوله كان فى رمضان ، او أن معظمه نزل فى اشهر رمضان (٤) .
لكن لادليل على ان معظم آيات القرآن نزلت فى اشهر رمضان وفى ليلة القدر

١- مجمع البيان ج ١ ص ٢٧٦ . الكشف ج ١ ص ٢٢٧

٢- الدر المنثور ج ١ ص ١٩٠

٣- التفسير الكبير : الرازى ج ٥ ص ٨٠

٤- فى ظلال القرآن ج ٢ ص ٧٩

بالخصوص . ولعل الواقعية تأبى هذا الاحتمال رأساً .

* * *

٥- القرآن نزل جملة واحدة في ليلة واحدة ، هي ليلة القدر : الى بيت العزة والبيت المعمور ، ثم نزل على رسول الله ﷺ في فترات ومناسبات ، طول عشرين او ثلاث وعشرين عاماً .

ذهب الى هذا القول جماعة من ارباب الحديث ، نظراً لظاهر احاديث رويت في ذلك :

قال الشيخ الصدوق - عليه الرحمة - نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر ، جملة واحدة الى البيت المعمور ، في السماء الرابعة ، ثم نزل من البيت المعمور في مدة عشرين سنة . وان الله أعطى نبيه العلم جملة واحدة ، ثم قال له : « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه » (١) .

قال العلامة المجلسي - تعقيباً على هذا الكلام - : قد دلت الايات على نزول القرآن في ليلة القدر . والظاهر نزوله جميعاً فيها . ودلت الآثار والاخبار على نزول القرآن في عشرين (٢) او ثلاث وعشرين سنة (٣) . وورد في بعض الروايات : أن القرآن نزل في اول ليلة من شهر رمضان (٤) . ودل بعضها على ان ابتداء نزوله في المبعث (٥) . فيجمع بينها بأن في ليلة القدر نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى السماء الرابعة (البيت المعمور) لينزل من السماء الرابعة الى الارض تدريجاً .

١- الاعتقادات ص ١٠١

٢- اصول الكافي - كتاب فضل القرآن - ج ٢ ص ٢٩٦

٣- هي مدة نبوته -ص- بناء على ابتداء نزول القرآن بيوم مبعثه واختتامه بوفاته-ص-.

٤- فروع الكافي - كتاب الصيام - باب فضل شهر رمضان ج ٤ ص ٦٦ .

٥- وهي روايات دلت على ان اول سورة نزلت هي سورة العلق ، نزلت في بدء البعثة

في اليوم ٢٧ رجب . راجع : بحار الانوار ج ٩٢ ص ٣٩ وج ١٨ ص ٢٠٦

ونزل في اول ليلة من شهر رمضان جملة القرآن على النبي ﷺ ليعلمه هو : ولا يتلوه على الناس . ثم ابتداء نزوله آية آية وسورة سورة في المبحث او غيره ليتلوه على الناس ...» (١) .

واخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس : قال : انزل القرآن ليلة القدر جملة واحدة الى السماء الدنيا ، ووضع في بيت العزة ، ثم انزل نجوماً على النبي - ص - في عشرين سنة .

قال جلال الدين : وهذا هو اصح الاقوال واشهرها . وروى في ذلك روايات كثيرة ، حكم على اكثرها بالصحة ، رواها عن الحاكم والطبراني والبيهقي والنسائي وغيرهم (٢) .

وروى الطبري بسنده عن واثلة بن الاسقع عن النبي ﷺ : قال : «انزلت صحف ابراهيم اول ليلة من شهر رمضان . وانزلت التوراة لست مضين من رمضان . وانزل الانجيل لثلاث عشرة خلت . وانزل القرآن لاربع وعشرين من رمضان» (٣) .

وفيه عن السدي عن ابن عباس ، قال : شهر رمضان ، واللييلة المباركة ليلة القدر ، فان ليلة القدر هي اللييلة المباركة ، وهي في رمضان ، نزل القرآن جملة واحدة من الزبر الى البيت المعمور ، وهي مواقع النجوم في السماء الدنيا ، حيث وقع القرآن ، ثم نزل على محمد صلى الله عليه وآله بعد ذلك في الامر والنهاي وفي الحروب رسلا رسلا» (٤) .

وكان عطية بن الاسود قد وقع في نفسه الشك من هذه الاية ، وقد نزل القرآن

١- بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٥٣ - ٢٥٢

٢- الاتقان ج ١ ص ٣٩ - ٢٠

٣- تفسير الطبري ج ٢ ص ٨٢

٤- » » » ص ٨٥

فى جميع شهور السنة ، فسأل ابن عباس عن ذلك ، فأجابه بما تقدم (١) .
وهكذا روى جلال الدين بسنده الى جابر بن عبد الله الانصارى - رضوان الله
عليه - قال : انزل الله صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان ، وانزل التوراة على موسى
لست خلون من رمضان ، وانزل الزبور على داود لاثنتى عشرة خلت من رمضان ،
وانزل الانجيل على عيسى لثمان عشرة خلت من رمضان ، وانزل الفرقان على محمد ﷺ
لاربعة وعشرين خلت من رمضان (٢) .

ومن طرفنا روى العياشى عن ابراهيم ، أنه سأل الامام الصادق عليه السلام عن قوله
تعالى : «شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن» كيف انزل فيه القرآن ، وانما انزل
القرآن فى طول عشرين سنة ، من اوله الى آخره ؟ فقال الامام - ع - : «نزل القرآن
جملة واحدة فى شهر رمضان الى البيت المعمور ، ثم انزل من البيت المعمور فى
طول عشرين سنة . ثم قال : قال النبى ﷺ : نزلت صحف ابراهيم فى اول ليلة
من شهر رمضان . وانزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان . وانزلت الانجيل
لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . وانزل الزبور لثمانى عشرة من رمضان .
وانزل القرآن لاربعة وعشرين من رمضان» (٣) .

وجاء الحديث فى الكافى ، الا أن فى آخره : «وانزل القرآن فى ثلاث وعشرين
من شهر رمضان» والرواية هى عن الحفص بن غياث (٤) .

وفى التهذيب جاء قسم من الحديث برواية ابى بصير ، وفى آخره : «وانزل
الفرقان فى ليلة القدر» (٥) .

١- الدر المنثور ج ١ ص ١٨٩

٢- نفس المصدر

٣- تفسير العياشى ج ١ ص ٨٠

٤- أصول الكافى ج ٢ ص ٦٢٩

٥- تهذيب الاحكام ج ٢ ص ١٩٢

* * *

هذه جملة من روايات مأثورة، تفسر نزول القرآن جملة واحدة في ليلة واحدة،
اما الى البيت المعمور في السماء الرابعة ، كما في روايات الخاصة . او الى بيت
العزة في السماء الدنيا ، كما في بعض روايات العامة ، ثم منها نزلات آياته مفرقة على
رسول الله ﷺ حسب الظروف والمناسبات رسلا رسلا ...

وقد اخذ الظاهريون من اصحاب الحديث بظاهر هذه الروايات ، مستريحين
بانفسهم الى مدلولها الظاهري تعبداً محضاً .

اما المحققون من العلماء فلم يرقهم الاخذ بما لا يمكن تعقله ، ولا مقتضى للتعبد
بما لا يرجع الى اصول العباديات ، ومن ثم اخذوا ينقدون هذه الاحاديث نقداً علمياً .
متسائلين : ماهي الفائدة الملحوظة من وراء نزول القرآن جملة واحدة في احدي
السموات العلى ، ثم ينزل تدريجياً على رسول الله ﷺ ؟!

* * *

واجابة على هذا السؤال ، قال الفخر الرازي : ويحتمل ان يكون ذلك تسهيلاً
على جبرئيل اول مصلحة النبي ﷺ في توقع الوحي من اقرب الجهات (١) .
وهذا الجواب غاية في الوهن والسقوط ، مضافاً الى أنه تخرص بالغيب ،
ونستغرب صدور مثل هذا الكلام الفارغ من مثل هذا الرجل المضطلع بالتحقيق !
وقال المولى الفيض الكاشاني : وكأنه اريد بذلك : نزول معناه على قلب
النبي ﷺ ، كما قال تعالى : « نزل به الروح الامين على قلبك » . ثم نزل طول
عشرين سنة نجوماً من باطن قلبه الى ظاهر لسانه ، كلما اتاه جبرائيل عليه السلام بالوحي
وقراه عليه بالفاظه » (٢) .

فقد أول - رحمه الله - البيت المعمور الى قلب رسول الله ﷺ . وربما اراد

١- تفسير الرازي ج ٥ ص ٨٥

٢- الصافي ج ١ ص ٢٢ المقدمة التاسعة .

الصدوق - رحمه الله - ايضاً هذا المعنى من قوله : واعطى نبيه العلم جملة واحدة .
وهكذا وقع اختيار الشيخ ابي عبد الله الزنجاني في تأويل هذه الرواية ، قال : ويمكن
ان نقول بان روح القرآن وهى اغراضه الكلية التى يرمى اليها ، تجلت لقلبه الشريف
فى تلك الليلة «نزل به الروح الامين على قلبك» ثم ظهرت بلسانه الاظهر مفرقة فى
طول سنين « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً » .. (١) .
وقد أخذ العلامة الطباطبائى - دام ظله - هذا التأويل وزاد عليه تحقيقاً ، قال :
ان الكتاب ذاحقيقة اخرى وراء مانفهمه بالفهم العادى ، وهى حقيقة ذات وحدة
متماسكة لا تقبل تفصيلاً ولا تجزئة ، لرجوعها الى معنى واحد لا اجزاء فيه ولا فصول .
وانما هذا التفصيل المشاهد فى الكتاب طراً عليه بعد ذلك الاحكام ، قال تعالى : «كتاب
احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» (٢) . وقال تعالى : «انه لقرآن كريم
فى كتاب مكنون لا يمسسه الا المطهرون» (٣) وقال : «ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على
علم» (٤) ... اذن فالمراد بانزال القرآن فى ليلة القدر : انزال حقيقة الكتاب المتوحدة
الى قلب رسول الله ﷺ دفعة ، كما انزل القرآن المفصل فى فواصل وظروف ،
على قلبه ﷺ ايضاً تدريجاً فى مدة الدعوة النبوية ... (٥) .

اقول : سامح الله التأويل ، ما سهله طريقاً الى التخلص عن مثازق البحوث
النظرية ؟! ونحن اذ لانرى مبرراً لهكذا تأويلات غير مستندة الى دليل ، نتساءل هؤلاء
الاعلام : بم أولتم البيت المعمور الذى هو فى السماء الرابعة - حسب روايات

١- تاريخ القرآن ص ١٠

٢- سورة هود : ٢

٣- سورة الواقعة : ٨٠

٤- سورة الاعراف : ٥٢

٥- الميزان ج ٢ ص ١٥ - ١٦

الخاصة - اوبيت العزة - حسب روايات العامة - الى قلب رسول الله ﷺ ؟ ! ولم هذا التعبير جاء في هذا اللفظ ؟! وسوف نناقش السيد العلامة في اختيار وجود آخر للقرآن بسيط ، وراء هذا الوجود المفصل ، اخذه عن احمد بن عبد الحليم وحققه تحقيقاً دقيقاً ، ولكننا رفضناه رأساً ، وسيأتى ذلك في فصل قادم انشاء الله .

تحقيق مفيد :

قال المحقق العلامة الشيخ ابو عبد الله المفيد : «الذى ذهب اليه ابو جعفر (١) - رحمه الله - في هذا الباب ، اصله حديث واحد - اى ليس من المتواتر المقطوع به - لا يوجب علماً ولا عملاً . ونزول القرآن على الاسباب الحادثة حالاً فحالاً يدل على خلاف ما تضمنه هذا الحديث . وذلك أن القرآن قد تضمن حكم ما حدث وذكر ما جرى على وجهه ، وذلك لا يكون على الحقيقة الا لوقت حدوثه عند السبب ...

مثلاً قوله تعالى : «قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما» (٢) ، نزلت هذه الآية بشأن خولة بنت خويلد جاءت تشتكى زوجها اوس بن الصامت الذى كان قد ظاهاها ، وكان ذلك طلاقاً فى الجاهلية (٣) . وقوله تعالى : «واذا رأوا تجارة اولهوا فنفسوا اليها وتركوك قائماً» (٤) . وقوله : «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً» (٥) .

١- نقلنا كلامه سابقاً . وكلام المفيد هنا رد عليه ، وعلى كل من ذهب مذهبه من اختيار ظاهر تلكم الاحاديث .

٢- سورة المجادلة : ١

٣- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٤٦

٤- سورة الجمعة : ١١

٥- سورة الاحزاب : ٢٣

وكثير في القرآن لفظة «قالوا» و«قال» و«جاؤوا» و«جاء» - بلفظ الماضي - كما ان فيه ناسخاً ومنسوخاً . . . كل ذلك لا يتناسب ونزوله جملة واحدة في وقت لم يحدث شيء من ذلك .

قال - رحمه الله - : ولوتبعنا قصص القرآن ، لجاء مما ذكرناه كثيراً يتسع به المقال . وما اشبه ما جاء به هذا الحديث بمذهب المشبهة الذين زعموا ان الله سبحانه لم يزل متكلماً بالقرآن - اى القول يقدم القرآن - ومخبراً عما سيكون بلفظ كان ، وقدرد عليهم اهل التوحيد بنحو ما ذكرناه .

قال : وقد يجوز في الخبر الوارد بنزول القرآن جملة في ليلة القدر : أنه نزلت جملة منه ليلة القدر ، ثم تلاه ما نزل منه الى وفاة النبي ﷺ فأما ان يكون نزل بأسره وجميعه في ليلة القدر فهو بعيد عما يقتضيه ظاهر القرآن ، والمتواتر من الاخبار ، واجماع العلماء على اختلافهم في الاراء ... (١) .
اضف الى ذلك ما ذكرناه في اختيار الوجه الاول ...

اول ما نزل :

اختلف الباحثون في شؤون القرآن ، في أن اى آياته او سورة نزلت قبل ؟ والاقوال في ذلك ثلاثة :

١- سورة العلق . لان نبوته ﷺ بدأت بنزول ثلاث او خمس آيات من أول سورة العلق . وذلك حينما فجأه الحق وهو في غار حراء ، فقال له الملك : اقرأ فقال : ما أنا بقارئ ، فغطه غطاً ثم قال له : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم (٢) . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم (٣) .

١- شرح عقائد الصدوق (تصحيح الاعتقاد) ص ٥٨

٢- صحيح البخارى ج ١ ص ٣

٣- صحيح مسلم ج ١ ص ٩٧

وفى تفسير الامام : هبط اليه جبرائيل واخذ بضبعه وهزه ، فقال : يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم - اقرأ : قال : وما اقرأ ؟ قال : يا محمد ، اقرأ باسم ربك الذى خلق : خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم (١) .

وروى عن الامام الصادق عليه السلام : « اول ما نزل على رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم . اقرأ باسم ربك . وآخر ما نزل عليه اذا جاء نصر الله » (٢) .

٢- سورة المدثر، لما روى عن ابن سلمة ، قال سألت جابر بن عبد الله الانصارى اى القرآن انزل قبل ؟ قال : يا ايها المدثر . قلت : أو اقرأ باسم ربك ؟ قال : أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ : انى جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادى ، فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وشماله - ولعله سمع هاتفا - ثم نظرت الى السماء فاذا هو - يعنى جبرائيل - فاخذتنى رجفة ، فأتيت خديجة ، فأمرتهم فدنثنونى ، فانزل الله : يا ايها المدثر قم فانذر » (٣) .

هذا .. ولعل جابراً اجتهد من نفسه أنها اول سورة نزلت ، اذ ليس فى كلام رسول الله ﷺ دلالة على ذلك ، والارجح أن ما ذكره جابر ، كان بعد فترة انقطاع الوحى ، فظنه جابر بدء الوحى (٤) . واليك حديث فترة انقطاع الوحى برواية جابر ايضاً :

قال : سمعت رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحى ، قال : فبينما انا أمشى اذ سمعت هاتفاً من السماء ، فرفعت رأسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالساً

١- بحار الانوار ج ١٨ ص ٢٠٦ . وتفسير البرهان ج ٢ ص ٢٧٨

٢- اصول الكافى ج ٢ ص ٦٢٨ . وعيون اخبار الرضا ج ٢ ص ٦ . والبحار ج ٢ ص ٣٩ .

والبرهان ج ١ ص ٢٩

٣- صحيح مسلم ج ١ ص ٩٩

٤- راجع : بدر الدين الزركشى - البرهان - ج ١ ص ٢٠٦

على كرسى بين السماء والارض ، فجثت منه فرقاً - اى فزعت - فرجعت ، فقلت :
 زملونى زملونى فدثرونى ، فانزل الله تبارك وتعالى : يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر
 وثيابك فطهر والرجز فاهجر - وهى الاوثان - قال عليه السلام : ثم تتابع الوحي . وفى
 لفظ البخارى : فحمى الوحي وتتابع (١) .

٣- سورة الفاتحة . قال الزمخشري : اكثر المفسرين على أن الفاتحة أول
 ما نزل (٢) . وروى العلامة الطبرسى عن الاستاذ أحمد الزاهد فى كتابه «الايضاح»
 باسناده عن سعيد بن المسيب ، عن على بن ابي طالب - ع - انه قال : «سألت النبى صلى الله عليه وسلم
 عن ثواب القرآن ، فاخبرنى بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء فأول
 ما نزل عليه بمكة : فاتحة الكتاب ، ثم اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ...» (٣) .
 وروى الواحدى فى أسباب النزول بسنده عن ابى مسرة عمرو بن شرحبيل ،
 قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلى وحده سمع نداء فيفزع له ، وللمرة الاخيرة ناداه
 الملك : يا محمد ! قال : لبيك ، قال : قل : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ...
 حتى بلغ : ولا الضالين» . (٤)

قلت : لاشك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى منذ بعثته ، وكان يصلى معه على
 وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة (٥) ولا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (٦) فقد ورد
 فى الاثر : أول ما بدأ به جبرائيل : أن علمه الموضوء والصلاة (٧) فلا بد أن سورة الفاتحة

١- مسلم ج ١ ص ٩٨ . البخارى ج ١ ص ٤

٢- الزمخشري فى الكشاف ج ٤ ص ٧٧٥ . وناقشه ابن حجر مناقشة سطحية لامجال
 لها بعد توضيحنا الانى فى وجه الجمع بين الاقوال الثلاثة . راجع : فتح البارى ج ٨ ص ٥٢٨

٣- مجمع البيان ج ١٠ ص ٢٠٥

٤- اسباب النزول للواحدى ص ١١

٥- على بن ابراهيم القمى : التفسير ص ٣٥٣

٦- مستدرک الحاكم ج ١ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ . ومسلم ج ٢ ص ٩

٧- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٠ - ٢٦١ . والبحار ج ١٨ ص ١٨٤ و ١٩٢

كانت مقرونة بالبعثة . قال جلال الدين السيوطى لم يحفظ انه كان فى الاسلام صلاة
بغير فاتحة الكتاب .

* * *

وبعد .. فلا نرى تنافياً جوهرياً بين الاقوال الثلاثة ، نظراً لان الايات الثلاث
او الخمس من اول سورة العلق انما نزلت تبشيراً بنبوته ﷺ . وهذا اجماع اهل
الملة . ثم بعد فترة جاءته آيات - ايضاً - من اول سورة المدثر ، كما جاء فى حديث
جابر ثانياً . اما سورة الفاتحة فهى اولى سورة نزلت بصورة كاملة ، وبسمة كونها
سورة من القرآن كتاباً سماوياً للمسلمين ، فهى اول قرآن نزل عليه ﷺ بهذا العنوان
الخاص ، واما آيات غيرها سبقتها نزولاً ، فهى انما نزلت لغايات أخرى ، وان سجلت
بعدئذ قرآناً ضمن آياته وسوره .

ومن هنا صح التعبير عن سورة الحمد بسورة الفاتحة اى اول سورة كاملة نزلت
بهذه السمة الخاصة . وهذا الاهتمام البالغ بشأنها فى بدء الرسالة ، واختصاص
فرضها فى الصلوات جميعاً ، جعلها - فى الفضيلة - عدلاً للقرآن العظيم : « ولقد
آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم » (١) . فقد امتن الله على رسوله بهذا النزول
الخاص تجاه سائر القرآن .

نعم لو اعتبرنا السور باعتبار مفتحتها فسورة الحمد تقع الخامسة ، كما جاء
فى رواية جابر بن زيد (٢) الآتية .

آخر ما نزل :

جاء فى رواياتنا : ان آخر ما نزل هو سورة النصر ، روى أنها لما نزلت وقرأها - ص -

١ - سورة الحجر : ٨٧

٢ - الاتقان ج ١ ص ٢٥

على أصحابه ، فرحوا واستبشروا ، سوى العباس بن عبدالمطلب ، فانه بكى ، قال ﷺ : ما يبكيك يا عم ! قال : اظن أنه قد نعت اليك نفسك يا رسول الله ﷺ فقال : انه لكما تقول . فعاش ﷺ بعدها سنتين (١) .

قال الامام الصادق - ع - : وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح» (٢) .
واخرج مسلم عن ابن عباس ، قال : آخر سورة نزلت ، اذا جاء نصر الله والفتح (٣) .
و روى آخر سورة نزلت : براءة . نزلت في السنة التاسعة بعد عام الفتح عند مرجعه ﷺ من غزوة تبوك ، نزلت آيات من أولها ، فبعث بها النبي مع علي عليه السلام ليقراها على ملاء من المشركين (٤) .

وروى : آخر آية نزلت «واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون» . نزل بها جبرئيل ، وقال : وضعها في رأس المأتين والثمانين من سورة البقرة . وعاش الرسول ﷺ بعدها احدى وعشرين يوماً ، وقيل سبعة أيام (٥) .

قال ابن واضح يعقوبي : وقد قيل : ان آخر ما نزل عليه ﷺ «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» (٦) . قال : وهى الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة . وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين على بن ابي طالب - صلوات الله عليه - بغدير خم (٧) .

١- مجمع البيان : الطبرسى ج ١٠ ص ٥٥٢

٢- تفسير البرهان : البحرانى ج ١ ص ٢٩

٣- الاتقان ج ١ ص ٢٧

٤- تفسير الصافي : الفيض ج ١ ص ٦٨٠

٥- تفسير شبر : ص ٨٣

٦- سورة المائدة : ٣

٧- تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٣٥

اقول : لاشك أن سورة النصر نزلت قبل براءة ، لانها كانت بشارة بالفتح ،
 او بمكة عام الفتح (١) وبراءة نزلت بعد الفتح بسنة . فطريق الجمع بين هذه الروايات :
 أن آخر سورة نزلت كاملة هي سورة النصر ، فقال ﷺ : أما ان نفسى نعت
 الى (٢) . وآخر سورة نزلت باعتبار مفتحتها هي سورة براءة . وأما آية « واتقوا
 يوماً ترجعون فيه الى الله » فان صبح أنها نزلت بمنى يوم النحر فى حجة الوداع -
 كما جاء فى رواية الماوردى (٣) فأخر آية نزلت هي آية الاكمال - كما ذكرها البيهقي .
 لانها نزلت فى مرجعه ﷺ من حجة الوداع ثامن عشر ذى الحجة . والافلو صبح أن
 النبى عاش بعد آية « واتقوا ... » احدى وعشرين يوماً اوسبعة اوتسعة أيام ، فهذه هي
 آخر آية نزلت عليه ﷺ .

والارجح عندنا : هو ما ذهب اليه البيهقي ، نظراً لانها آية الاعلام بكمال
 الدين ، فكانت انذاراً بانتهاء الوحي عليه ﷺ بالبلاغ والاداء . فلعل تلك الاية
 كانت آخر آيات الاحكام ، وهذه آخر آيات الوحي اطلاقاً .

وهناك اقوال وآراء آخر لاقيمة لها ، انها غير مستندة الى نص معصوم .

قال القاضى ابوبكر - فى الانتصار - : وهذه الاقوال ليس فى شىء منها ما رفع
 الى النبى ﷺ ويجوز ان يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد ، وتغليب الظن ،
 وليس العلم بذلك من فرائض الدين ، حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط .
 ويحتمل ان كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله ﷺ . وغيره سمع منه
 بعد ذلك . ويحتمل - ايضاً - ان تنزل الاية التى هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ
 مع آيات نزلت معها ، فيؤمر برسم منازل معها ، وتلاوتها عليهم بعد رسم منازل
 آخرها وتلاوته ، فيظن سامع ذلك أنه آخر منازل فى الترتيب (٤) .

١- اسباب النزول بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٤٥

٢- مجمع البيان ج ٢ ص ٣٩٤

٣- البرهان : الزركشى ج ١ ص ١٨٢

٤- » » ص ٢١٠

المكى والمدنى :

لمعرفة المكى من المدنى ، سواء أكانت سورة ام آية ، فائدة كبيرة تمس جوانب اسباب النزول ، وتمد المفسر والفقهاء في تعيين اتجاه الآية ، وفي مجال معرفة الناسخ من المنسوخ ، والخاص من العام ، والقيّد من الاطلاق ، وما شبه . ومن ثم حاول العلماء جهدهم في تعيين المكيات من المدنيات ، ووقع اجماعهم على قسم كبير ، واختلفوا في البقية . كما استثنوا آيات مدنية في سور مكية او بالعكس ، ولذلك تفصيل طريف يأتي .

والملاك في تعيين المكى والمدنى مختلف حسب اختلاف الآراء والانظار في ذلك ، وفيما يلي ثلاث نظريات جاءت مشهورة :

الاول : اعتبار ذلك بهجرة النبي ﷺ ووصوله الى المدينة المنورة . فمانزل قبل الهجرة اوفى اثناء الطريق قبل وصوله الى المدينة ، فهو مكى ، ومانزل بعد ذلك فهو مدنى .

والملاك على هذا الاعتبار ملاك زمنى ، فمانزل قبل وقت الهجرة ، ولو في غير مكة فهو مكى . ومانزل بعد الهجرة ولو في غير المدينة حتى ولو نزل في مكة عام الفتح اوفى حجة الوداع ، فهو مدنى باعتبار نزوله بعد الهجرة . وعلى هذا الاصطلاح فجميع الايات النازلة في الحروب وفي اسفاره ﷺ بما انها نزلت بعد الهجرة ، كلها مدنيات .

قال يحيى بن سلام : مانزل بمكة اوفى طريق المدينة قبل ان يبلغ ﷺ فهو مكى . ومانزل بعد ما قدم ﷺ المدينة اوفى بعض اسفاره وحروبه فهو مدنى . قال جلال الدين : وهذا اثر لطيف يؤخذ منه ان مانزل في سفر الهجرة مكى اصطلاحاً (١).

وذلك كقوله تعالى : « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » (١) قبل :
 نزلت بالجحفة والنبي ﷺ فى طريق هجرته الى المدينة (٢) .
 الثانى : منازل بمكة وحواليها - ولوبعد الهجرة - فهو مكى ، ومنازل بالمدينة
 وحواليها فهو مدنى . ومنازل خارج البلدين ، بعيداً عنهما فهو لامكى ولامدنى ،
 كقوله تعالى : « كذلك ارسلناك فى امة قدخلت من قبلها امم ، لتتلو عليهم الذى اوحينا
 اليك ، وهم يكفرون بالرحمان ، قل هوربى لاله الا هو عليه توكلت واليه متاب » (٣) .
 قيل : نزلت بالحديبية حينما صالح النبي ﷺ مشركى قريش فقال رسول الله ﷺ
 لعلى - ع - : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ... فقال سهيل بن عمرو وسائر المشركين
 ما نعرف الرحمان الا صاحب اليمامة ، يعنون مسيلمة الكذاب ، فنزلت الاية (٤) وهكذا
 آية الانفال (٥) نزلت فى بدر عندما اختصم المسلمون فى تقسيم الغنائم (٦) لامكية
 ولامدنية ، على هذا الاصطلاح .

الثالث : ما كان خطاباً لاهل مكة فهو مكى ، وما كان خطاباً لاهل المدينة فهو
 مدنى . وهذا الاصطلاح مأخوذ من كلام ابن مسعود : « كل شىء نزل فيه يا ايها الناس
 فهو بمكة . وكل شىء نزل فيه يا ايها الذين آمنوا فهو بالمدينة » (٧) . قال الزركشى :
 لان الغالب على اهل مكة الكفر ، والغالب على اهل المدينة الايمان (٨) .

١ - سورة القصص : ٨٥

٢ - البرهان : الزركشى ج ١ ص ١٩٧

٣ - سورة الرعد : ٣٩

٤ - مجمع البيان ج ٦ ص ٢٩٣

٥ - سورة الانفال : ١

٦ - راجع : السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٣٢٢

٧ - مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٨

٨ - البرهان ج ١ ص ١٨٧

وهذا الاختلاف في تحديد المكي والمدني اوجب اختلافاً في كثير من آيات وسور : أنها مكية ام مدنية (١) . غير ان المعتمد من هذه المصطلحات هو الاول ، وهو المشهور الذي جرى عليه اكثرية اهل العلم (٢) وكان تحديدنا الاتي في نظم السور حسب ترتيب نزولها معتمداً على هذا الاصطلاح .

نعم ، الطريق الى معرفة مواقع النزول : انها كانت بمكة او بالمدينة او بغيرهما ، قليل جداً ، لان الاوائل لم يعيروا هذه الناحية المهمة اهتماماً معتدأ به ، سوى ماذكروه في عرض الكلام استطراداً ، وهي استفادة ضئيلة للغاية ، ومن ثم يجب لمعرفة ذلك ملاحظة شواهد وقرائن من لفظ الاية او استفادة من لهجة الكلام ، خطاباً مع نوعية موقف الموجه اليهم : أكان في حرب ام في سلم ، وعدم وعيد ، ارشاد او تكليف ...؟ فيما اذا اوجب ذلك علماً او حلاً قطعياً لمشكلة في لفظ الاية ، كما في قوله : « فمن حج البيت او اعتمر فلاجناح عليه ان يطوف بهما » (٣) ، فان مشكلة دلالتها على مطلق الترخيص دون الالتزام والايجاب ، تنحل بمآثر في سبب نزولها (٤) . الامر الذي يوجب الثقة بصحة الاثر ، مع غض النظر عن ملاحظة السند ، ومن ثم فهي مدنية . قال الجعبري : لمعرفة المكي والمدني طريقان : سماعي وقياسي . فالسماعي ما وصل اليه نزوله باحدهما . والقياسي ، قال علقمة عن ابن مسعود : كل سورة فيها « يا ايها الناس » فقط ، او « كلا » ، او اولها حروف تهج سوى الزهراوين (البقرة وآل

١- كما في آية الامانات من سورة النساء : ٥٨ زعمها النحاس مكية لرواية ابن جريح

راجع : مجمع البيان ج ٣ ص ٦٣

٢- راجع : البرهان للزركشي ج ١ ص ١٨٧ والاتقان ج ١ ص ٩

٣- سورة البقرة : ١٥٨

٤- كان المسلمون يتخرجون السمي بين الصفا والعروة ، زعما انها عادة جاهلية تكريماً

بمقام اساف ونائلة ، فنزلت الاية دفعاً لهذا الوهم . راجع : مجمع البيان ج ١ ص ٢٢٠

عمران) والرعد - في وجهه - اوفيهها قصة آدم وابليس سوى الطولى (البقرة) اوفيهها قصص الانبياء والامم الخالية ، فهى مكية وكل سورة فيها حمد اوفريضة ، فهى مدنية . وفي رواية : وكل سورة فيها : «ياايها الذين آمنوا» فهى مدنية .

قال الزركشى : وهذا القول - الاخير - ان اخذ على اطلاقه ففيه نظر ، فان

سورة البقرة مدنية وفيها : «ياايها الناس اعبدوا ربكم» (١) ، وفيها : «ياايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا» (٢) . وسورة النساء مدنية وفيها : «ياايها الناس اتقوا ربكم» (٣) . وفيها : «ان يشأ يذهبكم ايها الناس» (٤) . فان اراد المفسرون ان الغالب ذلك فهو صحيح ، ولذا قال مكى بن حموش : هذا انما هو فى الاكثر وليس بعام . وفي كثير من سور مكية «ياايها الذين آمنوا» (٥) .

وقال القاضى ابوبكر : كانت العادة تقضى بحفظ الصحابة ذلك ، غير أنه لم يكن من النبى ﷺ فى ذلك قول ، ولا ورد عنه ﷺ انه قال : ما نزل بمكة كذا وبالمدينة كذا . وانما لم يفعله لانه لم يؤمر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الامة ، وكذلك الصحابة والتابعون من بعدهم ، لما لم يعتبروا ذلك من فرائض الدين ، لم تتوفر الدواعى على اخبارهم به ، ومواصلة ذلك على اسماعهم . واذا كان الامر على ذلك ساغ ان يختلف من جاء بعدهم فى بعض القرآن : هل هو مكى او مدنى ؟ وان يعملوا فى القول بذلك ضرباً من الرأى والاجتهاد...» (٦) .

١- البقرة : ٢١

٢- » : ١٦٨

٣- النساء : ١

٤- » : ١٣٣

٥- لم نجد فى سورة مكية «ياايها الذين آمنوا» . نعم فيها كثير ذكر «الذين آمنوا» بلاخطاب . كما فى سورة ص والزمر وغافر وفصلت وغيرها .

نعم ذكر الزركشى مثالا لذلك قوله تعالى : «ياايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا» سورة الحج : ٧٧ . فزعمها مكية . لكن الصحيح انها مدنية وسيأتى ذلك .

٦- راجع : البرهان للزركشى ج ١ ص ١٩٠ - ١٩٢

ترتيب النزول :

اعتمدنا في هذا العرض على عدة روايات متفق عليها ، وثق بها العلماء اكثريا ، وعمدتها رواية ابن عباس بطرق واسانيد اعترف بها ائمة الفن (١) قال الامام بدر الدين الزركشى : وعلى هذا الترتيب استقرت الرواية من الثقات (٢) . وقد اخذناها الاصل الاول في هذا العرض ، واكملنا ماسقط منها على رواية جابر بن زيد وغيره ، وكذا نصوص تاريخية معتمدة (٣) ، نعم كان بينها بعض الاختلاف اما للاختلاف في تحديد المكى والمدنى ، اوفى عددا المكيات من المدنيات ، ومن ثم جاء اختلافهم في نيف وثلاثين سورة : انها مكيات ام مدنيات .

والنظر في هذا العرض كان الى مفتتح السور ، فالسورة اذ انزلت من اولها بضع آيات ، ثم نزلت اخرى ، وبعدها اكتملت الاولى ، كانت الاولى متقدمة على الثانية في ترتيب النزول - حسب هذا المصطلح .

واليك قائمة السور المكية ، وعددها : ست وثمانون سورة . متقدمة على السور المدنية ، وعددها : ثمان وعشرون سورة . مع غرض النظر عن سور مختلف فيها ، وسنتكلم عن ذلك في فصل قادم .

١- راجع : مجمع البيان للعلامة الطبرسى ج ١٠ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ . والاتقان لجلال

الدين السيوطى ج ١ - ص ١٠-١١ و ص ٢٥

٢- البرهان لبدر الدين الزركشى ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٤ .

٣- راجع : الفهرست لابن النديم محمد بن اسحاق الوراق ص ٢٨ وتاريخ ابن واضح

اليقوبى ج ٢ ص ٢٨

السورالمكية

(٨٦)

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
١	العلق	٩٦	١١	الضحى	٩٣
٢	القلم	٦٨	١٢	الشرح	٩٤
٣	المزمل	٧٣	١٣	العصر	١٠٣
٤	المدثر	٧٤	١٤	العاديات	١٠٠
٥	الفاتحة (١)	١	١٥	الكوثر	١٠٨
٦	المسد	١١١	١٦	التكاثر	١٠٢
٧	التكوير	٨١	١٧	الماعون	١٠٧
٨	الاعلى	٨٧	١٨	الكافرون	١٠٩
٩	الليل	٩٢	١٩	الفيل	١٠٥
١٠	الفجر	٨٩	٢٠	العلق	١١٣

١- سقطت الفاتحة من رواية ابن عباس ، فاثبتناها على رواية جابر بن زيد : الاتقان ج ١

ص ٢٥ وعلى نص اليعقوبى : التاريخ ج ٢ ص ٢٦

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
٢١	الناس	١١٤	٢٥	الفرقان	٢٥
٢٢	التوحيد	١١٢	٣٥	فاطر	٣٥
٢٣	النجم	٥٣	١٩	مريم	١٩
٢٤	عبس	٨٠	٢٠	طه	٢٠
٢٥	القدر	٩٧	٥٦	الواقعة	٥٦
٢٦	الشمس	٩١	٢٦	الشعراء	٢٦
٢٧	البروج	٨٥	٢٧	النمل	٢٧
٢٨	التين	٩٥	٢٨	القصص	٢٨
٢٩	قريش	١٠٦	١٧	الاسراء	١٧
٣٠	القارعة	١٠١	١٠	يونس	١٠
٣١	القيامة	٧٥	١١	هود	١١
٣٢	الهمزة	١٠٢	١٢	يوسف	١٢
٣٣	المرسلات	٧٧	١٥	الحجر	١٥
٣٤	ق	٥٠	٦	الانعام	٦
٣٥	البلد	٩٠	٣٧	الصافات	٣٧
٣٦	الطارق	٨٦	٣١	لقمان	٣١
٣٧	القمر	٥٢	٣٤	سبا	٣٤
٣٨	ص	٣٨	٣٩	الزمر	٣٩
٣٩	الاعراف	٧	٤٠	غافر	٤٠
٤٠	الجن	٧٢	٤١	فصلت	٤١
٤١	يس	٣٦	٤٢	الشورى	٤٢

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
٦٣	الزخرف	٤٣	٧٥	السجدة	٣٢
٦٤	الدخان	٤٤	٧٦	الطور	٥٢
٦٥	الجاثية	٤٥	٧٧	الملك	٦٧
٦٦	الاحقاف	٤٦	٧٨	الحاقة	٦٩
٦٧	الذاريات	٥١	٧٩	المعارج	٧٠
٦٨	الغاشية	٨٨	٨٠	النبأ	٧٨
٦٩	الكهف	١٨	٨١	النازعات	٧٩
٧٠	التحل	١٦	٨٢	الانفطار	٨٢
٧١	نوح	٧١	٨٣	الانشقاق	٨٤
٧٢	ابراهيم	١٢	٨٤	الروم	٢٠
٧٣	الانبياء	٢١	٨٥	العنكبوت	٢٩
٧٤	المؤمنون	٢٣	٨٦	المطففين	٨٣

السور المدنية

(٢٨)

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
٨٧	البقرة	٢	٩١	المتحنة	٦٠
٨٨	الانفال	٨	٩٢	النساء	٤
٨٩	آل عمران	٣	٩٣	الزلال	٩٩
٩٠	الاحزاب	٣٣	٩٤	الحديد	٥٧

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
٩٥	محمد	٣٧	١٠٥	المنافقون	٤٣
٩٦	الرعد	١٣	١٠٦	المجادلة	٥٨
٩٧	الرحمان	٥٥	١٠٧	الحجرات	٢٩
٩٨	الانسان	٧٦	١٠٨	التحريم	٤٤
٩٩	الطلاق	٦٥	١٠٩	الجمعة	٦٢
١٠٠	البينة	٩٨	١١٠	التغابن	٤٢
١٠١	الحشر	٥٩	١١١	الصف (١)	٤١
١٠٢	النصر	١١٠	١١٢	الفتح	٢٨
١٠٣	النور	٢٢	١١٣	المائدة (٢)	٥
١٠٤	الحج	٢٢	١١٤	براءة	٩

واليك قائمة اخرى مرتبة على حروف التهجي ، والرقم يشير الى ترتيب السورة في المصحف :-

الف

٣- آل عمران	مدنية	نزلت بعد الانفال
١٢- ابراهيم	مكية	نزلت بعد نوح
٣٣- الاحزاب	مدنية	نزلت بعد آل عمران
٢٤- الاحقاف	مكية	نزلت بعد البجائية
١٧- الاسراء	مكية	نزلت بعد القصص
٧- الاعراف	مكية	نزلت بعد ص

١- جعل الزركشى سورة الصف بعد التحريم وقبل الجمعة .

٢- قدم الزركشى البراءة على المائدة ، وجعل هذه الاخيرة آخر السور .

٨٧- الأعلى	مكية	نزلت بعد التكوين
٢١- الانبياء	مكية	نزلت بعد ابراهيم
٧٤- الانسان	مدنية	نزلت بعد الرحمان
٨٢- الانشقاق	مكية	نزلت بعد الانفطار
٤- الانعام	مكية	نزلت بعد الحجر
٨- الانفال	مدنية	نزلت بعد البقرة
٨٢- الانفطار	مكية	نزلت بعد النازعات

ب

٩- براءة	مدنية	نزلت بعد المائدة
٨٥- البروج	مكية	نزلت بعد الشمس
٢- البقرة	مدنية	نزلت بعد المطففين
٩٠- البلد	مكية	نزلت بعد ق
٩٨- البينة	مدنية	نزلت بعد الطلاق

ت

٤٤- التحريم	مدنية	نزلت بعد الحجرات
٤٢- التغابن	مدنية	نزلت بعد الجمعة
١٠٢- التكاثر	مكية	نزلت بعد الكوثر
٨١- التكوين	مكية	نزلت بعد المسد
١١٢- التوحيد	مكية	نزلت بعد الناس
٩٥- التين	مكية	نزلت بعد البروج

ج

٢٥- الجاثية	مكية	نزلت بعد الدخان
-------------	------	-----------------

٦٢- الجمعة	مدنية	نزلت بعد التحريم
٧٢- الجن	مكية	نزلت بعد الاعراف

ح

٦٩- الحاقة	مكية	نزلت بعد الملك
٢٢- الحج	مدنية	نزلت بعد النور
١٥- الحجر	مكية	نزلت بعد يوسف
٤٩- الحجرات	مدنية	نزلت بعد المجادلة
٥٧- الحديد	مدنية	نزلت بعد الزلزال
٥٩- الحشر	مدنية	نزلت بعد البينة

د

٢٢- الدخان	مكية	نزلت بعد الزخرف
------------	------	-----------------

ذ

٥١- الذاريات	مكية	نزلت بعد الاحقاف
--------------	------	------------------

ر

٥٥- الرحمن	مدنية	نزلت بعد الرعد
١٣- الرعد	مدنية	نزلت بعد محمد
٣٠- الروم	مكية	نزلت بعد الانشقاق

ز

٢٣- الزخرف	مكية	نزلت بعد الشورى
٩٩- الزلزال	مدنية	نزلت بعد النساء
٣٩- الزمر	مكية	نزلت بعد سبأ

س

نزلت بعد لقمان	مكية	٣٤- سبأ
نزلت بعد المؤمنون	مكية	٣٢- السجدة

ش

نزلت بعد الضحى	مكية	٩٤- الشرح
نزلت بعد الواقعة	مكية	٢٦- الشعراء
نزلت بعد القدر	مكية	٩١- الشمس
نزلت بعد فصلت	مكية	٤٢- الشورى

ص

نزلت بعد القمر	مكية	٣٨- ص
نزلت بعد الانعام	مكية	٣٧- الصافات
نزلت بعد التغابن	مدنية	٦١- الصف

ض

نزلت بعد الفجر	مكية	٩٣- الضحى
----------------	------	-----------

ط

نزلت بعد البلد	مكية	٨٦- الطارق
نزلت بعد مريم	مكية	٢٠- طه
نزلت بعد الانسان	مدنية	٦٥- الطلاق
نزلت بعد السجدة	مكية	٥٢- الطور

ع

نزلت بعد العصر	مكية	١٠٠- العاديات
----------------	------	---------------

٨٠- عبس	مكية	نزلت بعد النجم
١٠٣- العصر	مكية	نزلت بعد الشرح
٩٦- العلق	مكية	هي اول ما نزلت
٢٩- العنكبوت	مكية	نزلت بعد الروم

غ

٨٨- الغاشية	مكية	نزلت بعد الذاريات
٤٠- غافر	مكية	نزلت بعد الزمر

ف

١- الفاتحة	مكية	نزلت بعد المدثر
٣٥- فاطر	مكية	نزلت بعد الفرقان
٢٨- الفتح	مدنية	نزلت بعد الصف
٨٩- الفجر	مكية	نزلت بعد الليل
٢٥- الفرقان	مكية	نزلت بعد يس
٣١- فصلت	مكية	نزلت بعد غافر
١١٣- الفلق	مكية	نزلت بعد الفيل
١٠٥- الفيل	مكية	نزلت بعد الكافرون

ق

٥٠- ق	مكية	نزلت بعد المرسلات
١٠١- القارعة	مكية	نزلت بعد قريش
٩٧- القدر	مكية	نزلت بعد هبس
١٠٦- قريش	مكية	نزلت بعد التين
٢٨- القصص	مكية	نزلت بعد النمل

٦٨- القلم	مكية	نزلت بعد العلق
٥٤- القمر	مكية	نزلت بعد الطارق
٧٥- القيامة	مكية	نزلت بعد القارعة

ك

١٠٩- الكافرون	مكية	نزلت بعد الماعون
١٨- الكهف	مكية	نزلت بعد الغاشية
١٠٨- الكوثر	مكية	نزلت بعد العاديات

ل

٣١- لقمان	مكية	نزلت بعد الصافات
٩٢- الليل	مكية	نزلت بعد الاعلى

م

٥- المائدة	مدنية	نزلت بعد الفتح
١٠٧- الماعون	مكية	نزلت بعد التكاثر
٥٨- المجادلة	مدنية	نزلت المنافقون
٤٧- محمد	مدنية	نزلت بعد الحديد
٧٤- المدثر	مكية	نزلت بعد المزمل
٧٧- المرسلات	مكية	نزلت بعد الهمزة
١٩- مريم	مكية	نزلت بعد فاطر
٧٣- المزمل	مكية	نزلت بعد القلم
١١١- المسد	مكية	نزلت بعد الفاتحة
٨٣- المطففين	مكية	نزلت بعد العنكبوت
٧٠- المعارج	مكية	نزلت بعد الحاقة

٦٧- الملك	مكية	نزلت بعد الطور
٦٠- الممتحنة	مدنية	نزلت بعد الاحزاب
٦٣- المنافقون	مدنية	نزلت بعد الحج
٢٣- المؤمنون	مكية	نزلت بعد الانبياء

ن

١١٤- الناس	مكية	نزلت بعد الفلق
٧٩- النازعات	مكية	نزلت بعد النبأ
٧٨- النبأ	مكية	نزلت بعد المعارج
٥٣- النجم	مكية	نزلت بعد التوحيد
١٦- النحل	مكية	نزلت بعد الكهف
٤- النساء	مدنية	نزلت بعد الممتحنة
١٠- النصر	مدنية	نزلت بعد الحشر
٢٧- النمل	مكية	نزلت بعد الشعراء
٧١- نوح	مكية	نزلت بعد النمل
٢٤- النور	مدنية	نزلت بعد النصر

و

٥٦- الواقعة	مكية	نزلت بعد طه
-------------	------	-------------

هـ

١٠٤- الهمزة	مكية	نزلت بعد القيامة
١١- هود	مكية	نزلت بعد يونس

ي

٣٦- يس	مكية	نزلت بعد الجن
١٢- يوسف	مكية	نزلت بعد هود
١٠- يونس	مكية	نزلت بعد الاسراء

سور مختلف فيها :

نتيجة على ماسبق كانت السور المكية ستاً وثمانين سورة ، اولهن سورة العلق وآخرهن سورة المطففين . والسور المدنية ثمانى وعشرين سورة اولهن سورة البقرة ، وآخرهن سورة براءة .

لكن هذا التحديد لم يكن متفقاً عليه عند الجميع ، فهناك فى اكثر من ثلاثين سورة خالف بعضهم ما اثبتناه فى القائمتين . وفيما يلى عرض موجز عن هذا الاختلاف ، مع المامة قصيرة الى وجه اختيارنا فى الموضوع ، ونؤجل التفصيل الى تفسيرنا الوسيط :

١ - سورة الفاتحة

قال مجاهد : انها مدنية (١) .

قال الحسين بن الفضل : هذه هفوة من مجاهد ، لان العلماء على خلاف قوله (٢) ولقول على عليه السلام : نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش (٣) .

١- مجمع البيان ج ١ ص ١٧

٢- الاتقان ج ١ ص ١٢

٣- » » »

وقوله تعالى : «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم (١) » وسورة الحجر مكية باتفاق ، وهذا اخبار عن ماض سبق .
ولانها اول سورة كاملة نزلت على رسول الله ﷺ علمه اياها جبرئيل (٢)
ومن ثم سميت بفاتحة الكتاب (٣) فكان ﷺ يصلى بها فى اولى جماعة انعقدت بهم
نطفة الاسلام ، ولا صلاة الا بفاتحة الكتاب (٤) قال جلال الدين : ولم يحفظ صلاة بغير
فاتحة الكتاب (٥) .

٢- سورة النساء

زعم النحاس انها مكية ، نظر الى قوله تعالى : «ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها» (٦) فقد قال ابن جريح : انها نزلت بمكة عام الفتح بشأن مفتاح البيت الحرام ، اراد النبي ﷺ ان يدفعه الى العباس بن عبد المطلب ، فأمره الله ان يدفعه الى عثمان بن طلحة ، حيث كان ﷺ قد اخذه منه (٧) .
لكن المفسرين اتفقوا على انها مدنية ، نظراً لضعف اسناد هذا الحديث . على
ان نزول آية او سورة بمكة عام الفتح لا يجعلها مكية ، على الاصطلاح المشهور :
مانزل بعد الهجرة فهو مدنى ولو كان نزوله بمكة .
وأخيراً فان السورة بكاملتها لا تنسجم بسمه آية واحدة فيها : كان نزولها على

١- سورة الحجر : ٨٧

٢- زبنى دحلان بهامش الحلبية ج ١ ص ١٦١

٣- تقدم ذلك فى ص ٩٥

٤- صحيح مسلم ج ٢ ص ٩ والمستدرک للحاكم ج ١ ص ٢٣٨ و ٢٣٩

٥- الاتفاق ج ١ ص ١٢

٦- سورة النساء : ٥٨

٧- مجمع البيان ج ٣ ص ٦٣

٣- سورة يونس

فى رواية شاذة عن ابن عباس : أنها مدنية (١) . ولم تثبت هذه الرواية ، فضلاً عن مخالفتها للنص المتقدم عن ابن عباس نفسه فى ترتيب نزول السور ، وكان متفقاً عليه تقريباً .

٤- سورة الرعد

قال محمد بن السائب الكلبى ومقاتل وعطاء : انها مكية (٢) . وكذا فى رواية رواها مجاهد عن ابن عباس (٣) .

ورجح سيد قطب هذا القول ، قال : ومكية هذه السورة شديدة الوضوح ، سواء فى طبيعة موضوعها او طريقة ادائها او فى جوها العام الذى لا يخطئ تنسمه من يعيش فى ظلال هذا القرآن (٤) .

لكن روايات الترتيب اتفقت على انها مدنية نزلت بعد سورة القتال ، كما جاء فى رواية عكرمة والحسين بن ابى الحسن . ورواية خصيف عن مجاهد عن ابن عباس نفسه (٥) . وكذا قال الحسن وقتادة (٦) .

واما سياق السورة فانه توجيه عام للبشرية الى آيات التوحيد ، الامر الذى

١- الاتقان ج ١ ص ١٢

٢- الدر المنثور ج ٤ ص ٢٢ والمجمع ج ٦ ص ٢٧٣

٣- الاتقان ج ١ ص ٩

٤- فى ظلال القرآن ج ١٣ ص ٦٣ الهامش .

٥- الاتقان ج ١ ص ١٠

٦- مجمع البيان ج ٦ ص ٢٧٣ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٢

تشارك فيها السور المكية والمدنية، ككثير من آيات سورة البقرة وغيرها من سور مدنيات .
والعمدة: اتفاق روايات الترتيب. ويتضح ذلك أكثر عند الكلام عن سورة الرحمان.

٥- سورة الحج

قال ابو محمد مكي بن ابي طالب : انها مكية (١) . وروى ذلك عن مجاهد بسند فيه ضعف (٢) قال : سألت ابن عباس عن نزول السور ، حتى انتهى الى سورة الحج ، فقال : انزلت بمكة سوى الايات الثلاث (١٩ و ٢٠ و ٢١) نزلن بالمدينة (٣) ولما رواه الطبري من حديث الغرائيق (٤) وايضاً فان لهجتها الشديدة تناسب نزولها بمكة !
قلت : كل ذلك لا يقاوم اتفاق كلمة روايات الترتيب ونصوص المؤرخين .
ورواية مجاهد - مع ضعف سندها - معارضة بروايات الترتيب المتفق عليها (٥) .
اما حديث الغرائيق فحديث خرافة لأصل لها (٦) . واما اللهجة فهي غالبية وليست دائمية ، ومن ثم لا تصلح مستنداً للحكم عليها .

١- الكشف عن القراءات السبع ج ٢ ص ١١٦

٢- بسبب ابي عبيدة معمر بن المثنى ، كان يرى رأى الخوارج بـذيقاً منهتكاً ، قليل العناية بالقرآن ، واذقراه قرأه نظراً . راجع : الفهرست لابن النديم ص ٥٩ . وميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٥٥ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٤٧ .

٣- الاتفاق ج ١ ص ٩

٤- تفسير الطبري ج ٧ ص ١٣١ - ١٣٢

٥- راجع : الاتفاق ج ١ ص ١١ و ص ٢٥ وفهرست ابن النديم ص ٢٨ والدر المنثور

ج ٢ ص ٣٤٢ .

٦- تقدم الكلام في ذلك في ص ٦١ .

٦ - سورة الفرقان

زعم الضحاك انها مدنية ، نظراً لايات فى آخرها قيل فيها : انها مدنية (١) .
وهذا لوحده لا يصلح دليلاً على مدنيته بعد اتفاق روايات الترتيب .

٧ - سورة يس

قيل : انها مدنية (٢) . ولم يعرف هذا القائل ولا دليله الذى استند اليه . والاجماع منعقد على أنها مكية .

٨ - سورة ص

ايضاً قيل : انها مدنية (٣) وهو شاذ مخالف للاجماع .

٩ - سورة محمد (ص)

فيها قول ضعيف : انها مكية (٤) وهو غريب بعد ان كانت سورة القتال !

١٠ - سورة الحجرات

قيل : انها مكية . وهى مدنية بالاجماع قولاً واحداً (٥) .

١١ - سورة الرحمان

جاء فى نص الفهرست واليعقوبى : انها مكية . وذهب المشهور ايضاً الى ذلك .

١ - الاتقان ج ١ ص ١٣

٢ - ٣ - ٤ - نفس المصدر .

٥ - الاتقان ج ١ ص ١٣

قال جلال الدين : وهو الصواب ، لما رواه الترمذى والحاكم عن جابر قال : لما قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمان على اصحابه حتى فرغ . قال : مالي اراكم سكوتاً؟ للجن كانوا احسن منكم رداً ! ما قرأت من مرة «فبأى آلاء ربكما تكذبان» الا قالوا : ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد». قال جلال الدين : وقصة الجن كانت بمكة (١).

قال : واصرح من ذلك ما رواه احمد في مسنده عن اسماء بنت ابى بكر ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ وهو يصلى نحو الركن قبل ان يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون : «فبأى آلاء ربكما تكذبان» (٢) قال : وهذا دليل على انها نزلت قبل سورة الحجر . وقال سيد قطب : نسق السورة تتضح فيه سمات القرآن المكي (٣) .

اقول : لاشك ان رنتها الاخاذة تشبه رنة غالبية السور المكية ، بل من اوقعها على مسامع النفس . لكن ليس هذا وحده دليلاً على مكيتها بعد ان لم يكن ميزة اختصاصية ، وكانت توجد في سور مدنية ايضاً ، كما في سورة الزلزلة ، وسورة البينة ، وسورة الانسان ، وغيرهن . وكثير من سور مكية جاءت في لهجة هادئة كسورة يوسف ويونس وهود والانعام والاعراف وغيرهن كثير .

واما حديث الجن فلا دليل على انه كان بمكة ، اذ لا ملازمة بين هذا الحديث وحديث نزول سورة الجن بمكة . فلعلها قصة اخرى كانت بالمدينة .

واما حديث اسماء - ان صح - فهو يدل على نزولها في باكورة البعثة ، ولا قائل بذلك ، لانها قالت : قبل ان يصدع بالامر .

هذا فضلاً عن ضعف اسناد هذا الحديث - كما جاء في المسند - بسبب وجود ابن لهيعة قاضى مصر ، فى طريقه ، وهو مطعون فيه ، فقد ضعفه ابن معين وقال : لا يحتج بحديثه . وكان يحيى بن سعيد لا يراه شيئاً (٤) .

١- الاتقان ج ١ ص ١٣

٢- المسند ج ٦ ص ٣٢٩

٣- فى ظلال القرآن ج ٢٧ ص ٦٦٨

٤- راجع : ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٤٧٥ . وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٥ ص ٣٧٢ .

واخيراً فان هكذا تعليقات ضعيفة لاتقاوم روايات الترتيب المتفق عليها (١).

١٢ - سورة الحديد

قال قوم : انها مكية (٢) استناداً الى حديث اسلام عمر بن الخطاب، دخل على اخته فوجد عندها صحيفة فيها سورة الحديد، فقرأها حتى بلغ : « ان كنتم مؤمنين » (٣) فحبب اليه الاسلام فأثنى النبي ﷺ واسلم على يديه (٤) .

وهذا الحديث معارض بحديث ابن اسحاق : كانت في الصحيفة سورة طه ، فقرأها حتى انتهى الى قوله تعالى : « لتجزى كل نفس بما تسعى » (٥) . وقيل ان الصحيفة كان فيها مع سورة طه : « اذا الشمس كورت » . وان عمر انتهى في قرائتها الى قوله : « علمت نفس ما احضرت » . فلان قلبه ورغب في الاسلام . (٦)

ومعارض ايضاً بحديث شريح بن عبيد ، قال : قال عمر : خرجت اتعرض رسول الله ﷺ قبل ان اسلم فوجدته سبقني الى المسجد ، فقممت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت اعجب من تأليف القرآن ، فلما اتمها وقع الاسلام في قلبي كل موقع (٧) . هذا وذاك الحديث مرسل ، ارسله من لا يوثق به . قال ابن حجر : والحديث بسند فيه

١- راجع : مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٠٥ . والاتقان ج ١ ص ١١ و ص ٢٥ .

(٢) قال ابن حزم : هي مدنية الا في قول الكلبي : انها مكية (رسالة الناسخ والمنسوخ)

بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٩٧

٣- سورة الحديد : ٨

٤- اسد الغابة : ابن الاثير ج ٣ ص ٥٢

٥- سورة طه : ١٥

٦- سيرة ابن هشام . وهامشه ج ١ ص ٣٧٠

٧- اسد الغابة ج ٢ ص ٥٤ والاصابة ج ٢ ص ٥١٩

اسحاق بن عبدالله بن ابي فروة (١). و اشار بذلك الى غمز في السند ، لان ابن ابي فروة هذا مطعون فيه متروك الحديث (٢) .

و تمسك بعضهم بحديث ابن مسعود : قال : ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بقوله تعالى : «الم بأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ... الى قوله : فقتل قلوبهم وكثير منهم فاسقون» (٣) الاربع سنين ، فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً (٤) . قلت : وهذا الحديث ايضاً معارض باحاديث تنص على انها نزلت بعد الهجرة بسنة ، بشأن المنافقين (٥) او بعد ما اترف المؤمنون فكادت تقسى قلوبهم (٦) .

١٣ - سورة الصف

قال ابن حزم : مكية (٧) لكن الجمهور وروايات الترتيب على خلاف قوله ، فالصحيح انها مدنية ، ونسب ابن الغرس ذلك الى الجمهور (٨) .

١٤ - سورة الجمعة

مدنية بالاجماع ، والمخالف غير معروف . قال جلال الدين : ثبت في نصوص

١ - الاصابة ج ٢ ص ٥١٩

٢ - راجع : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٤٠ والمغنى للذهبي ج ١ ص ٧١ وميزان الاعتدال

ج ١ ص ١٩٣ .

٣ - سورة الحديد : ١٦

٤ - مجمع البيان ج ٩ ص ٢٣٧ والاتقان ج ١ ص ١٣

٥ - مجمع البيان ج ٩ ص ٢٣٧

٦ - اسباب النزول للسيوطي بهامش الجلالين ج ٢ ص ٩٤

٧ - رسالة الناسخ والمنسوخ بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٩٩

٨ - الاتقان ج ١ ص ١٣

صحيحة انها مدنية كلها (١) .

١٥ - سورة التغابن

قيل : مكية الى قوله تعالى : « فليتوكل المؤمنون » (٢) نسب ذلك الى ابن عباس (٣) غير ان روايات الترتيب مطبقة على انها مدنية كلها .

١٦ - سورة الملك

فيها قول غريب : انها مدنية (٤) . والصحيح انها مكية قولاً واحداً .

١٧ - سورة الانسان

قال عبدالله بن الزبير : نزلت بمكة (٥) وتبعه على ذلك جماعة ممن يروقهم انكار اى فضيلة لاهل البيت عليهم السلام وهى النقطة المركزية التى تدور عليها رضى هذا التبجح الغريب (٦) ! وعداء ابن الزبير لاهل البيت مشهور !
وهكذا اصر سيد قطب على انها مكية ، مستشهداً بالسياق وقال : واحتمال ان هذه السورة مدنية - فى نظرنا - هو احتمال ضعيف جداً ، يمكن عدم اعتباره (٧) .
قال الحافظ الحسكاني : اعترض بعض النواصب بان هذه السورة مكية

١- الاتقان ج ١ ص ١٣

٢- سورة التغابن : ١٣

٣- مجمع البيان ج ١٠ ص ٢٩٦

٤- الاتقان ج ١ ص ١٣ . تفسير شبر ص ٥٢٢

٥- الدر المنثور ج ٦ ص ٢٩٧

٦- راجع : شواهد التنزيل - الحسكاني - ص ٢٩٩

٧- فى ظلال القرآن ج ٢٩ ص ٢١٥

باتفاق المفسرين ، وهذه القصة - ان كانت - فهي مدنية ، فكيف كانت سبب نزول
السورة ١٩!

فقال - رداً على هذا القائل - : كيف يسوغ له دعوى الاجماع ، مع قول الاكثر :
انها مدنية ! ... ثم ذكر نصوص الائمة على ترتيب السور مصرحة بانها نزلت في
المدنية بعد سورة الرحمان وقبل سورة الطلاق : وفق ماقدمنا (١) .

وهكذا حقق العلامة الطبرسي في تفسيره وغيره من محققى المفسرين .
والعمدة : اطباق روايات الترتيب ، لا تشذ منها في ذلك ولا رواية واحدة (٢) .
وعليه ففضية السياق واهية ، بعدان لم تكن كلية دائمية .

قال السيد شبر : القول بأنها مكية يكذبه النقل الصحيح (٣) .
هذا ونؤجل التفصيل في ذلك الى تفسيرنا الوسيط .

١٨ - سورة المطففين

قال اليعقوبى : اول سورة نزلت بالمدينة (٤) وقيل : نزلت عليه ﷺ وهو مهاجر
في طريقه الى المدينة (٥) . قال جلال الدين : اخرج النسائى وغيره بسند صحيح عن
ابن عباس ، قال : لما قدم النبى ﷺ المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا ، فانزل الله
هذه السورة ، فاحسنوا الكيل (٦) .

قلت : هذا يناقض روايات الترتيب المتفقة على أنها آخر السور المكية . كما

١- شواهد التنزيل ص ٣١٠ - ص ٣١٥

٢- راجع : مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٠٥

٣- تفسير شبر ص ٥٤٢

٤- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٥

٥- ابن حزم بهامش الجلالين ج ٢ ص ٢٠٢

٦- الانقان ج ١ ص ١٣

ان لهجة السورة العنيفة لاتتناسب وبدء قدوم نبي الرحمة الى المدينة في اول عهده باهلها المستسلمين له ،ولاسيما مع هذا التكرار في لفظة «كلا» التي تشي بعناد المخاطب وانكاره الخبيث مما لا يلتئم مع جو الايمان السليم الذي ابداه أهل المدينة آنذاك !!
وقد سبق كلام الجعبري : كل سورة فيها «كلا» فهي مكية (١) .

١٩ - سورة الاعلى

قيل : انها مدنية ، استناداً الى قوله تعالى : «قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى» (٢) اشارة الى صلاة العيد وزكاة الفطرة (٣) .
قلت : الاية عامة . والرواية - ان صحت - جاءت لتطبق هذا العموم على مصداق من مصايقه - لأنه هو المقصود الذاتى لا غير . ثم لو سلمنا ان هاتين الايتين نزلتا بالمدينة ، فلا يدل ذلك على ان جميع السورة بكاملتها مدنية .
فالصحيح ان السورة مكية حتى ولو كانت بعض آيها مدنية . هذا فضلاً عن شهادة اللهجة بمكيته !

٢٠ - سورة الفجر

مكية بالاتفاق . والقائل بالخلاف غير معروف (٤) .

٢١ - سورة البلد

مكية بالاجماع ، لان البلد هي مكة المكرمة بالاتفاق ، فكيف يقول القائل :

١ - تقدم في ص ١٠١

٢ - سورة الاعلى : ١٥

٣ - الاتقان ج ١ ص ١٤

٤ - » » »

٢٢- سورة الليل

قيل : انها مدنية ، نظر لما روى في سبب نزولها : كانت نخلة متدلية في دار رجل فقير ، وكان صبيانه يتناولون تمرها ، اما صاحب النخلة - وهو رجل ثرى - فكان يجفهم . فساومه النبي ﷺ على نخلة في الجنة فأبى ، حتى ساومه انصارى على اربعين نخلة ، فاشتراها منه ووهبها للنبي ﷺ فوهبها النبي ﷺ الى الرجل الفقير . قيل : فنزلت : « واما من يخل واستغنى وكذب بالحسنى » (٢) غير ان السند مقطوع غير موصول . على ان الاية لا تنطبق تماماً على فحوى القصة .
فالصحيح : ان الاية عامة في كل بخيل بحق الله سبحانه فلا يخشى عقابه ، كما جاء في رواياتنا ، وفي كثير من روايات غيرنا (٣) .

٢٣- سورة القدر

قال ابن حزم وابو محمد : انها مدنية (٤) لما رواه الحاكم عن الحسن بن علي السلام قال : راى النبي ﷺ بنى امية يتزودون على منبره نزوا القردة . فساء ذلك فنزلت تسليه لخطاره الكريم (٥) .
قال جلال الدين : قال المزي : وهو حديث منكر (٦) ! لكنه تعصب مفضوح ،

١- نفس المصدر

٢- الدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٧ والمجمع ج ١٠ ص ٥٠١

٣- راجع : مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٠٢ والطبرى : التفسير ج ٣٠ ص ١٤٠ . والصابي

ج ٢ ص ٨٢٥

٤- الكشف عن القراءات السبع ج ١ ص ٣٨٥ . وهامش الجلالين ج ٢ ص ٢٠٣

٥- مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٧١

٦- الاثقان ج ١ ص ١٤

لان الحاكم رواها بسند صحيح ، قال : هذا اسناد صحيح . وقرره على ذلك ، الحافظ الذهبي في التلخيص . و اضاف اليه طريقاً آخر ووثقه ايضاً ، ثم قال : وما درى آفته من اين ؟ (١) .

قلت : جاءت آفته من قبل نزعة اموية اشربت في قلوب تحكمت فيها نزعات قومية جاهلية ، ومن ثم يصعب عليها الرضوخ للحق مهما بلغ حد التواتر واليقين ! (٢) . وبعد فان دلالة هذا الحديث على مدنية السورة ، جاءت من قبل لفظ « المنبر » اذ لم يكن للنبي ﷺ وهو بمكة منبر !

لكن هذا وحده لا يصلح دليلاً على ذلك ، اذ يجوز - قريباً - انه ﷺ ارى ذلك بمكة قبل هجرته لتكون بشارة له باعتلاء ذكره ، والمامة الى الغتصاب الذي يرتكبه شرار امته . فلا تتنافى هذه الرواية مع روايات الترتيب اصلاً .

وتأيداً لذلك نقول : الآية : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن » (٣) ، تشير الى نفس الرؤيا المذكورة ، والآية من سورة الاسراء المكية بالاتفاق ، ولم يستثن احد هذه الآية ، وان استثنوا غيرها ، كما سيأتى . فقد اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عمر : ان النبي ﷺ قال : « رأيت ولد الحكم ابن ابي العاص على المنابر كأنهم القردة ، وانزل الله في ذلك : وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس . قال : والشجرة الملعونة ، يعنى الحكم وولده » .

واخرج ايضاً عن يعلى بن مرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : اريت بنى امية على منابر الارض ، وسيتملكونكم فتجدونهم ارباب سوء ، واهتم رسول الله ﷺ فنزلت الآية » .

١- تلخيص المستدرک بالهامش ج ٣ ص ١٧٠

٢- راجع : تفسير الطبرى ج ١٥ ص ٧٧ وج ٣٠ ص ١٦٧ . والدر المنثور ج ٢

ص ١٩١ وج ٦ ص ٣٧١ . ومروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٠

٣- سورة الاسراء : ٦٠

واخرج ابن مردويه عن عائشة : انها قالت لمروان بن الحكم : سمعت رسول الله ﷺ يقول لابيك وجدك : انكم الشجرة الملعونة في القرآن .

واخرج ابن ابى حاتم وابن مردويه والبيهقى وابن عساكر عن سعيد بن المسيب ، قال : رأى رسول الله ﷺ بنى امية على المنابر فساءه ذلك ، فأوحى الله اليه : انما هى دنياً أعطاها . فقرت عينه ، وهى قوله تعالى : «وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس» يعنى : بلاء للناس» (١) .

قال النيسابورى : واعترض بعضهم بان ايام بنى امية كانت مذمومة فكيف تذكر فى مقام تفخيم أمر ليلة القدر ؟ فأجاب : انه تفضيل لسعادة معنوية ، وجمال حقيقى دائم ، على سعادة ظاهرية ، وجمال صورى زائل (٢) . وفى حديث ابن المسيب الانف اشارة الى هذا الجواب .

٢٢- سورة البينة

قال مكى بن ابي طالب : مكية (٣) .

لكن اتفاق روايات الترتيب ونصوصه على أنها مدنية ، ويؤيدها ماورد : انها لما نزلت على النبى ﷺ دعا ابي بن كعب فقرأها عليه (٤) وابى ، انصارى ، اسلم على يدى رسول الله ﷺ بالمدينة .

٢٥- سورة الزلزلة

قال ضحاك وعطاء : مكية . وهكذا قال مكى بن ابي طالب ، ووافقهم سيد قطب ، نظراً

١- الدر المنثور ج ٤ ص ١٩١

٢- بهامش الطبرى ج ٣٠ ص ١٣٦

٣- الكشف عن قراءات السبعة ج ٢ ص ٣٨٥

٤- الدر المنثور ج ٦ ص ٣٧٨

للهجتها المثيرة (١) .

لكن اتفقت كلمة الروايات على انها مدنية (٢) وايضاً فقد اخرج ابى ابى حاتم عن ابى سعيد الخدرى، قال : لما نزلت «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره» . قلت : يا رسول الله ﷺ انى لراء عملى؟ قال : نعم . قلت : تلك الكبار الكبار؟ قال : نعم . قلت : الصغار الصغار ؟ قال : نعم ، قلت : واثكل امى!...» (٣) وابو سعيد انصارى ، لم يبلغ الابد و قعة أحد (٤) .

٢٦- سورة العاديات

عن قتادة : انها مدنية (٥) ، لرواية منسوبة الى ابن عباس ، قال : نزلت فى خيل بعثها رسول الله ﷺ فى سرية فابطأت ، فشق ذلك عليه ، فاخبره الله بما كان من امرهم (٦) .

لكن الرواية فيها تمحل وتهافت ظاهر ، وفى نفس الوقت معارضة بما رواه ابن جرير وابن ابى حاتم وابن الانبارى والحاكم - وصححه - وابن مردويه ، عن ابن عباس ايضاً : ان علياً عليه السلام نهره عن تفسير العاديات بالخيل تغير فى سبيل الله . ووضح له : أنها الافاضة من عرفات الى المزدلفة ... قال ابن عباس : فنزعت عن قولى ورجعت الى قول على عليه السلام « (٧) » .

١- مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٢٤ . والكشف ج ٢ ص ٣٨٦ . وفى ظلال ج ٣٠ ص ٦٣٩

٢- الفهرست ص ٢٨ والمجمع ج ١٠ ص ٤٠٥ والاتقان ج ١ ص ١١ والدر المنثور

ج ٦ ص ٣٧٩

٣- الدر المنثور ج ٦ ص ٣٨١

٤- الاتقان ج ١ ص ١٤ والمستدرک ج ٣ ص ٥٦٣

٥- مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٢٧

٦- الدر المنثور ج ٦ ص ٣٨٣

٧- نفس المصدر وتفسير الطبرى ج ٣٠ ص ١٧٧

٢٧- سورة التكاثر

اختار جلال الدين انها مدنية ، وتمسك لاختياره بالامور التالية :

١- حديث ابن بريدة : انها نزلت في قبيلتين من الانصار تفاخروا .

٢- وقال قتادة : انها نزلت في اليهود .

٣- وعن ابي بن كعب -وهو انصارى- : كنا نزعم ان «لو كان لابن آدم واديان

من ذهب لتمنى ثالثاً ...» آية قرآنية ، حتى نزلت «الهاكم التكاثر ...»

٤- وعن علي عليه السلام : كنا نشك في عذاب القبر ، حتى نزلت . قال جلال الدين :

وعذاب القبر لم يذكر الا بالمدينة ، كما في الصحيح في قصة اليهودية (١) .

قلت : جميع ما تمسك به باطل :

اولا : هذه السورة لاتمس مسألة التفاخر ، وانما تعرضت لناحية التكاثر !

وثانياً : كيف يبقى ابي بن كعب في شك من آية قرآنية ، ولايسأل رسول الله

ﷺ وهو كاتبه الاول ، الى ان يذهب شكه بنزول سورة لاشان لها ونفى قرآنية

غيرها !

وثالثاً : كيف نجيز لانفسنا تصديق رواية تنسب الشك الى مثل امير المؤمنين

علي عليه السلام في مسألة من مسائل الاخرة ، وهو عليه السلام باب علم النبي ﷺ !

واما اختصاص نزولها باليهود ، فتضايق في فحوى السورة العام ، اذهى تعالج

مسألة عامة تمس حياة البشرية الطاعنة في مطالب سافلة !

والصحيح - كما جاء في روايات الترتيب المتفقة - : انها من اوليات السور

المكية ، وقد نص على ذلك جلال الدين نفسه في الدر المنثور ، ورواه عن ابن عباس (٢)

هذا مضافاً الى ما نلمسه من لهجة السورة العنيفة ، التي تناسب اجواء مكة المسيطر

١- الالتقان ج ١ ص ١٤

٢- الدر المنثور ج ٦ ص ٣٨٦

عليها النزعة المادية بشدة ، ويزيد العنف استعمال لفظة « كلا » الخاصة باهل مكة
كما مر .

٢٨- سورة الماعون

قال الضحاك : انها مدنية (١) .

لكن روايات الترتيب ونصوصه المتفق عليها ترفض هذا القول ، مضافاً الى
ان لهجة السورة تقريع عنيف باولئك المكذبين بالدين ، فهي باوليات السورالمكية
اشبه ، فقد كانت السابعة عشرة فى الترتيب ، نزلت بعد سورة التكاثر (٢) .

٢٩- سورة الكوثر

عن عكرمة والضحاك : انها مدنية (٣) . ورجحه جلال الدين ، وكذا النووى
فى شرح مسلم ، لما رواه مسلم عن انس ، قال : بينا رسول الله ﷺ بين اظهرنا ، اذ
أغفى اغفاءة ، فرفع رأسه وقال : انزلت على آنفاً سورة ، فقرأها ...»
لكننا تكلمنا عن هذا الحديث (٤) وزيفنا دلالة على نزول قرآن عليه -ص- تلك
الحالة ، وذكرنا تأويل الرافعى للحديث الى انها قد خطرت له فى تلك الحالة فقرأها
عليهم ، لانها نزلت عليه حينذاك . كما يؤيد ذلك : ان مسلم نفسه روى هذا الحديث
بسند آخر ليس فيه «انزلت على» . قال : اغفى النبي ﷺ اغفاءة ، ثم رفع رأسه
فقرأها (٥) .

١- مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٤٦

٢- الفهرست ص ٢٨ . والمجمع ج ١٠ ص ٤٠٥ . والانتان ج ١ ص ١١

٣- مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٤٨

٤- تقدم فى صفحة : ٣٣

٥- الدر المنثور ج ٦ ص ٢٠١

وأخيراً فقد اطبق المفسرون على انها مكية ، نزلت تسلياً لخاطر رسول الله ﷺ عند ماشئاه ذلك الابر اللعين (١) . هذا مضافاً الى اتفاق روايات الترتيب: انها نزلت بمكة . اذن لا يصلح حديث مضطرب ان يقاوم ذلك الاجماع وهذا الاتفاق!

١٩ - سورة التوحيد

رجح جلال الدين كونها مدنية ، لاحاديث رواها بشأن نزولها : قال : نزلت فى طائفة من يهود المدينة سألوا رسول الله ﷺ ان يصف لهم ربه ، فنزل جبرئيل بسورة التوحيد (٢) .

لكن تجاه هذه الروايات روايات اخرى تذكر هذا السؤال للمشركين ، قالوا : انسب لنا ربك يا محمد ﷺ فنزلت (٣) مضافاً الى اتفاق روايات الترتيب .

ومن ثم قال بعض الباحثين : انها نزلت مرتين !

قلت : لا يبعد ذلك ، ولكن معنى نزول السورة مرتين : ان الثانية كانت تذكيراً للنبي ﷺ بمناسبة الحاضرة ، فمن المحتمل - على هذا الفرض - : ان اليهود سألوا النبي ﷺ سؤالاً ، كان المشركون قد سبقوهم الى مثله ، فتردد النبي ﷺ فى أن يقرء عليهم السورة التى كانت اجابة على سؤال المشركين من ذى قبل ، وذلك نظراً للفرق بين مستوى اليهود ومستوى المشركين ، فعند ذلك نزل جبرئيل بكفاية نفس الاجابة الاولى ، بعد ان لم تكن السور القرآنية خاصة بقوم دون قوم ، وبمستوى دون مستوى ، اذ الناس على مختلف مستوياتهم يستفيدون من جميع آى القرآن ، وان كانت نوعية الاستفادة تختلف حسب مراتب الثقافات .

١- باب القول : جلال الدين . بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٤٢ والدر المنثور ج ٦

ص ٤٠٤ . والمجمع ج ١٠ ص ٥٤٩

٢- باب القول بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٤٧ والاتقان ج ١ ص ١٤

٣- الدر المنثور ج ٦ ص ٤١٠

وعلى ذلك فالسورة مكية وان تكرر نزولها بالمدينة ايضاً .

٣٠، ٣١ - المعوذتان

عدهما اليعقوبى من اواخر المدينيات (١) . وقال جلال الدين : المختاران هما مدينتان ، لانهما نزلتا فى قصة سحر لبيد بن الاعصم (٢) .
والقصة - كما جاءت فى الصحيحين (٣) - حدثت بهاءة ، قالت : « سحر رسول الله ﷺ رجل من يهود بنى زريق ، يقال له : لبيد بن الاعصم . قالت : حتى كان رسول الله ﷺ يخيّل اليه انه يفعل الشيء وما يفعله - وفى لفظ آخر : سحر حتى كان يرى انه يأتى النساء ولا يأتين . قال سفيان : وهذا شد ما يكون من السحر - (٤)
قالت : حتى اذا كان ذات يوم اودات ليلة ، دعا رسول الله ﷺ ثم دعا ثم دعا . ثم قال : يا عاتشة ، اشعرت (٥) ان الله أفنانى فيما استفتيته فيه ؟ جاءنى رجلان (٦) ففعد احدهما عند رأسى والاخر عند رجلى ، فقال الذى عند رأسى للذى عند رجلى : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب (٧) قال : من طبه ؟ قال لبيد بن الاعصم . قال : فى اى شيء ؟ قال فى مشط ومشاطة ، وجف طلعة نخل ذكر (٨) . قال : فاين هو ؟ قال :

١- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٥

٢- الاثنان ج ١ ص ١٤

٣- البخارى ج ٤ ص ١٤٨ وج ٧ ص ١٧٦ . ومسلم ج ٧ ص ١٤

٤- البخارى ج ٧ ص ١٧٧

٥- اى أعلمت - بصيغة استفهام خطاباً اليها .

٦- فى رواية : جبرائيل وميكائيل ، فسأل الاول الثانى . فتح البارى ج ١٠ ص ١٩٤

٧- اى مسحور .

٨- المشاطة : ما ينتزع من الشعر عند المشط - بالفتح - وهو تسريح الشعر ، وبالضم :

آلته . والجف : غشاء الطلع .

فى بشر ذى اروان . قالت فاتاها رسول الله ﷺ فى اناس من اصحابه ، ثم رجع وقال :
يا عائشة ، والله لكأن ماءها نقاعة الحناء (١) ولكأن نخلها رؤوس الشياطين . قالت :
فقلت : هلا استخرجته ؟ فقال ﷺ : لا ، اما انا فقد شفى الله ، وخشيت ان يثير ذلك
على الناس شراً . ثم امر بالبشر فدفنت .

وفى لفظ : « قال : واين ؟ قال فى جف طلعة ذكر تحت راعوفة (٢) فى بشر ذروان . قالت :
فأتى النبى ﷺ البشر حتى استخرجه . فقال : هذه البشر التى أريتها ، وكأن ماءها
نقاعة الحناء . وكأن نخلها رؤوس الشياطين . قالت : فقلت : افلا ، اى تنشرت ؟ فقال :
اما الله فقد شفىنى ، واكره ان اثير على احد من الناس شراً » (٣) .

هذه القصة كما هى مذكورة فى الصحيحين ليس فيها شاهد بنزول السورتين . وقد
تنبه السيوطى لذلك ، ومن ثم استدرك الامر بما ورد من طرق اخر لم تصح اسنادها .
فقد اخرج البيهقى فى الدلائل عن عائشة ، قالت : « كان لرسول الله ﷺ غلام يهودى
يخدمه ، يقال له : ليبد بن أعصم . فلم تزل به اليهود حتى سحر النبى ﷺ فكان
يذوب ولا يدري ما وجعه - وفى لفظ : فكان يدور ولا يدري ما وجعه (٤) - فبينما
رسول الله ﷺ ذات ليلة نائم اذا تاه ملكان ، فجلس احدهما عند رأسه والاخر عند رجليه ، فقال
الاول للثانى : ما وجعه ؟ قال : مطبوب . قال : من طبه ؟ قال : ليبد بن أعصم قال : بم طبه ؟ قال : بمشط
ومشاة وجف طلعة ذكر بدى اروان ، وهى تحت راعوفة البشر . فلما اصبح رسول الله ﷺ
غدا ومعه اصحابه الى البشر ، فنزل رجل فاستخرج الجف ، فاذا فيها : مشط رسول الله ﷺ ومن
مشاة رأسه ، واذا تمثال من شمع ، تمثال رسول الله ﷺ ، واذا فيها ابر مغروزة ، واذا وتر فيه

١ - اى لون ماؤها لون نقيع الحناء .

٢ - الراعوفة : صخرة او حجر صلد ، توضع عند قدم البشر ، لا يستطيع قلعها ، يقف عليها
المستقى او توضع فى اسفلها ليجلس عليها الذى ينظف البشر .

٣ - البخارى ج ٧ ص ١٧٨

٤ - فتح البارى : ابن حجر ج ١٠ ص ١٩٣

احدى عشرة عقدة . فاتاه جبرئيل بالمعوذتين ، فقال : يا محمد ، قل : اعوذ بـرب
الفلق ، وحل عقدة . من شر ما خلق ، وحل عقدة . حتى فرغ منها ، وحل العقد كلها ،
وجعل لاينزع ابرة الايجد لها الماء ، ثم يجد بعد ذلك راحة ، فقيل : يا رسول الله ﷺ
لوقلت اليهودى ! فقال : قد عافانى الله ، وماوراءه من عذاب الله اشد .

وفى رواية : «سحر النبى ﷺ يهودى ، فاشتكى فاتاه جبرئيل بالمعوذتين ،
وقال : ان رجلا من اليهود سحرك ، والسحر فى بئر فلان . فارسل علياً عليه السلام فجاءه ، فامر ان
يحل العقد ويقرأ آية ، فجعل يقرأ ويحل حتى قام النبى صلى الله عليه وآله كانما
نشط من عقال» . (١)

وقيل : ان بنات لبيد كن ساحرات ، فهن سحرن وابوهن رسول الله ﷺ وعقدن
له احدى عشرة عقدة . فانزل الله المعوذتين ، احدى عشرة آية بعد دالعقد وشفى الله
رسوله ﷺ . (٢)

* * *

وبعد .. فهذه القصة - لو تسلمناها - فلا شاهد فى رواية الصحيحين على ان
المعوذتين نزلنا بشأنها . اما سائر الطرق فلا تصح مستنداً للثقة بها ، فضلا عن اخذها
مستمسكاً للحكم فى شأن من شؤون القرآن ، الذى لا ينبغي لمسلم ان يتكلم فيه بغير علم
ولا عن مستند وثيق .

قال جلال الدين : اما اصل القصة فله شاهد فى الصحيحين ، دون نزول السورتين .
ثم قال : ولكن له شاهد من غيرهما .. واراد بذلك ماخرجه البيهقى عن طريق الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس ، وفيه ذكر القصة ونزول السورتين (٣) .
لكن ذكر جلال الدين نفسه - فى الاتقان - : أن اوهى الطرق الى ابن عباس ،

١- الدر المنثور ج ٦ ص ٤١٧

٢- ابن جزى الكلبي : التسهيل ج ٤ ص ٢٢٥

٣- لباب النقول بهامش الجالين ج ٢ ص ١٤٨

هو طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس (١).
ثم ذكر شاهداً آخر فيما أخرجه ابو نعيم في كتاب الدلائل. من طريق ابي جعفر
الرازي عن الربيع بن انس عن انس بن مالك (٢).
هذا . . . وابن حبان قال : ان اهل الحديث يتقون من حديث الربيع بن انس
اذا كان من رواية ابي جعفر الرازي عنه ، لان في احاديثه عنه اضطراباً كثيراً (٣) ،
اذن افلا تعجب من رجل هو مضطلع بفن الحديث والتفسير ، كيف يورط بنفسه
في تناقض الاختيار ؟! ويضطرب في التماس الحجة من غير وجهها الوجه ؟! ومن ثم
يتكلم في شأن جانب من كتاب الله العزيز من غير استناد وثيق ؟!

* * *

امانحن- الامامية- فان اصول معتقداتنا تنفي امكان التأثير على قلب نبي كريم ،
هو مهبط وحى الله وعبية علمه الامين ! وبالاخرى فان لبيداً اعجز من ان يستطيع التصرف
في عقلية مثل رسول الله ﷺ افضل خلق الله واكرم انبيائه !!
يقول تعالى : ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلاً (٤) فاجدر
بليد عدم قدرته على الاستحواذ على قلب اكرم عباد الله ، وقلبه ﷺ بيت الاله تعالى ،
لا يدع لخبث الاقتراب منه ابداً !
على انالوجوزنا امكان التأثير على شعور النبى الكريم بحيث يكاد يخيل
اليه انه يفعل ولا يفعل ، فان الثقة بما يقوله وحيّاً تزول ، فلعلة مفعول سحر ساحر
خبث ، خيل اليه انه وحي ؟!
قال العلامة الطبرسى : هذا لا يجوز ، لان من وصفه بانه مسحور فكانه قد خيل

١- الاثقان ج ٢ ص ١٨٩

٢- بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٤٨

٣- تهذيب التهذيب : ابن حجر ج ٣ ص ٢٣٩

٤- سورة الاسراء : ٦٥

عقله ، وقد ابى الله سبحانه ذلك فى قوله : «وقال الظالمون ان تتبعون الارجلا مسحوراً ،
انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوها» (١) .

ولكن يمكن ان يكون اليهودى او بناته - على ماروى - اجتهدوا فى ذلك فلم
يقدرُوا عليه ، واطلع الله نبيه ﷺ على ما فعلوه من التمويه حتى استخرج ، وكان
ذلك دلالة على صدقه . وكيف يجوز ان يكون المرض من فعلهم ! ؟ ولو قدرُوا على
ذلك لقتلوه ، وقتلوا كثيراً من المؤمنين ، مع شدة عداوتهم لهم (٢) .

وقال العلامة المجلسى : المشهور بين الامامية عدم تأثير السحر فى الانبياء
والائمة - صلوات الله عليهم - ومن ثم اولوا بعض الاخبار الواردة فى ذلك ، وطرحوا
بعضها - اى ما لا يقبل التأويل (٣) .

وقال القطب الراوندى : روى ان امرأة يهودية عملت له ﷺ سحراً ، فظنت
انه ينفذ فيه ﷺ كيدها . والسحر باطل محال ! الا ان الله دله عليه ، فبعث من استخرجه .
وكان على الصفة التى ذكروها ، وعلى عدد العقد التى عقد فيها ووصف ما لوعاينه
معانٍ لغفل عن بعض ذلك (٤) .

وجاء فى طب الاثمة : ان جبرئيل اتى النبى ﷺ وقال له : ان فلاناً اليهودى
سحرك ، ووصف له السحر وموضعه . فبعث النبى ﷺ علياً عليه السلام حتى اتى
القلب فبحث عنه فلم يجده ، ثم اجتهد فى طلبه حتى وجده فأتى به الى النبى ﷺ
واذا هو حقة فيها قطعة كرب نخل فى جوفه وتر عليها احدى عشرة عقدة ، وكان جبرئيل
عليه السلام قد انزل المعوذتين . فامر النبى صلى الله عليه وآله علياً ﷺ ان يقرأهما
على الوتر ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى فرغ منها ، فكشف الله عن نبيه ما سحر

١- سورة الفرقان : ٨-٩

٢- مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٤٨

٣- بحار الانوار ج ١٨ ص ٧٠

٤- نفس المصدر ص ٥٧

به وعافاه (١) .

وهذه الرواية - وان لم تصح اسنادها - ليس فيها التأثير على عقلية الرسول ﷺ نعم في رواية اخرى جاء التأثير على جسمه الشريف ، فكان يحس بوجع شديد ، وهذا معنى « كشف الله عن نبيه وعافاه » في رواية طب الائمة . اى عافاه من الوجع الذى كان يحس به . وهذا امر ممكن ، غير ان الاصح عندنا هو ما ذكره القطب الراوندى : ان السحر لم ينفذ فيه ﷺ فقد ارادوا به كيداً لكنهم اصبحوا هم الخاسرين .

آيات مستثنيات :

تعرض الاوائل لاستثناء آيات من سور تخالفها فى النزول ، فرب سورة مكية فيها آيات مدنية او بالعكس ، واستقصى ذلك جلال الدين السيوطى فى « الاتقان » مستوعباً ، غير انه اعتمد فى الاكثر على روايات ونقول ضعيفة ، ثم جاء المتأخرون ليأخذوا بذلك تقليد آمن غير تحقيق (٢) فى حين ان غالبية القائلين بهذه الاستثناءات قالوا

١- طب الائمة ص ١١٨

٢- جاءت فى المصحف الامبرى المطبوع بالقاهرة باذن مشيخة الازهر و باشراف لجنة مراقبة البحوث الاسلامية ، استثناءات بارقام كبيرة ، لكنه تقليد محض لاصل لاكثريتها الساحقة . وهكذا سجلها من غير تحقيق الشيخ ابو عبد الله الزنجاني فى تاريخ قرآنه .
اضف الى ذلك تناقضات جاءت فى هكذا اختيارات تقليدية :

مثلا : جاء فى المصحف الامبرى ان سورة الم تنزىل - السجدة - نزلت بعد سورة المؤمن ، وان سورة حم تنزىل - فصلت - نزلت بعد سورة غافر ! فى حين ان المؤمن وغافر اسمان لسورة واحدة !

واثبت ابو عبد الله فى تاريخ قرآنه قائمتين بشأن ترتيب نزول السور فذكر فى القائمة الاولى : ان سورة الانعام نزلت بعد الحجر . وفى الثانية : انها نزلت بعد الكهف ! كما ذكره

بها عن حدس او اجتهاد فى الرأى ، من غير ان يستندوا الى نص صحيح مأثور . قال ابن الحصار : ان من الناس من اعتمد فى الاستثناء على الاجتهاد دون النقل (١) .

ونحن اذ نستطرق هذا الباب ، نضرب عن كل ما قالوه بهذا الشأن صفحاً ، اذا لم يكن مستنداً الى دليل مقبول . اذ لا شك ان الايات كانت تسجل تباعاً فى كل سورة بعد نزول بسملتها ، واحدة تلو اخرى ترتيباً طبيعياً حسب النزول . اما ان تبقى آية مكية غير مسجلة فى سورة ، حتى تنزل سورة بالمدينة ثم تسجل فيها ، فهذا امر غريب خارج عن طريقة الثبوت المعروف ، كما ان آية مدنية تسجل فى سورة مكية بحاجة الى نص صريح خاص وليس بالامر الذى يتدخل فيه الحدس او الاجتهاد النظرى !

قال ابن حجر : واما نزول شيء من سورة بمكة ، ثم يتأخر نزول اصل السورة الى المدينة ، فلم اره الا نادراً ، فقد اتفقوا على ان الانفال مدنية ، لكن قيل : ان قوله تعالى : « واذيكر بك الذين كفروا ... » (٢) نزلت بمكة ، ثم نزلت سورة الانفال بالمدينة . وهذا غريب جداً (٣) . وسوف نذكر بطلان هذه المزعومة ! واليك نماذج من النوعين مردفة بمانشير اليه من تحقيق الرأى اجمالاً :

→ فى الاولى ان الاعراف نزلت بعد ص . وفى الثانية : نزلت بعد الانفال ! وذكر ان السور المكية : ٨٥ . والسور المدنية : ٢٨ . ولم يلتفت انها تنقص مجموع سور القرآن بواحدة ! واظنه فى ذلك قلد الامام بدر الدين الزركشى !!

كما جاء فى مصحف مطبوع على عهد القاجارية قائمتان ، الاولى تسجل عام نزول كل سورة ، والثانية تسجل ترتيب النزول . فجاء فى الاولى : نزلت الصافات فى العام الخامس من البعثة ، ونزلت الانعام فى العام الثالث عشر . ثم جاء فى القائمة الثانية : ان الصافات نزلت بعد الانعام !! وامثال هذا التناقض كثير .

١- الاتقان ج ١ ص ١٤

٢- سورة الانفال : ٣٠

٣- فتح البارى بشرح البخارى ج ٩ ص ٣٨

استثناءات من سور مكية :

١ - سورة الفاتحة : مكية

حكى ابو الليث السمرقندى قولاً بان نصفها نزلت بالمدينة .

قال جلال الدين : لادليل لهذا القول (١) . كما سبق : انها من اوائل ما نزلت بمكة كاملة ، وكان المسلمون يقرأون بها فى الصلاة .

* * *

٢ - سورة الانعام : مكية

«نزلت بمكة جملة واحدة ، وشيعها سبعون الف ملك ، لهم زجل بالتسبيح والتحميد وقد طبقوا ما بين السماء والارض ، وكانت ليلة جمعة ، وكانت لنزلهم هبة وعظمة ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : سبحان الله العظيم ، سبحان الله العظيم ، وخر ساجداً . ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم» .

هذا الحديث مستفيض رواه الفريقان بطرق يعضد بعضها بعضاً (٢) . قال جلال الدين : فهذه شواهد يقوى بعضها بعضاً (٣) . ومن ثم لا وقع لقول ابى عمرو بن الصلاح : ان الخبر المذكور جاء من حديث ابى بن كعب ، وفى اسناده ضعف ، ولم نر له اسناداً صحيحاً ، وقد روى ما يخالفه (٤) .

قلت : استفادة الطرق الى عدة من الاصحاب غير ابى بن كعب ايضا كافية للاستناد اليها .

١- الاتقان ج ١ ص ١٢ و ص ١٤

٢- تفسير العياشى ج ١ ص ٣٥٣ . مجمع البيان ج ٤ ص ٢٧١ . الدر المنثور ج ٣ ص ٢

٣- الاتقان ج ١ ص ٣٧

٤- البرهان للزركشى ج ١ ص ١٩٩

هذا .. واما رواية المخالف فضيفة وغير ثابتة :

قال ابن الحصار : استثنى منها تسع آيات ، ولا يصح به نقل (١) . وسنتكلم فيما زعموا صحتها من روايات الاستثناء (٢) .

وجاء فى المصحف الاميرى وفى بعض كتب المقلدة استثناء تسع آيات من غير تحقيق ، نبحث عن كل واحدة واحدة فيما يلى :

الاولى : قوله تعالى : «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم»
الاية رقم : ٢٠ .

الثانية : قوله تعالى : «ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين»
الاية رقم : ٢٣ .

ولاشاهد للاستثناء فى هاتين الايتين اطلاقاً . ولعل السبب مجيء ذكر اهل الكتاب فيهما ، على غموض فى الثانية . ولادليل فى ذلك ، بعد ان جاء ذكر اهل الكتاب فى كثير من سور مكية . كقوله تعالى : «ولا تجدوا لاهل الكتاب الا بالتي هى احسن»
الاية رقم : ٤٦ من سورة العنكبوت المكية ، ولم يستثنها أحد . وكذلك قوله تعالى «وكذلك انزلنا اليك الكتاب . فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به » الاية رقم : ٣٧ من نفس السورة وامثال ذلك كثير .

* * *

الثالثة - قوله تعالى : «وما قدر الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء . قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس . تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً . وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون» الاية رقم : ٩١ .

١- الاتقان ج ١ ص ١٥

٢- عند استثناء الايات رقم : ٩٨ و ٩٧

قرأ ابن كثير وابوعمر و : « يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً » (١)
قيل : نزلت في جماعة من اليهود ، قالوا : يا محمد ﷺ انزل الله عليك كتابا ؟ قال :
نعم . قالوا : والله ما انزل الله من السماء كتاباً .

وقيل : نزلت في مالك بن الصيف ، وكان حبراً من أحبار يهود قريظة ، وكان
سميناً ، فقال له النبي ﷺ : انشدك بالذي انزل التوراة على موسى ، أما تجد
في التوراة : « ان الله يبغض الحبر السمين » ؟ . فغضب وقال : ما انزل الله على بشر من
شيء . وقيل : الذي خاصم النبي - صلى الله عليه وآله - في هذا المقال هو فنحاص بن
عازوراء اليهودي .

وقيل : نزلت في مشركي قريش ، حيث انكروا النبوات رأساً (٢) .
قال ابو جعفر الطبري : واولى هذه الاقوال بالصواب ، هو القول الاخير ،
اذ لم يجز لليهود ذكر قبل ذلك . وليس انكار نزول الوحي على بشر مما تدين به
اليهود ، بل المعروف من دينهم الاقرار بصحف ابراهيم وموسى وزبور داود .
ولم يكن الخبر بانها نزلت في اليهود خبراً صحيحاً متصل السند ، ولا اجمع المفسرون
على ذلك . وكان سياق السورة من اولها الى هنا جارياً في المشركين ، فناسب ان
تكون هذه الاية ايضاً موصولة بما قبلها لامفصولة منه . فلم يجز لنا ان ندعى فصلها
الابحجة قاطعة من خبر او عقل . ولعل الذي اوقع هذا القائل في الوهم المذكور ما وجد
في قوله تعالى : « تجعلونه . . . » على وجه الخطاب . ولكن الاصول من القراءة انها
بياء الغيبة (٣) .

قلت : ونحن اذ نصادق ابا جعفر في هذا التحقيق ، نضيف اليه : ان القصة التي
ذكروها بشأن مالك بن الصيف في محاورته تلك مع النبي ﷺ تتنافى تماماً مع خلق

١- الكشف عن وجوه القراءات السبع ، لمكي بن ابي طالب ج ١ ص ٢٤٠

٢- تفسير الطبري ج ٧ ص ١٧٧ . ومجمع البيان ج ٤ ص ٣٣٣ .

٣- جامع البيان ج ٧ ص ١٧٨

رسول الله الكريم ، النبي لايجرح من عاطفة انسان اطلاقاً ، كما ونزله كتاب الله العزيز
عن التعرض لهكذا أمور تافهة لاقيمة لها ، او تنزل بشأنها آية !!
اذن فقوله «وعلمتم ...» خطاب موجه الى المشركين ، بعد تلك الحكاية -
بصورة الغيبة كما رجحها ابو جعفر - عن اهل الكتاب .

واما القراءة المشهورة بقاء الخطاب في الجميع ، فلا تستدعي اختصاص الخطاب
باهل الكتاب ، بل الى البشرية باعتبار فعل بعضهم ممن نزل عليهم الكتاب . ولا سيما
ومساس العرب المشركين مع اليهود ومخالطتهم معهم في الجزيرة ، ومن ثم جاء
الكلام عن بنى اسرائيل في سور مكية كثيراً ، كما في سورة الاعراف : ١٠٢ و ١٦٠ .
ويشهد بذلك قوله تعالى : «فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون» خطاباً مع اهل
مكة ، والاية رقم : ٤٣ من سورة النحل المكية ، ورقم : ٧ من سورة الانبياء المكية
ايضاً . وقد كان للعرب صلة وثيقة وثقة باهل الكتاب ، ويعرفونهم اهل علم وثقافة ،
وكثيراً ما يسألونهم عن تاريخ الامم والانبياء ويعتمدون كلامهم ، فجاز ان يخاطبوا
بخطاب اليهود المجاورين لهم المخالطين معهم الموثوق بهم عندهم !

* * *

الرابعة - قوله تعالى : «ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً . او قال اوحى الى
ولم يوحى اليه شيء . ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله» الاية رقم : ٩٣ .
قالوا : نزل قوله تعالى : «ومن اظلم ممن افترى ...» في عبد الله بن سعد بن ابي
سرح اخي عثمان من الرضاة . وكان اسلم وكتب الوحي لرسول الله ﷺ ولما
نزلت : «ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين» (١) دعاه النبي ﷺ فأملأها عليه .
فلما انتهى الى قوله : «ثم انشأناه خلقاً آخر» عجب عبد الله في تفصيل خلق الانسان ،
فقال : تبارك الله احسن الخالقين . فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت على ، فشك عبد الله
حينئذ ، وقال : لئن كان محمد ﷺ صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه . ولئن

كان كاذباً لقد قلت كما قال . فارتد عن الاسلام ، ولحق اهل مكة ، فجعلوا يقولون له : كيف كنت تكتب لابن ابي شبيهة القرآن ؟ قال : كنت اكتب كيف شئت . وذلك انه كان رسول الله ﷺ يملئ عليه «علماً حكيماً» فيكتب «غفوراً حكيماً» يزيد وينقص ويبدل في كتاب الله ، ولا يشعر به النبي ﷺ ومن ثم شك في رسالته ، وكفر ولحق بقریش . فاهدر النبي ﷺ دمه ! لكن عثمان أجاره يوم الفتح ، والح علي رسول الله ﷺ حتى عفى عنه (١) .

وقالوا - ايضاً - ان قوله : «او قال اوحى الى ولم يوح اليه شيء» نزل في مسيلمة والاسود العنسي ، كانا قد تنبأ في حياة الرسول ﷺ (٢) .

لكن الحديث مكذوب من اصله . لان سورة «المؤمنون» مكية ، ولم يستثن احد تلك الاية . فكيف يكتبها ابن ابي سرح بالمدينة ثم يرتد الى مكة ؟ ! ثم أنى لبشر ان يقول على الله كذباً وينتعله وحياً ، وقد ضمن الله لكتابه الكريم بالحفظ . ثم لا يشعر الرسول بدس كاذب مفتر على الله فيما انزله الله عليه !! وهل تبقى - بعد هذا الاحتمال - ثقة بنصوص الكتاب العزيز ، الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟!

نعم هناك ثلاث آيات من ثلاث سور ، قيل في كل واحدة منها : انها نزلت بشأن ابن ابي سرح . هذه احداها !

(١) والثانية قوله تعالى : «ولكن من شرح بالكفر صدراً» سورة النحل المكية : آية ١٠٦ (٣) .

والثالثة : «ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً» سورة النساء

١- راجع : مجمع البيان ج ٤ ص ٣٣٥ . والدر المنثور ج ٣ ص ٣٠ . وتفسير الطبري

ج ٧ ص ١٨١ وتفسير الامام الرازي ج ١٣ ص ٨٤ . وفي ظلال القرآن ج ٧ ص ٣٠٦ ، والبرهان

للزركشي ج ١ ص ٢٠٠

٢- نفس المصادر

٣- تفسير الطبري ج ٧ ص ١٨١

وهذه الاخيرة انسب واولى بالقبول ، كما روى ذلك عن الامامين : محمد بن على الباقر ، وجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١) .

اذن فالصحيح فى الاية الاولى هو ما قاله ابو جعفر الطبرى : هى عامة ، تصف موقف الانسان عموماً تجاه رسالات الانبياء - عليهم السلام - : فمن منكر معاند لا يصدق باى رسالة جاءت من قبل الله . و آخر مسترسل ضعيف يؤمن بكل دعوى رسالية ، حتى ولو كانت نزغة شيطانية ، من غير تدبر ولا تفكير صحيح . ومن ثم وبخت الاية هذا النمط من الاسترسال الهابط ، وتلك الجرأة الظالمة تجاه رب العزة ، فيفتري عليه تعالى ظلماً وعدواناً . ولامساس للاية بقضية ابن ابى سرح بالخصوص .

على ان قوله تعالى : «سانزل مثل ما انزل الله» لا ينطبق مع موقف ابن ابى سرح تجاه رسول الله صلى الله عليه وآله . نعم كان ينطبق عليه لو كانت الاية هكذا : «سانزل مثل ما انزل محمد» ...!

وقد ناقض سيد قطب هنا بشأن الاية ، فى موضع رجح كون السورة مكية كلها ، وفى موضع آخر اعتمد على روايات الاستثناء ! (٢)

* * *

الخامسة : قوله تعالى : «افغير الله ابتغى حكماً وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلاً . والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق» الاية رقم : ١١٤ . وليس فى الاية ما يدعو الى الظن بأنها مدنية الا ذكر اهل الكتاب فيها . وقد سبق ان هذا وحده ليس دليلاً ، فقد ورد مثلها فى آيات مكية كثيراً . ويرجع السبب الى ثقة العرب المشركين بمن جاور بلادهم من اهل الكتاب ، فيرونهم اهل علم ودراية ،

١- تفسير العياشى ج ١ ص ٢٨١

٢- فى ظلال ج ٧ ص ١٠٦ وص ٣٠٦

ومن ثم قال تعالى : « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر (١) »
يعنى اهل الكتاب ولاسيما اليهود. وهذه الاية مكية بالاجماع .

* * *

السادسة : قوله تعالى : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ...
الى قوله : كلوا من ثمره اذا اثمروا وآتوا حقه يوم حصاده » الاية رقم : ١٤١ .
ولعل القائل بمدنيتهما فسر الحق الواجب بالزكاة ، والزكاة لم تقرر بأنصبتها
المحددة فى الزروع والثمار الا فى المدينة .

ولكن هذا المعنى ليس متعيना فى الاية ، لانها فسرت بمطلق الصدقة من غير
تحديد ، وهى بهذا الاطلاق كانت واجبة فى مكة وجاءت الاشارة اليها فى قوله :
« وفى اموالهم حق للسائل والمحروم » الاية رقم : ١٩ من سورة الذاريات المكية
باجماع . وجاء ذكر الانفاق والصدقة فى كثير من آيات مكية .

وجاءت روايات مأثورة ، بان الحق فى هذه الاية يعنى الانفاق واعطاء اليتامى
والمساكين - عن سعيد بن جبير وغيره - ثم نسخت بآية الزكاة فيما بعد (٢) وروى
ذلك عن الامام ابى عبدالله الصادق ، عن آبائه - عليهم السلام - (٣) .

* * *

السابعة : قوله تعالى : « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ... » الاية رقم : ١٥١ .

الثامنة : قوله تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هى احسن . . » الاية

رقم : ١٥٢ .

التاسعة : قوله تعالى : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ... » الاية رقم : ١٥٣ .

١- سورة النحل : ٢٣ . وسورة الانبياء : ٧

٢- راجع : الدر المنثور ج ٣ ص ٤٩ . وتفسير الطبرى ج ٨ ص ٢٢

٣- مجمع البيان ج ٢ ص ٣٧٥

قال السيوطى : وقد صح النقل عن ابن عباس باستثناء هذه الايات الثلاث (١) والرواية هى : ماخرجه ابو جعفر النحاس فى كتابه «الناسخ والمنسوخ» عن طريق ابى عبيدة معمر بن المثنى عن يونس عن ابى عمرو عن مجاهد عن ابن عباس ... (٢) وابو عبيدة هذا كان رجلاً به شذوذ ، كان يرى رأى الخوارج ، وكان بذى اللسان متهمكاً ، قليل العناية بالقرآن ، واذا قرأه قرأه نظراً (٣) ، ومن ثم لا يعتمد على نقله فيما يخص الكتاب والسنة ، اللهم الا فى رواية الشعر والادب . ولا ندري بم صحح جلال الدين سند هذا النقل ؟ !

هذا وقد روى ابو نعيم والبيهقى كلاهما فى الدلائل عن على بن ابي طالب عليه السلام قال : لما امر الله نبيه ان يعرض نفسه على القبائل ، خرج الى منى وانا معه وابوبكر ، وكان رجلاً نسابة ، فوقف على مضاربهم بمنى وسلم عليهم فردوا عليه السلام ، فتكلم معه القوم ، حتى سألوه : الى ما تدعو يا اخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «قل تعالوا اتل ما حرم ربكم - الى قوله : لعلمكم تتقون» تمام الايات الثلاث . فاعجبهم كلام الله ، وقالوا : فوالله ما هذا من كلام اهل الارض ، ولو كان لعرفناه ... (٤) فالايات كانت نازلة حينذاك بمكة (٥) . على ان لحن الايات واسلوب التعبير فيها - ايضاً - يشهد بمكيته .

وتلخص : ان سورة الانعام كلها مكية ، ليست منها آية مدنية اطلاقاً . ولم يثبت شئ مما قيل باستثنائه اصلاً ، لانقلا ولا عقلاً ، على ما اسلفنا .

١- الاتقان ج ١ ص ١٥

٢- د د ص ٩

٣- الفهرست لابن النديم ص ٥٩ وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ١٠ ص ٢٢٧ وميزان

الاعتدال للذهبي ج ٤ ص ١٥٥ وتقدم فى ص ١١٢

٤- الدر المنثور ج ٣ ص ٥٢

٥- تفسير الطبرى ج ٨ ص ٦٠

٣- سورة الاعراف : مكية

أخرج ابن ضريس والنحاس وابن مردويه من عدة طرق عن ابن عباس : انها نزلت بمكة . (١)

قال قتادة : سوى آية واحدة : «واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر» الآية رقم : ١٦٣ . قال : نزلت بالمدينة (٢) .

وقال غيره : الى نهاية الآية رقم : ١٧١ (٣) . وهى قوله : « واذنقنا الجبل فوقهم كانه ظلة ... » .

قلت : ودليل قتادة هو الامر بسؤال اليهود ، وهو يناسب - كما زعم - أيام كونه ﷺ بالمدينة . وهذا ليس دليلاً ، اذ لا مستند لعود الضمير الى اليهود ، فلعله يعود الى المشركين انفسهم ، لمكان معرفتهم بقصة اصحاب السبت ، والقرية - وهى أيلة - كانت على ساحل البحر الاحمر ، مما يلى الشام . وهى آخر الحجاز واول الشام ، مدينة يهودية صغيرة كانت عامرة (٤) ، وكانت قريش تمر عليها فى رحلتها الصيفية التجارية ، وكانت تتصل بهم اخبارها ، ومن ثم كانوا على معرفة من اهلها اليهود الذين عتوا عن امر ربهم .

واما قول غيره فلا مستند له اطلاقاً ، ولا سند معروف . فالصحيح ان هذه الايات متناسقة مع غيرها من قصص امم الانبياء نزلت على قريش ليعتبر أولوا البصائر منهم ، اذن يكون الترجيح مع القول بان جميعها مكية ، لاستثناء فيها .

١- الدر المنثور ج ٣ ص ٦٧

٢- الكشف عن وجوه القراءات ج ١ ص ٤٦٠

٣- الاتقان ج ١ ص ١٥

٤- معجم البلدان : الياقوت ج ١ ص ٢٩٢

٤- سورة يونس : مكية

استثنى بعضهم منها اربع آيات :

الاولى : قوله تعالى : «ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين» الآية رقم : ٤٠ .

زعم بعضهم انها نزلت فى اليهود (١) . لكن السياق يأباه .

الثانية : قوله تعالى : «فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ..» الآية رقم : ٩٤ .

الثالثة : قوله تعالى : «ولا تكونن من الذين كذبوا ..» الآية رقم : ٩٥ .

الرابعة : قوله تعالى : «ان الذين حقت عليهم كلمة ربك ..» الآية رقم : ٩٦ .

زعموها - ايضاً نزلت فى اليهود . ولادليل لهم فى ذلك ، والسياق واحد متصل .

ولعل ذكر اهل الكتاب هو الذى اوقعهم فى هذا الزعم ! مع العلم ان هذه الايات ليست باصرح من قوله : «فاسألوا اهل الذكر» (٢) الآية المكية بالاجماع .

وقيل : من الآية رقم : ٤٠ الى نهاية السورة كلها نزلت بالمدينة (٣) ولاشاهد

لهذا القول اطلاقاً . ولحن الايات ولهجتها ايضاً تأباه .

والخلاصة : القائل بالاستثناء فى هذه السورة ، لا يملك دليلاً موثقاً به ولا سنداً

يعتمد عليه . كما ان سياقها ينادى بمكيته بوضوح . ومن ثم نرجح كونها مكية اجمع .

* * *

١- الاتقان ج ١ ص ١٥

٢- سورة النحل المكية : ٢٣

٣- الاتقان ج ١ ص ١٥

٥- سورة هود : مكية

استثنى منها ثلاث آيات :

الاولى : قوله تعالى : « فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدورك ان يقولوا ولولا انزل اليه كنز اوجاء معه ملك » الآية رقم : ١٢ .
لكن السياق يشهد - صراحة - بانها مكية . وقد روى في سبب نزولها ما يجعلها ايضاً مكية قطعياً (١) .

الثانية : قوله تعالى : « أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه . ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به . ومن يكفر به من الاحزاب فالتار موعده » الآية رقم : ١٧ . استشهد من قال بمكيته بقوله : « كتاب موسى » . وبقوله : « من الاحزاب » .

لكن لاشاهد فيهما ، بعد ان جرى ذكر موسى في كثير من آيات مكية .
والاحزاب اشارة الى قبائل عربية متحيزة ضد الرسول ، وقد كانت تحزبت منذ ان شعر المشركون بخطر نفوذ الاسلام في الجزيرة وسرعة انتشار الدعوة (٢) .
ولاشاهد على ارادة وقعة الاحزاب .

الثالثة : قوله تعالى : « اقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات » الآية رقم : ١١٤ .

روى ابو جعفر الطبرى باسناده عن ابى ميسرة . قال : جائتنى امرأة تبتاع منى تمراً ، فقلت لها : ان فى البيت تمراً اجود ، فادخلتها البيت واهويت اليها اقبلها وآنى منها ما يأتى الرجل من امرأته سوى الجماع ، حتى مسست يدي دبرها . ثم خرجت فذكرت ذلك لابي بكر وعمر ، فقالا : استر ذلك على نفسك ولا تخبرن احداً . ثم ذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : هل جهزت غازياً ؟ قلت : لا . فقال : هل خلفت غازياً ؟

٢- تفسير التبيان ج ٥ ص ٢٤١

١- مجمع البيان ج ٥ ص ١٢٤

فى أهله ؟ قلت : لا . فقال استغفر ربك وصل اربع ركعات . ثم تلا : « اقم الصلاة
طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات » ثم قال : انها للناس عامة ،
وفى رواية : نزل بها جبرئيل لساعته . (١)

وهذه الرواية بهذا السياق باطلة عندنا البتة . لانها تجرئة على المعاصى ، فليفعل
اى انسان ما يريد ثم يعمد الى صلاة يصليها لتكون كفارة عن كل ذنب يقترفه . هذا
فضلا عن التهافت فى نفس الرواية وعدم انسجامها مع الاية ، وهو دليل آخر على
وهنها . واخيراً فى اكثر الروايات : ثم تلا عليه الاية ، وليس فيها انها نزلت حينذاك .
كما روى غير هذه الاقصوصة ايضاً .

والصحيح عندنا : ان سورة هود مكية باجمعها ، نظراً لوحدة سياقها المنتظم
على اسلوب تقريعى بديع - يتناسب والدعوة فى مكة .

* * *

٦- سورة يوسف : مكية

فى المصحف الاميرى : استثناء ثلاث آيات من اولها (١ - ٣) وقوله : « لقد
كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين » الاية رقم : ٧ . قال جلال الدين : وهـ وواه
جداً ، لا يلتفت اليه (٢) قلت : ونحن نربأ بمثل العلامة ابى عبد الله الزنجانى ان يتابع
ثبت المصحف المصرى من غير تحقيق ، فيسجله فى كتابه القيم (٣) ، وفضح الامر
اوضح من ان يستره وهم .

١- تفسير الطبرى ج ١٢ ص ٨٢ - ٨٣

٢- الاتقان ج ١ ص ١٥

٣- تاريخ القرآن ص ٢٨

٧- سورة ابراهيم : مكية

قال الزركشى : سوى آيتين نزلتا فى قتلى بدر من المشركين وهما قوله تعالى :
«الم ترالى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دارالبوار . جهنم يصلونها وبش
القرار ، (١) الاية رقم : ٢٨ و ٢٩ .

والاصل فى ذلك : ماروى عن سعد عن عمر بن الخطاب قال : الذين بدلوا
نعمة الله كفراً ، هما : الافجران من قريش : بنو المغيرة وبنو امية . اما بنو المغيرة
فكفيتهم يوم بدر . اوقال : استأصلهم الله يوم بدر . واما بنو امية فمتعوا الى
حين (٢) وهكذا روى عن الامام الصادق ، وزاد : بلى هى قريش قاطبة (٣) .
لكن لدلالة فى ذلك على انهما نزلتا يوم بدر او بعده . وانما كانت وقعة بدر
مصادقا من مصاديق البوار الذى انذروا به . اما المصادق الاوفى فهى جهنم يصلونها
وبش القرار . فهذا الاستثناء كان نتيجة عدم التدبر فى تأويل الاية يزعم أنه السبب
الداعى للنزول !

٨- سورة الحجر : مكية

قال جلال الدين : وينبغى استثناء قوله تعالى : «ولقد علمنا المستقدمين منكم
ولقد علمنا المستأخرين» الاية رقم : ٢٤ . لماخرجه الترمذى : انها نزلت فى صفوف
الصلاة (٤) .

وقال الحسن : الاقوله تعالى : «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني . . » الاية

١- البرهان ج ١ ص ٢٠٠

٢- تفسير الطبرى ج ١٣ ص ١٤٦

٣- العياشى ج ٢ ص ٢٢٩ والصافى ج ١ ص ٨٨٨

٤- الاتقان ج ١ ص ١٥

رقم : ٨٧ . وقوله تعالى : « كما انزلنا على المقتسمين . الذين جعلوا القرآن عضين »
الاية رقم : ٩٠ و ٩١ . (١)

قلت : سياق الاية يأبى حملها على صلاة الجماعة . بشاهد قوله تعالى قبل
هذه الاية : « وانا لنحن نحى ونميت ونحن الوارثون » ، وكذا الاية بعدها : « وان
ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم » ، وانما المعنى : ولقد علمنا بالاموات الماضين
وبالاحياء الباقين (٢) . اما رواية الترمذى فهي مقطوعة وفي اسنادها ضعف ، مضافاً
الى عدم انسجامها مع الاية .

واما استثناء الاية رقم : ٨٧ فمستند الى قول مجاهد : ان سورة الفاتحة نزلت
بالمدينة . وتقدم انها هفوة منه ، والاجماع على خلاف قوله (٣) .

واما آية المقتسمين ، فزعموها نزلت فى اليهود والنصارى ممن آمنوا ببعض
القرآن وكفروا ببعض (٤) لكنه زعم باطل ، لان اليهود لم يؤمنوا بالقرآن اطلاقاً ،
ولم يكونوا هم المنزل عليهم . نعم كان ايمانهم بالكتب النازلة عليهم كذلك يؤمنون
بالبعض ويكفرون بالبعض .

والصحيح ان الاية المذكورة نزلت فى المشركين الذين جعلوا من القرآن
بعضه سحراً وبعضه اساطير الاولين وبعضه مفترى وغير ذلك ، وكانوا يتفرقون على ابواب
مكة يصدون الناس عن القرآن ويقولون على الله الكذب . (٥) وقد روى العياشى عن
الامامين الباقر و الصادق عليه السلام : انها نزلت فى قريش (٦) .

١- مجمع البيان ج ٦ ص ٣٢٦

٢- راجع : الطبرى ج ١٤ ص ١٦ و ص ١٨

٣- راجع : الاتقان ج ١ ص ١٢

٤- تفسير الطبرى ج ١٤ ص ٤٢

٥- راجع : الميزان ج ١٢ ص ٢٠٥

٦- تفسير العياشى ج ٢ ص ٢٥١ - ٢٥٢

٩- سورة النحل : مكية

قال قتادة : الاقوله : «والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا...» الاية رقم

٤١ و ٤٢ . وقيل : الى آخر السورة نزلن بالمدينة . (١)

وعن عطاء بن يسار : استثناء قوله : « وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم

به ... الى آخر السورة - وهن ثلاث آيات - نزلن فى حادثة أحد ، بعد مقتل حمزة

عليه السلام . (٢)

وفى رواية عن ابن عباس قوله : «ولاتشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ... الى قوله :

بأحسن ما كانوا يعملون» الاية رقم : ٩٥ و ٩٦ نزلتا بالمدينة (٣) .

قلت : اما الاية رقم ٤١ و ٤٢ فلا دلالة فيها على ان المراد هى الهجرة الثانية

الى المدينة ، بل الظاهر منها انها : الهجرة الاولى الى الحبشة ، كما روى ذلك عن

قتادة ايضا (٤) واما القول بنزول ما بعد آية الاربعين الى آخر السورة بالمدينة فلا مستند

له وسياق الايات ايضا يتنافيه .

واما الاية رقم ٩٥ و ٩٦ فقيل : نزلت بشأن امرء القيس الكندى ، كان قد غصب ارضا

من عبدان الاشعر الحضرمى . فشكاه الى النبى ﷺ فانكر امرؤ القيس ،

فاستحلفه فاستعظم ان يحلف كاذباً ، فنزلت الاية (٥) . وهذه القصة وقعت بالمدينة !

لكن القصة لم تثبت ، ولهجة الاية عامة ، وسياقها يشهد بانسجامها الوثيق مع

آيات قبلها ، تهدف تقريبا عنيفاً باولئك المشركين المعاندين . وملاحظة عابرة بالاية

١- الاتقان ج ١ ص ١٥

٢- الدر المنثور ج ٤ ص ١٣٥

٣- مجمع البيان ج ٦ ص ٣٢٧

٤- الدر المنثور ج ٤ ص ١١٨

٥- مجمع البيان ج ٦ ص ٣٨٤

تجعلنا نظمئن بأنها مرتبطة تمام الارتباط مع الآية رقم : ٩١ « وافسوا بعهد الله اذا عاهدتم » ، تؤكداً منها ، وتثبيتاً بموقف المؤمنين آنذاك ، فلا يشترى بماء اهدوا الله عليه ثمناً بخساً : عرض هذه الحياة الدنيا ، تجاه ما اعد لهم من عظيم الاجر والثواب وحسن الخاتمة (١) .

* * *

وأما آية «وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصايرين» فقد اختلف المفسرون فيها على ثلاثة اقوال :

الاول : انها نزلت يوم أحد ، عند ما وقف النبي صلى الله عليه وآله على حمزة وقد مثل به ، فما كان اوجع لقلبه الكريم . فقال : اما والله لامثلن بسبعين ، اوقال : بثلاثين منهم مكانك !

وهكذا لما سمع المسلمون ذلك ، قالوا : لئن امكنا الله منهم لنمثلن بالاحياء منهم فضلا عن الاموات ، وقال بعضهم : لنمثلن بهم مثله لم يمثلها احد من العرب ! فنزل جبرئيل بالآية ، فكفر النبي ﷺ عن يمينه وامسك عن الذي اراد . !

الثاني : انها نزلت يوم الفتح ، فهم المسلمون ان يقفوا في المشركين ، ويقتلوهم شر قتلة ، تشفياً بما كانوا فعلوا بهم يوم احد : كان قد اصيب من الانصار يومذاك اربعة وستون ، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة بن عبد المطلب ، وقد مثل بهم المشركون ! فقالت الانصار : لئن اصبنا منهم يوماً مثل هذا لئربين عليهم ، فلما كان يوم فتح مكة ، وامكن الله المسلمين من المشركين ، نزلت الآية للاخذ من حدة المسلمين ، وان لا يتجاوزوا حدود ما انزل الله !

الثالث : أنها عامة في كل ظلم ، يحاول المظلوم الانتقام من الظالم ، بعدما يمكنه الله منه .

وهذه الآية جاءت مزيجية بين الانتقام العادل والصفح الجميل ، الامر الذى يتناسب مع حالة المسلمين يوم كانوا بمكة . ومن ثم قالوا : انها منسوخة بآية القتال . وهى نظيرة قوله تعالى : «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين» وقوله : «فان قاتلوكم فاقتلوهم» (١) نزلت اوائل عهد المسلمين بالمدينة . وهذا الرأى الاخير هو الصحيح ، نظراً الى سياق الآية نفسها ، ومناسبتها الوثيقة مع آيات قبلها وبعدها :

قال تعالى : «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى احسن ...

«وان عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ...
«واصبر وما صبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون» (٢) .
وهذه الآية جاءت تصبر النبى ﷺ على اذى المشركين وتسليه عن حزنه عليهم لاحزنه منهم ، وهو دليل على ان الآية نزلت يوم كان المشركون صموداً تجاه دعاء النبى ﷺ ومتعرضين اذاه . وكانت نفوس مؤمنة تأبى تحمل الضيم ، وتحاول الانتقام منهم مهما كلف الامر (٣) .

١٠ - سورة الاسراء : مكية

قالوا : فيها سبعة عشرة آية نزلت بالمدينة ، وهن : ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٠٧ .
وهذه مبالغة فى القول ، لاسند لاكثرها ، واليك بعض التفصيل :
الاية الاولى : قوله تعالى : وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر

١- سورة البقرة : ١٩١

٢- سورة النحل : ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧

٣- راجع : مجمع البيان ج ٦ ص ٣٩٣ والدر المشور ج ٤ ص ١٣٥

تبذيراً» الآية رقم : ٢٦ .

قيل : نزلت بالمدينة بعد ما فتح الله خيبر على رسول الله ﷺ فاعطى فاطمة فداً (١) .

واخرج ابو جعفر الطبرى عن السدى عن ابى الديلم ، قال : قال على بن الحسين - عليهما السلام - لرجل من اهل الشام : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ! قال : أفأقرأت فى بنى اسرائيل : «وأت ذا القربى حقه» ؟ قال : وانكم للقربة التى امر الله - جل ثناؤه - ان يؤتى حقه ؟ قال ﷺ . نعم . (٢)

واخرج الحافظ الحسكاني حديث نزول الآية بشأن اعطاء رسول الله ﷺ فاطمة - عليها السلام - فداً ، باسانيد وطرق عديدة (٣) .

قلت : ولكن ظاهر الآية كونها شريعة عامة ، وظيفة لكل مسلم ، وجاءت مجملة بوجوب الانفاق على ذوى القربى والمساكين ، كما هو طابع التشريعات المكية ، ثم فصلت حدودها بعد الهجرة بالمدينة .

والآية بعمومها شاملة للنبي ﷺ فهو ايضاً مأمور بمواصلة الارحام والانفاق عليهم وعلى الفقراء ، كأحد المسلمين .

اذن فالآية - لعلها - نزلت للمرة الثانية بعد فتح خيبر ، وبعد ما افاء الله على رسوله والمؤمنين ، نزل بها جبرئيل يذكره بها وجوب مواصلة قرباه ، فدعى فاطمة - عليها السلام - واعطاها فداً ، ولادليل على ان الآية نزلت - فى اول نزولها - حينذاك .

اول لعل الآية التى نزلت بخيبر ، بشأن مواصلة القربى ، كانت غيرها : فقدورد فى حديث «منهال بن عمرو» بالشام - ايضاً - عن على بن الحسين زين العابدين ﷺ

١- الدر المنثور ج ٤ ص ١٧٧ . ومجمع البيان ج ٦ ص ٤١١ .

٢- تفسير الطبرى ج ١٥ ص ٥٣ .

٣- شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٣٨ - ٣٤١ .

فى قوله تعالى : «ما افاء الله على رسوله من اهل القرى ، فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل» (١) . واهل القرى : هم بنو قريظة وبنو النضير . والقرى ، هى : فدك وخيبر وعرينة وينبع ، اصبحت غنائم فى يد المسلمين . وقد نزلت الاية بشأنها حينذاك (٢) .

فلوصح ان جبرئيل عليه السلام جاء بالاية الاولى الاولى ايضاً ، فهو تذكير للنبي ﷺ بحكم سابق ، وتأكيد لحكم حاضر . هذا اذا لم يكن الراوى قد اشتبهت عليه احدى الايتين بالاخري !

* * *

الاية الثانية : قوله تعالى : «ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا»
الاية رقم : ٣٢ .

الاية الثالثة : قوله تعالى : «ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق»
الاية رقم : ٣٣ .

والقائل باستثناء هاتين الايتين لم يعلل استثناءه بشيء (٣) .
و لعله نظر الى ظاهر تشريع حرمة الزنا وقتل النفس ، حيث كان تشريع الاحكام بالمدينة !

لكن فاته ان تحديدات الحدود وتفاصيل الاحكام جاءت بالمدينة ، اما اساس الشريعة وكمليات الاحكام فى صورها الاجمالية فقد جاءت فى سور مكية وبمكة كثيراً . وهاتان الايتان جاءتا بمكة على نفس النمط .

قال السدى : آية : «ولا تقربوا الزنا» نزلت يوم لم تكن حدود . فجاءت بعد

١- سورة الحشر المدنية : ٨ .

٢- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٠-٢٦١ . وجاء فى الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٩ اشارة .

٣- تاريخ القرآن : الزنجاني ص ٢٨ .

ذلك فى سورة النور - وهى مدنية - (١). و قال الضحاك فى آية القتل : كان هذا بمكة ، والنبي ﷺ بها. وهو اول شىء نزل من القرآن فى شأن القتل ، كان المشركون يقاتلون اصحاب النبي ﷺ يومذاك ، فهم اصحابه ﷺ ان يفعلوا بهم مثل ذلك ، فقال - جل ثناؤه - : من قتلکم فلا يحملنکم عمله على ان تقتلوا اباه او اخاه او احداً من المشركين ، كما كانت العادة الجاهلية جارية على قتل الاخ باخيه او آخرين من افراد قبيلته ، فلا يقتلن احداکم الا القاتل نفسه (٢) .

* * *

الاية الرابعة : «اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب»
الاية رقم : ٥٧ .

و الاية ، بقرينة الاية قبلها تتناسب مع نزولها بمكة ، ولم نعرف وجه هذا الاستثناء الذى جاء فى المصحف الاميرى وغيره !

الخامسة : «وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن» الاية رقم : ٦٠ .

جاء هذا الاستثناء فى كلام جلال الدين ، نظراً لان الاية نزلت فى رؤيا رسول الله ﷺ اهمته ، رأى بنى امية ينزون على منبره نزوال القردة فساء ذلك، ولم يرضاحكاً حتى مات ﷺ (٣) .

هذا ... والنبي ﷺ لم يكن له منبر بمكة !

وقد تقدم كلامنا فى ذلك ، وانه ﷺ ارى اعتلاء دعوته المباركة ، وارى ايضاً تناول ايدى الغاصبين لمنصبه الالهى فساه ذلك (٤).

١- الدر المنثور ج ٤ ص ١٧٩ .

٢- نفس المصدر ص ١٨١ .

٣- الدر المنثور ج ٤ ص ١٩١ .

٤- تقدم فى صفحة : ١٢٦

السادسة و السابعة والثامنة : قوله تعالى : « وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذأ لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذأ لا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً »
الايات رقم : ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ .

لاشك ان الايات مكيات ، نزلن بشأن مشركى قريش عرضوا على النبى ﷺ مسالمتة مع آلهتهم ، فنهروهم نهراً ، ونزلت الايات تثبتنا بموقف النبى ﷺ ذاك المشرف ، وبتأسيساً للمشركين نهائياً ، لثلا يطعموا فى رسول الله ، وهو داعية الى التوحيد الخالص ونبد الاشرار كلياً ، ان يجامل فيما يناقض دعوته الى الله وحده لاشريك له ! (١) .

ولم نعرف وجهاً صحيحاً لاستثناء هذه الايات الثلاث ، كما جاء فى كلام جلال الدين (٢) وفى المصحف الاميرى وغيرهما !

التاسعة والعاشرة : قوله تعالى : « وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذأ لا يلبثون خلافاك الا قليلا . سنة من قد ارسلنا قبلك ولن تجد لسنة الله تحويلا »
الايتان رقم : ٧٦ و ٧٧ .

وجه الاستثناء : ما قيل فى سبب نزولهما : ان اليهود اتوا النبى ﷺ وقالوا له : ان كنت نبياً فأت الشام ارض الانبياء ، فصدقهم على ذلك . وغزا غزوة تبوك ، لا يريد الا اللحاق بالشام ، فلما بلغ تبوك انزل الله عليه هاتين الايتين ، فأمره بالرجوع الى المدينة ، ففيها محياه ومماته ومبعثه يوم القيامة (٣) .

١- راجع : مجمع البيان ج ٦ ص ٢٣١ . والدر المنثور ج ٢ ص ١٩٢ .

٢- الاتقان ج ١ ص ١٥ .

٣- مجمع البيان ج ٦ ص ٢٣٢ . والدر المنثور ج ٢ ص ١٩٥ .

لكنه معارض بماورد: انهما نزلتا بشأن مشركى مكة، هموا باخراج الرسول من مكة بنفس الاسلوب ، قالوا له ﷺ : كانت الانبياء - عليهم السلام - يسكنون الشام فما لك وسكنى هذه البلدة ! او هموا باخراجه عنفاً ، لان الاستفزاز هو الازعاج بعنف ، وظاهر الاية يرجح المعنى الثانى ، كما ان المشركين لما فعلوا ذلك بعدئذ طبقت عليهم سنة الله فى الخلق ، بدأت بقتلى بدر ، وانتهت بفتح مكة واخراج المشركين منها نهائياً (١) .

* * *

الحادية عشرة الى الرابعة عشرة : قوله تعالى : « اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ، ان قرآن الفجر كان مشهوداً . ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً . وقل رب ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً . وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » الايات رقم : ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ .

زعم المستثنى : انها من تمة الايتين السابقتين نزولا بالمدينة (٢) . وهو زعم باطل ، بعد ان لم يثبت الاصل فكيف بالفرع !

وقد اخرج ابونعيم والبيهقى عن ابن عباس : ان قوله : « وقل رب ادخلنى مدخل صدق ... » نزل بمكة قبيل هجرته ﷺ (٣) .

على ان الايات فى سياقها المتصل ، سبقاً ولحقاً ، بنفسها تشهد بنزولها بمكة ، ولا تنسجم مع القول بنزولها فى المدينة بشىء .

* * *

الخامسة عشرة : قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى

١- راجع: نفس المصادر.

٢- الاتقان ج ١ ص ١٥

٣- الدر المنثور ج ٢ ص ١٩٨ وتفسير الطبرى ج ١٥ ص ١٠٠

وما اوتيتم من العلم الا قليلا» الاية رقم : ٨٥ .

اخرج جماعة من اهل الحديث : ان هذا السؤال كان من يهود المدينة ، بعد الهجرة (١) .

لكنه معارض بماورد ان هذا السؤال وقع من مشركى قريش ، سألوه عن الروح الذى جاء ذكره فى القرآن (٢) اوان اليهود اوعزوا الى المشركين توجيه هكذا سؤال الى محمد صلى الله عليه وآله . قالوا : فان اجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي (٣) .

هذا مضافاً الى ان ذيل الاية تشهد بانها خطاب مع المشركين ، وعن عطاء بن يسار : ان قوله تعالى : «وما اوتيتم من العلم الا قليلا» نزلت بمكة (٤) .

* * *

السادسة عشرة : قوله تعالى : «قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» الاية رقم : ٨٨ .
اخرج الطبرى : ان الاية نزلت على رسول الله ﷺ بالمدينة ، بسبب قوم من اليهود جادلوه فى تناسق القرآن ، فانكروا تناسقه وزعموا ان التوراة أنسق منه (٥) .

لكن رنة الاية الاخاذة تشي بنزولها بشأن مشركى قريش تحدياً معهم حينما سألوه مخاريق غريبة الى جنب مطالب تافهة ، تجاه نزول القرآن .
وهذه الاية نزلت تمهيداً للتشنيع المتجه اليهم فى آيات بعدها : « وقالوا لن

١- الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٩ وتفسير الطبرى ج ١٥ ص ١٠٥

٢- راجع : مجمع البيان ج ٦ ص ٢٣٧ . والدر المنثور ج ٢ ص ١٩٩ .

٣- نفس المصدر

٤- تفسير الطبرى ج ١٥ ص ١٠٦

٥- نفس المصدر

نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً» الى تمام الاربع آيات ، والتي تستتبعها الى الاية السابعة والتسعين . فراجع نفس الايات .

* * *

الاية الاخيرة وهى السابعة عشرة : قوله تعالى : «قل آمنوا به اولا تؤمنوا به ان الذين اوتوا العلم من قبله اذابتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً» الاية رقم : ١٠٧ . قال جلال الدين : نزلت بالمدينة ، لما اخرجناه فى اسباب النزول (١) . لكنه لم يخرج شيئاً بهذا الشأن ، لافى لباب النقول ولافى الدر المنثور !! والاية بسياقها تشهد بانها مكية ، نزلت توبيخاً لصمود المشركين تجاه نزول القرآن وابعاءهم عن الايمان به ، وتلمييحاً بان هذا العناد هو اثر الجهل الاعمى والتوحش الفادح الذى تمكن من نفوسهم القاسية ، اما اهل المدينة والثقافة فانهم اذالمسا من حقيقة القرآن الواضحة يؤمنون به فوراً بلا ارتياب ، كناية بان هؤلاء المشركين بعيدون عن الحضارة والعلم ، ومن ثم هذا التأنف والشموخ الجاهل .

* * *

١١- سورة الكهف : مكية

استثنى بعضهم منها اثنتين وثلاثين آية : زعمها نزلت بالمدينة . وهذا اسراف فى القول ، لان هذا يعنى : ان ثلث السورة ، ولاسيما ثمانى آيات من اولها مدنية ، فكان جديراً بثبتها فى المدنيات ! قال جلال الدين : استثنى من اولها الى قوله : «جزراً» الايات رقم : ١ - ٨ نزلت بالمدينة (٢) .

ولادليل لهذا الاستثناء اطلاقاً ، مضافاً الى استلزامه ان تكون السورة مدنية

١- الاتقان ج ١ ص ١٥

٢- نفس المصدر

لامكية ! لان الاعتبار فى المكية والمدنية انما هو بمفتح السورة وشىء من آيات من أولها . هذا والاجماع منعقد على ان سورة الكهف مكية لاختلاف فيها (١) .
ولعل المستثنى نظر الى قوله تعالى : « وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً »
الاية رقم : ٢ .

ولكن ذلك لا يستدعى نزولها بالمدينة لمناسبة وجود اليهود فيها ، بل هى عامة تشمل النصارى والمشرىين ايضاً ، على ان نزول آية بشأن قصة يهودية لا تستوجب مقارنة نزولها يوم كانوا ينادون الاسلام ، والايات بهذا النمط كثيرة فى سور مكية ، وذلك لوجود الصلة القريبة بين اليهود والمشرىين قبل مهاجرة النبى ﷺ الى المدينة ، كما تقدمت الاشارة الى ذلك .

* * *

وقال ايضاً باستثناء قوله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ... الى قوله : فرطاً » الاية رقم : ٢٨ (٢) .
زعموها نزلت فى عينة بن حصن ، عرض على رسول الله ﷺ وهو آنذاك بالمدينة ، ان يتباعد مجلس فقراء المؤمنين ، ان كان يريد اسلام عظماء البلد (٣) .
لكن الصحيح انها نزلت فى أمية بن خلف ، عرض عليه ﷺ ذلك وهو بمكة فدعى النبى ﷺ الى طرد الفقراء وتقريب صناديد قريش (٤) ولهجة الاية وسياقها ايضاً تشى بذلك .

* * *

وفى المصحف الاميرى وتاريخ القرآن للزنجانى : استثناء قوله تعالى :

١- راجع : الدد المنشور ج ٢ ص ٢٠٨

٢- الاتقان ج ١ ص ١٥ ، وتاريخ الزنجانى ص ٢٩

٣- الدد المنشور ج ٢ ص ٢٢٠

٤- اسباب النزول للسيوطى بهامش الجلالين ج ١ ص ٢٣٠ والدد المنشور ج ٢ ص ٢٢٠

«ويسألونك عن ذى القرنين ... الى قوله :لايستطيعون سمعاً» الايات رقم : ٨٣ - الى ١٠١ تسع عشرة آية .

زعموا ان الذين وجهوا هذا السؤال الى النبي ﷺ كانوا هم اليهود انفسهم ، ومن ثم كان نزول الايات - بصدد الاجابة - فى المدينة (١) .
والصحيح ان المشر كين هم الذين سألوا هذا السؤال ، لكن بتعليم من اليهود ، كان المشر كون بعثوا من يسأل اليهود عن اوصاف رسول الله ، فاجابوهم بأسئلة يوجهونها الى رسول الله ﷺ فان أجاب فهو نبى حقاً :

روى ابو جعفر الطبرى : ان قريشاً بعثت النضر بن الحرث وعقبة بن ابى معيط الى احبار اليهود بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، واخبروهم بقوله ، فانهم اهل الكتاب الاول - التوراة - وعندهم علم ما ليس عندنا ، من علم الانبياء . فخر جاحتى قدما المدينة ، فسألوا احبار اليهود عن رسول الله ﷺ - ووصفوا لهم امره وبعض قوله ، وقالوا : انكم اهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لهم احبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فان اخبركم بهن فهو نبى مرسل ، وان لم يفعل فالرجل متقول . سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ، ما كان من امرهم ، فانه قد كان لهم حديث عجيب . سلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ، ما كان نبأوه ؟ . سلوه عن الروح ما هو ؟ فان اخبركم بذلك فانه نبى فاتبعوه ... الخ . والحديث طويل وفى نفس الوقت طريف (٢) .

* * *

وفى الاتقان جاء استثناء قوله تعالى : «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت

١- الدر المنثور ج ٢ ص ٣٢٠

٢- جامع البيان ج ١٥ ص ١٢٧ وج ١٦ ص ٧ والدر المنثور ج ٤ ص ٢١٠ ولباب القول

فى اسباب النزول بهامش الجلالين ج ١ ص ٢٢٨

لهم جنة الفردوس نزلاً - الى آخر السورة . الايات رقم : ١٠٧ - الى - ١١٠ اربع آيات (١) .

هذا .. ولم يبين سند هذا الاستثناء الغريب ! ولعله سهو او جزاف من الكلام ،
اذلا شيء في الايات يصلح دليلاً على مدنيتهما ، ولاورد في تفسيرها ما يتناسب ونزولها
بالمدينة !!

١٢ - سورة مريم : مكية

قال جلال الدين : استثنى منها آيتان (٢) :

١- آية السجدة : «اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم - الى قوله - : خروا سجداً وبكياً» الآية رقم : ٥٨ .

ويكذبه : ان هذه الآية نزلت تعقياً على الايات التي سبقتها من اول السورة الى هنا ، ذكرت احوال الانبياء وامم سالفة بتفصيل ، ثم جاء مدحهم جميعاً بصورة اجمالية في هذه الآية ، كانها تلخيص لتلك السمات والاصواف ، وكانت نتيجة عليها ، فاما ان نقول بان جميعها من اول السورة الى هذه الآية مدنية اوكلها مكية ، ولا موقع لهذا الاستثناء الغريب ، والذي لم يبين المستثنى سنده في ذلك !؟
٢- قوله تعالى : «وان منكم الاواردها كان على ربك حتماً مقضياً» الآية رقم : ٧١ .

وهذه كسابقتها مرتبطة تمام الارتباط بآيات اكتنفتها سبقاً ولحقاً ، بما لا يدع مجالاً لاستثنائها وحدها .

١- الانتقال ج ١ ص ١٥

٢- نفس المصدر

١٣- سورة طه : مكية

استثنى منها آيتان : الاولى قوله تعالى : «فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الفجر وقبل الغروب» الآية رقم : ١٣٠ .
لكن الآية تفريع على آيات سبقتها ، مضافاً الى لهجتها الخاصة بآيات مكية .
وورد في تفسيرها ما يؤكّد نزولها بمكة (١) .
الثانية قوله تعالى : «ولاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم ...» الآية رقم : ١٣١ .

قال جلال الدين : لما اخرج البزار عن ابي رافع ، كان بعثه النبي ﷺ ليستسلف من يهودى طعاماً ، فابى الابرهن ، فحزن رسول الله ﷺ على ذلك ، فنزلت الآية (٢) .

لكن القصة - على فرض صحتها - لاتصلح داعية لنزول هذه الآية بشأنها ، ولامناسبة بينها وبين فحوى الآية رأساً .

١٤- سورة الانبياء : مكية

استثنى منها قوله تعالى : «أفلا يرون أنا أناتى الارض ننقصها من اطرافها» الآية رقم : ٤٤ . ولم يذكروا سند الاستثناء (٣) .
لكن السياق مكى بلا كلام . وجاءت نظيرتها في سورة الرعد : ٤١ ايضاً ، ولهجتها مكية ، لولا اتفاق روايات الترتيب على مدنيها - على ما سبق .

١- الطبرى ج ١٦ ص ١٦٨

٢- الاتقان ج ١ ص ١٦ . وراجع : تفسير الطبرى ايضاً ج ١٦ ص ١٦٩

٣- الاتقان ج ١ ص ١٦

١٥- سورة المؤمنون : مكية

استثنى منها قوله تعالى : «حتى اذا اخذنا مترفيهم - الى قوله - : مبلسون»
ثلاث عشرة آية من رقم : ٦٤ - الى - ٧٧ . (١)

ولاشاهد لهذا الاستثناء بتاتا . ولعل المستثنى نظر الى روايات فسرت العذاب بما اصيب المشركون يوم بدر او يوم الفتح . لكنه غفل عن أنها تفسير لوعده سابق ،
لاحكاية عن أمر كان . راجع ابا جعفر الطبرى وغيره (٢) .

١٦- سورة الفرقان : مكية

استثنى منها ثلاث آيات : ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ .
لكن الايات منسجمة مع قريناتها سبقا ولحوقاً تمام الانسجام ، بما يستحيل
استثناؤها لوحدها . وفى تفسير الطبرى وغيرها ما يؤكد نزولها بمكة فراجع (٣) .

١٧- سورة الشعراء : مكية

استثنى منها خمس آيات :
١- قوله تعالى : «اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل » الاية رقم :
١٩٧ .

حكى ابن غرس : انها مدنية (٤) ولعله لما ورد فى تفسيرها من ان المراد من
علماء بنى اسرائيل -هنا- هم : اسد واسيد وابن يامين وثعلبة وعبدالله بن سلام (٥) .

١- نفس المصدر

٢- تفسير الطبرى ج ١٨ ص ٢٨

٣- » » ج ١٩ ص ٢٦

٤- الاتقان ج ١ ص ١٦

٥- تفسير الطبرى ج ١٩ ص ٦٩ . والدر المنثور ج ٥ ص ٩٥

لكن وجه الآية بلاشك مع مشركى قريش ، وتوبيخ لاذع بهم . اما التفسير
الوارد فلا يعنى نزول الآية بعد ايمان هؤلاء اليهود ، وانما هو بيان مصداق من مصاديق
الآية تحققت فيما بعد .

وقد تقدم (١) مراجعة المشركين الى اليهود فيما يخص معرفة رسول الله ﷺ
فكانوا يعرفونهم خصائص وسمات كانت موجودة فيه ﷺ والآية انما تعنى ذلك ،
وان هذا شيء كان يعرفه اهل الكتاب . كما اعترفوا هم قبل هجرته ﷺ وانما
نكروه بعد ذلك طمعاً فى حطام الدنيا . ولم تعن الآية ايمانهم ، وانما عنت معرفتهم . وبذلك
لا يصلح التفسير الوارد لتعيين نزول الآية بالمدينة .

٢- ٥ - قوله تعالى : «والشعراء يتبعهم الغاوون - الى آخر السورة : اربع
آيات .

حكى استثناء ذلك عن ابن عباس (٢) . وسند الاستثناء ما روى انها نزلت فى
رجلين تهاجيا على عهد رسول الله ﷺ احدهما من الانصار والاخر من المهاجرين (٣) .
لكنه معارض بما هو اقوى سنداً واكثر عدداً : انها نزلت فى مشركى قريش ،
كان شعراؤهم يهجون رسول الله ﷺ ويقرأها سفلتهم على ملاء من الناس امتنانا
بموقف رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت الآية تقريباً بشأنهم وتنديداً بسلوكهم
الشنئ . وقد جاء الطبرسى باسماء هؤلاء المشركين فى تفصيل عريض (٤) . وهكذا
رجحه ابو جعفر الطبرى (٥) .

١- فى صفحة ١٤٢

٢- الاتقان ج ١ ص ٩ و ١٦

٣- الدر المنثور ج ٥ ص ٩٩ والطبرى ج ١٩ ص ٧٨

٤- مجمع البيان ج ٧ ص ٢٠٨

٥- جامع البيان ج ١٩ ص ٧٨

١٨- سورة القصص : مكية

استثنى منها قوله تعالى : «الذين آتيناهم الكتاب من قبلهم به يؤمنون -الى قوله - : سلام عليكم لانبغى الجاهلين» اربع آيات من رقم : ٥٢ الى ٥٥ .

قيل : نزلت في جماعة من اهل الكتاب كانوا قد اسلموا ، منهم : عبدالله بن سلام وتميم الدارى والجارود العبدى وسلمان الفارسى (١) .

وقيل : نزلت في اصحاب النجاشى قدموا المدينة وشهدوا وقعة احد (٢) .

لكن لو صح تفسير الاية بالمذكورين فانما عنت الاخبار عما سيكون لاعما كان افضلًا عن معارضة هذا التفسير بتفسيرها بجماعة من اهل الكتاب كانوا مسلمين بالنبي ﷺ قبل مبعثه ، وهم اربعون رجلا على ما جاء في تفسير الطبرسى وتفسير الطبرى وغيرهما فراجع (٣) .

ويؤكد ما ذكرنا قوله تعالى : «ولاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ، الا الذين ظلموا منهم ...» الاية رقم : ٤٦ من سورة العنكبوت .

هذه الاية مكية وردت بشأن مجادلة اهل الكتاب .

وقوله تعالى - ايضاً - : «وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ، ومن هؤلاء من يؤمن به ...» الاية رقم : ٢٨ من نفس السورة . وهى مكية ايضاً بالاتفاق .

وهذه نظيرة الاية المبحوث عنها تماماً ، اخبار عما سيكون .

* * *

واستثنى منها - ايضاً - قوله تعالى : «ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى

١- مجمع البيان ج ٧ ص ٢٥٨

٢- الاتقان ج ١ ص ١٦

٣- مجمع البيان ج ٧ ص ٣٥٨ وجامع البيان ج ٢٠ ص ٥٧ والدر المنثور ج ٥ ص ١٣٣

معاد ...» الآية رقم : ٨٥ .

قيل : نزلت على رسول الله ﷺ وهو مهاجر الى المدينة ، عند وصوله الى الجحفة (١) فالآية - على الاصطلاح الثانى (٢) - لامكية ولامدنية .
لكن الاختيار المشهور هو المصطلح الاول ، وعليه فالآية مكية . وقد سبق ذلك .

١٩ - سورة العنكبوت : مكية

استثنى من اولها الى الآية الحادية عشرة ، قالوا : نزلن بالمدينة (٣) قالوا :
نزلت الايات فى اناس من المؤمنين تخلفوا عن الهجرة ، ثم كتب اليهم اصحاب
رسول الله ﷺ فى ذلك ، فعمدوا الى المهاجرة فزنتهم قريش ووقع بينهم قتال
وعنف (٤) .

لكن الآية عامة ، نزلت فى مؤمنى مكة وقعوا تحت شدة ، وكانت ابتلاء لهم
ليعلم الصادق من الكاذب . وهكذا فسرها ابو جعفر الطبرى (٥) وجاءت به الرواية
عن الامام ابى عبد الله الصادق عليه السلام (٦) .

هذا فضلا عن ان مفتتح السورة لوصح نزولها بالمدينة لاصبحت السورة
مدنية ، وفق المصطلح المتقدم (٧) هذا ولم يخالف احد فى مكيتها .

* * *

١- مجمع البيان ج ٧ ص ٢٦٨

٢- تقدم فى ص ١٠٠

٣- الاتفاق ج ١ ص ١٦

٤- اسباب النزول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٣٢

٥- جامع البيان ج ٢٠ ص ٨٣

٦- مجمع البيان ج ٧ ص ٢٧٢

٧- تقدم فى ذلك ص ١٠٣

واستثنى منها - ايضاً - قوله تعالى : «وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم» الآية رقم : ٤٠ .

استثناها جلال الدين ، لما رواه ابن ابي حاتم - بسند ضعيف - عن ابن عمر قال : خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة ، فجعل يلتقط من التمر وبأكل ، ثم قال ﷺ : «هذه صبح رابعة منذلم اذق طعاماً ولم أجده . . . قال ابن عمر : فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت : «وكأين من دابة ...» (١) .

والرواية مطعون في سندها ، فضلاً عن اضطراب متنها وعدم معقولية فحواها ! هذا . . . وقد روى عن مقاتل والكلبي : انها نزلت في جماعة من المؤمنين المستضعفين ، ضاق بهم المقام بمكة قبل هجرة الرسول ﷺ ووقعوا في عسر وشدة ، فامروا بالهجرة الى المدينة ، قالوا : كيف نخرج الى بلد ليس لنا به دار ولا عقار ولا معيشة ! فنزلت الآية : «يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون - الى قوله - : وكأين من دابة ... الخ (٢) .

والرواية الثانية اوفق بنص الكتاب واولى بالاعتبار ، ومن ثم فهي الصحيحة المقبولة !

٢٠ - سورة الروم : مكية

جاء في المصحف الاميري وتاريخ القرآن لابي عبدالله الزنجاني : استثناء قوله تعالى : «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون» الآية رقم : ١٧ . (٣) ولا سند لهذا الاستثناء ، فضلاً عن ارتباطها الوثيق مع آيات سبقتها وآيات لحقتها !

١ - الاتقان ج ١ ص ١٤ . والدر المنثور ج ٥ ص ١٣٩

٢ - مجمع البيان ج ٨ ص ٢٩٠

٣ - تاريخ القرآن ص ٣٠

٢١- سورة لقمان : مكية

روى عن ابن عباس : استثناء قوله تعالى : « لو ان مافى الارض من شجرة اقلام والبحر يمدده من بعده سبعة ابحر - الى قوله - : بماتعملون خبير » ثلاث آيات رقم : ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ .

وذلك لانه - رضى الله عنه - روى فى سبب نزولها : ان احبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة انا قداوتينا التوراة وفيها علم كثير ، فقال ﷺ : انها فى جنب علم الله قليل ، فنزلت الايات (١) .

ولكن التعليل ان كان يتناسب مع الاية رقم : ٢٧ فرضاً ، فانه لا يتناسب مع الايتين بعدها ، ولا يصلح داعية لنزولهما البتة .

والصحيح ان الايات الثلاث ، هى كسوابقها ولوا حقها منسجمة بعضها مع بعض وهى جميعاً عرض لعظمة رب العالمين ، لا يدانيه احد ، ولا يماثله شىء ! ... فلا سبب يفصلها عن قريناتها ، ومن ثم لا وجه لاستثنائها اصلاً .

ولوصحت الرواية المذكورة عن ابن عباس ، فلا بد انه ﷺ قرأها عليهم حينما عرضوا عليه ذلك التحدى الغريب ! لأنها نزلت حينذاك .

٢٢- سورة السجدة : مكية

استثنى منها قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع ويدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون » الاية رقم : ١٦ .

قال جلال الدين : لما اخرج البزار وابن مردويه عن بلال ، قال : كنا جلوساً وناس من اصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب الى العشاء فنزلت (٢) .

١- الدر المنثور ج ٥ ص ١٦٧ . والاتقان ج ١ ص ١٦

٢- الاتقان ج ١ ص ١٦ . والدر المنثور ج ٥ ص ١٧٥

قلت : الآية عامة . وانسجامها مع قربانها من آيات بادية الوضوح . فضلاً عن عدم التثامها مع فحوى الرواية فى شىء .

* * *

وفى المصحف الاميرى وتاريخ الزنجاني : استثناء قوله تعالى : «فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين» الآية رقم : ١٧ .
ولعل ذلك نظراً لأنها تتميم للآية السابقة . والاصح انها كسابقتهما عامة .

* * *

وروى عن ابن عباس استثناء قوله تعالى : «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً - الى قوله - نزلاً بما كانوا يعملون» ثلاث آيات رقم : ١٨ و ١٩ و ٢٠ (١) .
وذلك لما روى بطرق واسانيد كثيرة ومعتبرة : انها نزلت فى على بن ابي طالب عليه السلام والوليد بن عقبة بن ابى معيط ، فى مشاجرة جرت بينهما يوم بدر ، قال له الوليد : اسكت فانك صبي وانا ايسط منك لسانا واحدمنك سنانا وارد منك للكثيبة ! فقال له على عليه السلام : على رسلك فانك فاسق ، وليس كما تقول .
اخرجها ابو الفرج الاصبهاني فى كتاب الاغانى . والواحدى فى اسباب النزول وابن مردويه . والخطيب البغدادي . وابن عساكر من طرق عن ابن عباس . واخرجها ابن اسحاق وابن جرير عن عطاء بن يسار . واخرجها ابن ابى حاتم عن السدى وعبد الرحمن بن ابى ليلى . فالؤمن الذى عنته الآية الكريمة هو على بن ابي طالب .
والفاسق هو الوليد (٢) .
واخرجها الحافظ الحسكاني باثنى عشر طريقاً ، ربما بلغت بذلك حد التواتر (٣) .

١- الاتقان ج ١ ص ٩

٢- راجع : الدر المنثور ج ٥ ص ١٧٨ . وتفسير الطبرى ج ٢١ ص ٦٨ . والنيسابورى

بهامش الطبرى ج ٢١ ص ٧٢ . ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٣٢ .

٣- شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٥٣

قلت : سياق الآية عام ، وهى مرتبطة مع بقية الايات ، سابقة ولاحقة . بيد و ذلك
لادنى مراجعة الى السورة .

نعم يجوز نزول آية مرة ثانية لمناسبة تستدعى ذلك ، الامر الذى حدث فى
كثير من آيات سوف ننبه عليها . ويحتمل ان المحاورة المذكورة بلغت النبى ﷺ
فقرأ الآية الكريمة ، تطبيقاً مع المورد ، فقد فسق الوليد هذا فى آيات أخرى ، ونزلت :
« ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » (١) بشأنه الخاص ، أخرجه جلال الدين باسانيد رجالها
ثقات (٢) .

٢٣- سورة سبأ : هكينة

استثنى منها قوله تعالى : « ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك
هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد » الآية رقم : ٤ .
هذه الآية اشارة الى ان اهل العلم الواقعيين يؤمنون بهذا الكتاب ايماناً صادقاً
عن علم و يقين ، ولا شك ان الامر كذلك ، فالنابهن العقلاء و ارباب الفضيلة و الكمال ،
لا يترددون فى الايمان بهذا الكتاب العزيز الذى لا ريب فيه ، فور معرفتهم به . وهذا
شأن كل حق صريح . وهكذا رجح هذا المعنى العلامة الطبرسى ، قال : وهذا اولى ،
لعمومه ... ثم قال : لانهم يتدبرونه و يتفكرون فيه ، فيعلمون بالنظر والاستدلال انه
ليس من قبل البشر (٣) .

لكن ابا جعفر الطبرى فسر الآية - ابتداء - بمسلمى اهل الكتاب كعبد الله

١- سورة الحجرات : ٤

٢- لباب النقول يها مش الجلالين ج ٢ ص ٨٠ - ٨٢ . واخرجه ايضاً اصحاب مجاميع
معتبرة فراجع .

٣- مجمع البيان ج ٨ ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

ابن سلام ونظرائه (١) . ومن ثم زعم بعضهم ان الاية مدنية نزلت بعد اسلام هؤلاء (٢) . هذا .. وابو جعفر لم يستند في تفسيره ذلك الى نقل مأثور (٣) وانما نقل عن قتادة : انهم اصحاب محمد ﷺ السابقين الاولين ممن وجدوا الاسلام حقيقة ناصعة فاحتضنوها عن معرفة . ويقين . فنقله يختلف عن رأيه هو !

* * *

واستثنى منها - ايضاً - قوله تعالى : «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية - الى قوله - : وربك على كل شيء حفيظ» سبع آيات : ١٥ الى ٢١ . يروى عن فروة بن مسيك : انه سأل رسول الله ﷺ اوسمع رجلاً يسأله ﷺ عن سبأ : جبل ام ارض ، رجل ام امرأة ؟ فنزلت الايات ، وكان هذا السؤال بعد مرجعه من غزو قبائل سبأ ، ارجعه رسول الله ﷺ لانه لم يؤمر بذلك (٤) . قال ابن الحصار : وهذا يدل على ان نزول الايات كان بالمدينة ، لان مهاجرة فروة كانت بعد اسلام ثقيف سنة تسع من الهجرة (٥) . لكنه قال بعد ذلك : ويحتمل ان يكون قوله « وانزل في سبأ ما انزل » حكاية عما تقدم نزوله قبل الهجرة بمكة ، لانزوله حينذاك . قلت : لو صدقت القصة لابد من حمل قوله في ذلك على الحكاية ، اذ بعد جداً نزول آية او آيات لمجرد سؤال رجل كان جوابه ﷺ كافياً لارضاء حس استطلاعهم - كما جاء في الرواية - ولم يستدع تفصيلاً تعرضت له الايات .

١- جامع البيان ج ٢٢ ص ٢٢

٢- الاتقان ج ١ ص ١٦

٣- وفي المجمع ج ٨ ص ٣٧٨ : انه قول الضحاك

٤- مجمع البيان ج ٨ ص ٣٨٦ . وجامع البيان ج ٢٢ ص ٥٣ . والدر المنثور ج ٥

ص ٢٣١ .

٥- الاتقان ج ١ ص ١٦

على ان ملاحظة عبرى بشأن قصة سبأ كماوردت فى القرآن تكفى للدلالة على ان الهدف منها عام كسائر القصص الواردة فى القرآن تروم توجيه البشرية الى معالم السير الصحيح ، تنبيهها لها على مواضع الخطاء فى حياتها الغابرة ، لتأخذ منها درساً تسير عليه فى حياتها الحاضرة .

والصحيح فى قصة فروة بن مسيك : انه سأل النبى ﷺ عن قصة سبأ بعد أن قرأها فى القرآن ، فسأله ﷺ عن سبأ أرجل هوام امرأة ، ام هواسم ارض ام جبل ؟ فشرح له النبى ﷺ انه رجل من العرب كان له من الاولاد كذا وكذا (١) . وهذا يدل على تأخر السؤال عن نزول الايات .

واخيراً فان الرواية بهذا الشأن عن فروة مضطربة ومتناقضة بعضها مع بعض ، بما يجعل الاستناد اليها فى الحكم بنزول الايات بشأنها مستحيلاً .

فقد اخرج ابن ابى حاتم عن على بن رباح قال : حدثنى فلان - ؟ - ان فروة ابن مسيك الغطفانى - ؟ - قدم على رسول الله ﷺ فقال : يا نبى الله ان سبأ قوم كان لهم فى الجاهلية غزو . وانى اخشى ان يرتدوا عن الاسلام - ؟ - أفأقاتلهم ؟ فقال : ما امرت فيهم بشيء بعد ، فانزلت هذه الآية : «لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية...» (٢) انظر الى هذه الرواية المتفككة سنداً ومتناً واسلوباً ، وعدم اى مناسبة بين مضمونها ونزول هكذا آيات ! ! الامر الذى يجعلنا نطمئن بانها لم تكن من حياكة انسان نابه يلتفت الى مايقوله من كلام !

وهكذا سائر الروايات الواردة بهذا الشأن ، فراجع : الطبرى والدر المنثور وغيرهما فان كانت هكذا مناسبات تستدعى نزول قرآن ، فاجد ربنا ان نقول : انه كان ينزل بلامناسبة ! !

١- مجمع البيان ج ٨ ص ٣٨٦

٢- لياب النقول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٥٥

٢٤- سورة يس : مكية

استثنت منها آيتان :

الاولى : قوله تعالى : «انا نحن نحیی الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين» الآية رقم : ١٢ .

اخرج الحاكم والترمذی عن ابی سعيد الخدری ، قال : كانت بنو سلمة فی ناحية من المدينة ، فشكوا الى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد والصلاة معه ، فنزلت الآية ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ان آثاركم تكتب ، فلم ينتقلوا (١) .

لكن القصة لاتصلح سبباً لنزول جميع فقرات الآية ، لعدم المناسبة ! ولعل رسول الله ﷺ استشهد بفقرة منها بعدما شكوا اليه بعدمنازلهم ، حيث افضل الاعمال احمزها .

الثانية : قوله تعالى : «واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لويشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين» الآية رقم : ٢٧ .
قال ابن عباس : نزلت بالمدينة بشأن المنافقين (٢) .

لكنها صريحة في خطابها مع الذين كفروا ، وقد نص ابو جعفر نزولها بشأن المشركين (٣) وهكذا يشهد بذلك سياق الآية ذاتها .

وفي المصحف الامیری وتاريخ الزنجانی : استثناء الآية رقم : ٤٥ .
ولعله سهو جاء في اشتباه الرقم . وعلى الفرض فسياقها نفس سياق الآية رقم : ٢٧ والكلام فيها هو الكلام في تلك .

١- مجمع البيان ج ٨ ص ٤١٨ . والاتقان ج ١ ص ١٦ . والطبری ج ٢٢ ص ١٠٠ .

٢- الاتقان ج ١ ص ١٦ والمجمع ج ٨ ص ٢١٣ .

٣- جامع البيان ج ٢٣ ص ٩

٢٥- سورة الزمر : مكية

استثنى منها قوله تعالى : «قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ، وارضى الله واسعة وانما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب»
الاية رقم : ١٠ .

نقل السخاوى فى «جمال القراء» عن بعضهم : انها نزلت بالمدينة (١) .
لكن الاية بنفسها تشي بانها مكية ، نزلت تحرض المؤمنين المستضعفين على
المهاجرة . وهكذا روى عن ابن عباس (٢) .

* * *

واستثنى - ايضاً - قوله تعالى : «اللّه نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم...» الاية رقم : ٢٣ .
حكى ابن الجزرى عن بعضهم - ايضاً - : انها نزلت بالمدينة (٣) .
لكن لهجة الاية الرنانة الاخاذة بمجامع القلوب ، بذاتها شاهدة على انها مكية ،
كما أن السياق ايضاً يشهد بذلك ، ولاوجه لهذا الاستثناء بتاتا .

* * *

وهكذا استثنى منها قوله تعالى : « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم
- الى قوله - : وانتم لاتشعرون » ثلاث آيات رقم : ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ .
قيل : نزلن فى وحشى قاتل حمزة اروى ذلك عن ابن عباس بسند ضعيف (٤) .
نعم اخرج ابن ابي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس ، قال : انزلت هذه الاية

١- الاتقان ج ١ ص ١٦

٢- مجمع البيان ج ٨ ص ٢٩٢

٣- الاتقان ج ١ ص ١٦

٤- لباب النقول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٦٣

فى مشركى اهل مكة (١) وهكذا فسرهما ابو جعفر بعدة طرق (٢) .

قلت : لا يستحق وحشى - وهو وحش فى صورة انس - ان تنزل عليه بالخصوص آية هى ذات صدى عاطفى رقيق ، وذات اشارات خفية لا يلمسها الا ذوا افهام ناضجة وقرائح متوقدة !

قال العلامة الطبرسى : ولا يصح نزولها بشأن «وحشى» لان الآية نزلت بمكة ، ووحشى اسلم بعدها بسنين كثيرة ، ولكن يحتمل ان يكون قرئت عليه الآية فكانت سبب اسلامه (٣) .

٢٦- سورة المؤمن (غافر) : مكية

استثنيت منها ثلاث آيات :

الاولى : قوله تعالى : «وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار» الآية رقم ٥٥ . قال الحسن : لانها تعنى بذلك صلاة المغرب وصلاة الفجر ، وقد ثبت ان فرض الصلاة نزل بالمدينة (٤) .

قلت : وهذا غريب الان الصلاة اول ما فرضت فرضت بمكة ، وكان المسلمون يصلون بها جماعة وفرادى . وتقدم ان الصلاة هى اول شىء جاء به جبرائيل وعلم رسول الله ﷺ الوضوء والصلاة فى بدء بعثته ﷺ (٥) .

وايضاً فان صدر الآية : فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك دليل على مكيتها ، فضلاً عن السياق المتناسب !

١- نفس المصدر

٢- جامع البيان ج ٢٤ ص ١٠

٣- مجمع البيان ج ٨ ص ٥٠٣

٤- مجمع البيان ج ٨ ص ٥١٢

٥- تقدم فى صفحة : ٩٥

الثانية والثالثة : قوله تعالى : « ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم - الى قوله - : ولكن اكثر الناس لا يعلمون » الآية رقم : ٥٤ و ٥٧ . قال جلال الدين : اخرج ابن حميد وابن ابى حاتم بسند صحيح - ! - عن ابى العالية ، قال : ان اليهود اتوا النبى ﷺ فقالوا : الدجال منا يخرج فى آخر الزمان . . وجعلوا يعظمون من شأنه ، فانزل الله هاتين الايتين ، وفيهما : « لخلق السماوات والارض اكبر » (١) .

قلت : نعوذ بالله من سفاسف الكلام ، كيف تنزل آية قرآنية فى رد مزعومة تافهة تبجح بها يهودى ، لتجعل المقايسة بين دجل دجال وخلق السماوات والارض ؟! ولقد احسن ابو جعفر الطبرى (٢) فلم يذكر شيئاً من تلكم الاحاديث الفارغة التى ملاء بها جلال الدين السيوطى تفسيره ، ونحن ننزه القرآن الكريم منها بتاتا !

٢٧- سورة الشورى : مكية

استثنى منها قوله تعالى : «ام يقولون افترى على الله كذباً - الى قوله - : والكافرون لهم عذاب شديد» ثلاث آيات رقم : ٢٢ و ٢٥ و ٢٦ .
 قيل : نزلن فى الانصار . رواه الطبرانى عن ابن عباس بسند ضعيف (٣) .
 وقوله : «ولو بسط الله الرزق لعباده - الى قوله - : خبير بصير» الآية رقم : ٢٧ .
 قيل : نزلت فى اصحاب الصفة . اخرجه الحاكم وصححه (٤) .
 قلت : من المستبعد جداً نزول الايات الاول فى الانصار ، اذ كيف يعقل نسبة

١- الدر المنثور ج ٥ ص ٣٥٣ . واسباب النزول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٦٥

٢- جامع البيان ج ٢٢ ص ٥٠

٣- لباب النقول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٦٨

٤- نفس المصدر

هذا الكلام اليهم : «افتري - يعنى محمد - على الله كذباً» ١٩
ثم الرواية تذكر ان الانصار أسأوا الظن برسول ﷺ فحسبوه يقاتل دون
اهل بيته خاصة ، فنزلت الاية ١٩..!

اما الاية الاخيرة فهى عامة ، ولوصحت الرواية عن على عليه السلام فانما تعنى
شمولها لهم بعمومها ، لانها نزلت بشأنهم الخاص ، اذ ذلك - على هذا الفرض -
قدح لاذع باهل الصفة ، وحاشا القرآن ان يجرح من عاطفة جماعة من المؤمنين لمكان
فقرهم !!

* * *

واستثنى - ايضاً - قوله تعالى : «والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون» الى قوله :-
فاولئك ما عليهم من سبيل» الايات رقم : ٣٩ و ٤٠ و ٤١ .
حكى ابى غرس عن بعضهم : انهن نزلن بالمدينة (١) .
غير ان السياق مكى لاغير ، وآيات تقدمتها وآيات تأخرتها مرتبطة بها تمام
الارتباط ، مما يجعل التفكيك مستحيلا ، وكلهن نزلن بشأن المؤمنين فى مكة ايام
كانوا مستضعفين ، هذا لايشك فيه من راجع الايات .

٢٨ - سورة الزخرف : مكية

استثنى منها قوله تعالى : «واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا : أجعلنا من دون
الرحمان آلهة يعبدون؟» الاية رقم : ٤٥ .
قال قتادة : نزلت ببيت المقدس ليلة المعراج (٢) وقيل : نزلت بالمدينة (٣)
لكن الاية مرتبطة بقريناتها المكتنفة بها ارتباطاً وثيقاً . ونزلت : «اياك اعنى واسمعى

١ - الاتقان ج ١ ص ١٦

٢ - مجمع البيان ج ٩ ص ٣٨ . والدر المنثور ج ٦ ص ١٩

٣ - الاتقان ج ١ ص ١٦

ياجارة» فهي مكية بلاشك ،نزلات بشأن المشركين .امانزولها فى السماء (١) اوبييت المقدس فلاتجعلهامدنية ،وانما هى مكية باعتبار نزولها قبل الهجرة ،وفق الاصطلاح المتقدم (٢) .

وجاء فى المصحف الاميرى ومقلدته : استثناء آية رقم : ٥٤ . ولعله اشتباه فى الرقم .

٢٩- سورة البجائية : مكية

استثنى منها قوله تعالى : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله »
الاية رقم : ١٤ .

قال قتادة : نزلت بالمدينة (٣) .
والصحيح : انها من آيات الصفح التى نزلت بمكة ايام كان المؤمنون مستضعفين ،
ومن ثم نسخت فيما بعد ، عندما قويت شوكة الاسلام بالمدينة (٤) .

٣٠- سورة الاحقاف : مكية

استثنى منها قوله تعالى : « قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد
من بنى اسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم » الاية رقم : ١٠ .
اخرج الطبرانى انها نزلت بالمدينة فى قصة اسلام عبدالله بن سلام (٥) .

١- الاتقان ج ١ ص ١٦

٢- فى صفحة : ٩٩ - ١٠٠

٣- المجمع ج ٩ ص ٧٠ . والاتقان ج ١ ص ١٦

٤- راجع : تفسير الطبرى ج ٢٥ ص ٨٧

٥- لباب النقول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٧٢ . والطبرى ج ٢٦ ص ٨ . والاتقان ج ١ ص ١٦

قلت : ماغرب ولع المفسرين بكل آية جاء فيها الماح بايمان اهل الكتاب
فسرعان ما اولوها بعبدالله بن سلام واضرابه !؟

والصحيح : انها تشنيع بقريش تقاعست عن الايمان بدين جاء على يدرجل
منهم وعلى لغتهم ، ثم يؤمن به غيرهم من بنى اسرائيل وغيرهم . وانما خص بنو
اسرائيل بالذكر - هنا - لمزيد عناية العرب آنذك بهم وثقتهم بعلمهم وثقافتهم .
هذا .. وقد اخرج ابن ابى حاتم عن مسروق قال : انزلت هذه الاية بمكة بشأن
المشركين ، وهكذا اخرج ابو جعفر الطبرى بعدة اسناد (١) .

* * *

واستثنى - ايضاً - قوله : «ووصينا الانسان بوالديه احسانا - الى قوله - :
وهم لا يظلمون» خمس آيات رقم : ١٥ الى ١٩ قيل : نزلت الايات فى ابى بكر حيث بر بوالديه
وفى ابنه عبدالرحمان عندما عاق والده ، وهما يحاولان اسلامه (٢) .
لكن الايات فى كلا الموضعين عامة ، بدليل صيغة الجمع تعقياً على كل
من الفقرتين ، فالآيات تصوير تفصيلى عن الذى يبر بوالديه والذى يعقهما بصورة
عامة (٣) .

وعلى تقدير نزولها بشأن ابى بكر وابنه عبدالرحمان فلا موجب لعددها مدنية
بعدان كانت تلك القصة بشأنهما - على فرض الصحة - بمكة .

* * *

وكذلك لاوجه لاستثناء قوله : «فاصبر كماصبر اولوا العزم من الرسل» الاية
رقم : ٣٥ (٤) بعدان كانت لهجتها مكية ، وسياق لحنها موجه الى مشركى قريش ،

١- جامع البيان ج ٢٦ ص ٧ . والدر المنثور ج ٦ ص ٣٩ .

٢- الدر المنثور ج ٦ ص ٤١ . والطبرى ج ٢٦ ص ١٣ .

٣- مجمع البيان ج ٩ ص ٨٧

٤- الاتقان ج ١ ص ١٦

نزلت ايام كان المسلمون على ضعف ومن ثم نسخت بعدئذ بآية القتال .

٣١- سورة ق : مكية

اخرج الحاكم وغيره : ان قوله تعالى : «ولقد خلقنا السماوات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب» الاية رقم : ٣٨ نزلت بالمدينة ، ردأعلى مزعومة يهودية ، قالوا : ان الله استراح يوم السبت بعد ان خلق السماوات والارض في ستة ايام من يوم الاحد الى يوم الجمعة (١) .

قلت : اما نزولها ردأعلى تلك المزعومة الباطلة فنعم ، واما انها نزلت بالمدينة فلا ! وذلك لان العرب - كما سبق مراراً - كانوا على اتصال دائم باهل الكتاب ، وربما كانوا يأخذون منهم تعاليم او معارف مما يخص خلق السماوات والارض ، فكانت مشهورة بين العرب المشركين ، فهذا الرد - لوصح انه رد - لا يدل على انه نزل بالمدينة ! فلعل الرواية القائلة بانها نزلت في اليهود : انما تعنى ما ذكرنا ، اى نزلت في تعاليم كانوا يشوها بين العرب .

والشاهد على ان الاية مكية : ما جاء تفريعاً عليها : «فاصبر على ما يقولون ...»
التي هي من آيات الصفع المكية ، والتي نسخت فيما بعد .

٣٢- سورة النجم : مكية

استثنى منها قوله : «... هو اعلم بكم اذن انشأكم من الارض واذا انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى» الاية : ٣٢ .

اخرج الواحدى عن ثابت بن الحرث الانصارى ، قال : كانت اليهود تقول - اذا هلك لهم صبي صغير - : صديق . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : كذبوا ، ما من نسمة يخلقها الله في بطن امه الا انه شقى او سعيد ، فانزل الله عند ذلك : « هو اعلم

بكم . . . » (١) .

قلت لوصحت الرواية فلا دلالة فيها على نزول الآية بالمدينة ، فلعل قوله اليهود - وهم يثنون تعاليمهم الفاسدة بين العرب - بلغت الرسول ﷺ وهو بمكة ، فنزلت الآية بها !

لكن الرواية المذكورة لامساس لها بفحوى الآية رأساً ، لان قوله : ربكم اعلم بكم . . . » تعليل لقوله : واسع المغفرة » .

يعنى : ان هذا الانسان مفطور على اقتراف مطالب ارضية سافلة وفقاً لفطرته البشرية المتركة من نزعات ورغبات ، والله اعلم بذلك ، ومن ثم عهد على نفسه الغفران ، رحمة بهذا الانسان ورأفة بموقفه الخاص تجاه رغباته ونزغاته .

* * *

واستثنى - ايضاً - قوله : « افرأيت الذى تولى . . . » الى تمام الايات التسع ٣٣ الى ٤١ .

قيل : نزلت فى رجل اتى النبى ﷺ عند خروجه الى غزاة ، يطلب مركباً وسلاحاً فلم يجد ، فلقي صديقاً له فقال : اعطني شيئاً . فقال : اعطيك بكري هذا على ان تتحمل بذنوبى ، فقال : نعم . فنزلت الايات (٢) .

لكن الايات لا تنطبق على فحوى القصة فى شيء ، وانما نزلت فى صناديد من صناديد قريش فى تفصيل ذكره ابو جعفر الطبرى ، فراجع (٣) .

١- باب القول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٨٩ . والدرد المنثور ج ٦ ص ١٢٨

٢- الدرد المنثور ج ٦ ص ١٢٨

٣- جامع البيان ج ٢٧ ص ٤١ - ٤٢

٣٣- سورة القمر : مكية

استثنى منها ثلاث آيات :

الاولى : قوله تعالى :«سيهزم الجمع وبولون الدبر» الآية رقم :٤٥زعموها نزلت يوم بدر . (١) .

والصحيح : انها وعد بظفر المسلمين فيما يأتى ، فتحقق يوم بدر (٢) .

الثانية والثالثة :قوله تعالى :«ان المتقين فى جنات ونهر . فى مقعد صدق عند

ملك مقتدر» الايتان رقم : ٥٤ و ٥٥ .

ولم يذكر المستثنى سبباً لاستثنائهما !كما لاوجه له بعدملاحظة وحدة السياق،

وذلك الانسجام الوثيق .

وجاء فى المصحف الاميرى :استثناء الايات رقم :٤٤و٤٥ و ٤٦ . ولعله اشتباه

فى الرقم اثبتوه من غير تحقيق .

٣٤- سورة الواقعة : مكية

استثنى منها قوله تعالى :«ثلة من الاولين وثلة من الاخرين» الايتان رقم :٣٩ و ٤٠ . (٣)

ولعله لما رواه ابن مسعود من رؤيا رآها رسول الله ﷺ فقصها على اصحابه ثم قرأ عليهم

الايتين (٤) وهذه القصة كانت بالمدينة .

لكن قرائته ﷺ لا تدل على نزولهما حينذاك .

١- لباب النقول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٩٠

٢- مجمع البيان ج ٩ ص ١٩٤ . وراجع :الاتقان ج ١ ص ١٧ و ص ٣٦ . و'الطبرى ج ٢٧

ص ٦٥ .

٣- الاتقان ج ١ ص ١٧

٤- مجمع البيان ج ٩ ص ٢١٩

واستثنى - ايضاً - قوله : «فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين . أفبهذا الحديث انتم مدهنون . وتجعلون رزقكم انكم تكذبون» : ٧٥-٨٢ لما رواه مسلم والحاكم وغيرهما : ان اصحاب رسول الله ﷺ اصابوا بجذب او نفدت مياههم فى سفر من الاسفار ، اوفى غزوة تبوك ، فشكوا اليه فقام ﷺ وصلى ركعتين ثم دعا الله ، فارسل الله سحابة فامطرت عليهم ، فجعل بعض المنافقين يسر الى بعضهم : انما مطرنا بنوء كذا ، فنزلت الايات (١) .

غير ان الايات تأبى الانطباق على هذه القصة ، وانها رد على ناكرى القرآن وحياً من الله العزيز الحميد ، ولا ماس لها بقضية الانواء ، لافى ظاهر الايات ولا فى فحواها . كما ان انسجام الايات سبقا ولحوقا ذلك الانسجام البديع يجعل من قبول الرواية المذكورة مستحيلا .

٣٥- سورة الملك : مكية

روى عن ابن عباس : انزلت تبارك الملك فى اهل مكة الاثلاث آيات (٢) . قلت : ليس معنى هذا الكلام : انها نزلت بمكة غير ثلاث آيات نزلن بغيرها ! وذلك لانه قال : فى اهل مكة ، ولم يقل : فى مكة او بمكة ! بل المعنى : ان هذه السورة نزلت تفرعاً وتشريعاً باهل مكة اى المشركين ، فكل آياتها تهديد وتوعيد بشأنهم ، غير ثلاث آيات تخص المؤمنين : اولها قوله تعالى : «ان الذين يخشون ربهم ...» رقم : ١٢ . والثانية قوله : «هو الذى جعل لكم الارض ...» رقم : ١٥ . والثالثة قوله : «قل هو الرحمن آمنا به ...» رقم : ٢٩ .

١- اسباب النزول بهامش الجلالين ج ٢ ص ٩٢ - ٩٣

٢- الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٦

فالصحيح - كما فى حديث ابن خديج - : انها نزلت جملة واحدة بمكة (١).

٣٦- سورة القلم : مكية

حكى السخاوى فى جمال القراء : استثناء قوله : «انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة - الى قوله - : لو كانوا يعلمون » سبعة عشرة آية رقم ١٧ الى ٣٢ . وقوله : «فاصبر لحكم ربك - الى قوله - : فجعله من الصالحين» ثلاث آيات رقم : ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ . فهذه عشرون آية زعموها نزلت بالمدينة (٢) .

اخرج ابن ابى حاتم وابن جريح : ان ابا جهل قال يوم بدر : خذوهم اخذاً ، فاربطوهم فى الحبال ، ولا تقتلوا منهم احداً ، فنزلت : انا بلوناهم ... الخ (٣) . ولكن لامناسبة ظاهرة بين كلام ابى جهل هذا وفحوى الايات المذكورة ، ليكون الداعى لنزولها !

والصحيح : انها نزلت بشأن المشركين عموماً ، انسجماً مع بقية آيات السورة ، وهكذا فسرهما العلامة الطبرسى وابو جعفر الطبرى (٤) .
واما قوله : فاصبر لحكم ربك ... الخ فهى من آيات الصفح المكية بلاريب ، وما ندرى ما وجه هذا الاستثناء الغريب ؟!

٣٧- سورة المزمل : مكية

استثنى منها قوله : «واصبر على ما يقولون - الى قوله - : ومهلهم قليلاً» الايتان

١- نفس المصدر

٢- الاتقان ج ١ ص ١٧ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٣٣٠

٣- الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٣

٤- مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٣٦ وجامع البيان ج ٢٩ ص ١٩

رقم : ١٠ و ١١ . حكاة الاصبهانى (١) لكن الايتين تصبير للنبي ﷺ تجاه اذى المشركين ، وتوعيد بهم ، فهما من آيات الصفع المكية ، ولا رجه لعهما مدنيتين .

* * *

وحكى ابن الغرس استثناء قوله : «ان ربك يعلم انك تقوم - الى قوله - : ان الله غفور رحيم» الآية رقم : ٢٠ .

قال جلال الدين : ويرده ما اخرج الحاكم : انه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة ، وذلك حين فرض قيام الليل فى اول الاسلام قبل فرض الصلوات الخمس (٢) وهكذا اخرج عبد بن حميد عن عكرمة ، قال : لبث المسلمون بعد نزول : يا ايها المزمّل قم الليل ... سنة فشق عليهم وتورمت اقدامهم ، حتى نسختها آخر السورة : فاقرأوا ما تيسر منه (٣) .

قلت : تمسك القائل بمدنية الآية ، بان الصلاة والزكاة لم تفرضوا بمكة (٤) وهو استدلال غريب ، لان الصلاة هى اولى فريضة فرضت بمكة (٥) اما الزكاة فليست هى الزكاة المفروضة بحدود وانصبه مقررة ، وانما هى مطلق التصديق الذى كان واجباً حينذاك ، كما فى قوله تعالى : والذين هم للزكاة فاعلون . فى سورة المؤمنون المكية : ٤ وقوله : الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . فى سورة فصلت المكية : ٧ . نعم جاءت تفاصيل حدودها واحكامها بالمدينة ، اما اصلها فكانت واجبة بمكة بلا شك .

وليته تمسك بقوله : «وآخرون يقاتلون فى سبيل الله» والقتال لم يشرع اصلاً الا بالمدينة . لكنه على تقدير ان يراد بالقتال : هو ما يقع فعلياً ، لا ما سيفرض وسبق

١- الاتقان ج ١ ص ١٧

٢- الاتقان ج ١ ص ١٧

٣- الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٠

٤- مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٨٢ ٥- راجع : سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٩

بعد ذلك !والاحتمال الثانى اوجه ، نظراً الى انه تعالى -فى هذه الاية - يذكر اسباب رفع ذلك التكليف الاول الشديد وتبديله الى تكليف آخر خفيف . ومن تلك الاسباب تشريع القتال بعدئذ ، من غير ان يكون هنا دليل صريح على ارادة فعليته حينذاك .

٣٨- سورة المرسلات : مكية

قالوا باستثناء قوله : «واذا قيل لهم اركعوا لايركعون» الاية رقم : ٤٨ .
قال مقاتل : نزلت فى ثقيف حين امرهم رسول الله ﷺ بالصلاة ، فقالوا : لانحنى ، فان ذلك سبة علينا (١) وثقيف اسلمت بالمدينة .
لكن وجه الاية وسياقها مع المكذبين ، وهم مشركوا العرب ، ولا معنى لان يكون هذا الموضع من السورة خلواً من هذه الاية الى اواخر سننى الهجرة ثم تكتمل .
اذذلك يخل بفصاحة السورة ويخلخل من نظمها المنسجم .
على ان الركوع هنا بمعنى : الخضوع لله والانقياد التام لاوامره ونواهيه ، لا الركوع المصطلح جزء من الصلاة . وهذا هو اختيار ابى جعفر الطبرى (٢) .
كما جاء بهذا المعنى قوله تعالى : «واقموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين» (٣) راجع : تفسير شبر فى هذا الموضع قال : او اريد به الخضوع والانقياد للحق . وقال فى سورة المرسلات - بصورة جزئية : واذا قيل لهم اركعوا : سلموا واخشعوا وانقادوا (٤) . اذن فلامساس للاية بقضية اسلام ثقيف ، بل هى عامة حكاية عن صمود المشركين أمام الحق الصراح .

١- مجمع البيان ج ١٠ ص ٤١٩

٢- راجع : جامع البيان ج ٢٩ ص ١٥٠

٣- سورة البقرة : ٤٣

٤- تفسير شبر ص ٤٦ و ص ٥٢٥

٣٩- سورة المطففين : مكية

قالوا : نزل صدرها فى المدينة اول قدوم رسول الله ﷺ - اليها ، فقد كان اهل المدينة من اخبث الناس كيلا ، فانزل الله - عزوجل - : ويل للمطففين - الى تمام الست آيات ، فاحسنوا الكيل بعد ذلك (١) .

وقد تقدم : انه من المستبعد جداً مواجهة الرسول ﷺ للانصار بهكذا آيات ذوات لهجة عنيفة ، فى اول لقياه معهم فى دارهم التى آووه اليها ، وشمروا ساق الجدل لمؤازرته ونصرته ، عاهدوه على انفسهم واموالهم فى سبيل اعلاء كلمة الاسلام . والصحيح : انها باجمعها مكية (٢) .

استثناءات من سور مدنية :

تقدم : استبعادان تبقى آية غير مسجلة فى سورة مكية حتى تنزل سورة مدنية بعد فترة طويلة ام قصيرة ، فتسجل فيها . وهكذا استبعده ابن حجر فى شرح البخارى وغيره (٣) .

ولكن مع ذلك فقد قالوا فى كثير من آيات مسجلة فى سور مدنية : أنهم مكيات . ونحن نذكرهن تباعاً حسب ترتيب السور فى المصحف الشريف ، ونعقبها بما نرتأيه من رأى .

١- الاتقان ج ١ ص ١٧ . والدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٤ . والمجمع ج ١٠ ص ٤٥٢

٢- راجع : صفحة ١٢٣

٣- تقدم فى صفحة : ١٣٨

١ - سورة البقرة : مدنية

استثنى منها ثلاث آيات :

الاولى : قوله تعالى : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره » الاية رقم : ١٠٩ .
زعموها نزلت بشأن المشركين ايام كان المسلمون بمكة ضعفاء .

لكن صدر الاية : « ود كثير من اهل الكتاب . . . » شاهد نزولها بشأن اهل الكتاب ، اوائل هجرة الرسول ﷺ الى المدينة ، ولم تقو شوكة الاسلام بعد ، ثم نسخت بقوله « فأتلوا الذين لا يؤمنون بالله - الى قوله - : من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (١) راجع الطبرسى ، بشأن نزول الاية ونسخها بآية براءة (٢) .

الثانية : قوله تعالى : « ليس عليك هداهم... » الاية : ٢٧٢ .

زعموها - ايضاً - نزلت بشأن صمود المشركين تجاه قبول الحق ، نظيرة قوله : « انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء » (٣) .

لكن الاية نزلت بشأن انفاق المسلمين عن الكفار ، حيث امتنعوا من ذلك زعماً انها محرمة عليهم وهم على غير دينهم ، فنزلت (٤) .

الثالثة : قوله تعالى : « واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ... » الاية رقم : ٢٨١ .

قيل : هي آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمنى فى حجة الوداع (٥) .

١ - سورة التوبة : ٢٩

٢ - مجمع البيان ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٥ . والدر المنثور ج ١ ص ١٠٧

٣ - سورة القصص المكية : ٥٦

٤ - مجمع البيان ج ٢ ص ٣٨٥ . والدر المنثور ج ١ ص ٣٥٧

٥ - الدر المنثور ج ١ ص ٣٧٠

غير ان هذا الاستثناء ينظر الى المصطلح الثانى المتقدم . واما على المصطلح الاول المشهور - : ما نزل بعد الهجرة فهو مدنى حتى ولو كان نزوله بمكة - فالاية مدنية (١) .

٢- سورة المائدة : مدنية

استثنى منها قوله تعالى : «اليوم يثس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونى . اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً» الاية رقم : ٣ .

قيل : نزلت على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفات فى حجة الوداع (٢) وهكذا زعمه ابو عبد الله الزنجاني فى تاريخ قرآنه (٣) .

لكن ابا عبد الله الصادق عليه السلام قال : نزلت الاية بعد ان نصب رسول الله ﷺ علياً عليه السلام علماً للامة يوم غدیر خم ، منصرفه عن حجة الوداع ، فانزل الله يومئذ : «اليوم اكملت لكم دينكم» (٤) وهكذا سجلها ابن واضح اليعقوبى ، قال : وكان نزولها يوم النص على امير المؤمنين على بن ابي طالب - صلوات الله عليه - بغدير خم . قال : وهى الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة (٥) وقد ذكرها الحافظ الحسكافى بعدة طرق (٦) .

ثم ان نزول الاية بعرفات او بغدير خم لا يجعلها مستثناة من المدنيات ، وفق

١- تقدم ذلك فى صفحة : ٩٩

٢- الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٧

٣- تاريخ القرآن ص ٢٧

٤- الطوسى : تفسير التبيان ج ٣ ص ٤٣٥

٥- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٥

٦- شواهد التنزيل ج ١ ص ١٥٦ - ١٦٠

٣- سورة الانفال : مدنية

استثنى منها قوله : «واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» الآية رقم : ٣٠ .

قالوا : انها نزلت في قصة دار الندوة اجتمعت فيها قريش للتآمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وفشلت مؤامرتهم بهجرة الرسول ﷺ ومبيت على ﷺ على فراشه (١) .

لكن نزول الآية بشأن تلك القصة لا يستدعى نزولها حينذاك ، ولا سيما بعد ملاحظة اداة ظرف الماضي «اذ» في صدر الآية حكاية عن امر سابق !

وفي المصحف الاميرى وتاريخ الزنجاني : استثناء الايات : ٣١ الى ٣٦ . نظراً لانها نزلت بشأن مشركى قريش . لكنها كالاية المذكورة حكاية لامر سابق ، ولادليل على نزولها حينذاك . وقوله : «وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» ايضاً حكاية عن ماضى واخبار عن حال ، اى لم يعذبهم الله فيما قبل ، بسبب وجودك بين اظهرهم . ولا يعذبهم الان - بعد خروجك - لوجود جماعة من المؤمنين لم يستطيعوا الخروج وهم على عزم الهجرة ، فرفع الله العذاب عن مشركى مكة لحركة استغفار هؤلاء المؤمنين الباقين بين اظهرهم (٢) .

هذا .. ونقل جلال الدين عن قتادة انه قال : نزلت الآية «واذ يمكر بك الذين كفروا ...» بمكة . ثم قال : ويرده ماصح عن ابن عباس ان هذه الآية بعينها نزلت بالمدينة (٣) وقد اخرجه فى اسباب النزول عن ابن عباس : ان الآية نزلت بعد

١- مجمع البيان ج ٢ ص ٥٣٧

٢- مجمع البيان ج ٢ ص ٥٣٩

٣- الاتفاق ج ١ ص ١٥



واستثنى ايضاً - قوله : « يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »
الاية رقم : ٦٤ . وصحح هذا الاستثناء ابن العربي وغيره (٢) . وذلك لما اخرج
ابو محمد من طريق طارق عن عمر بن الخطاب ، قال : اسلمت رابع اربعين فنزلت
« يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » . وهكذا روى عن ابن عباس (٣) .
لكن يعارضه ماروى عن الكلبي ، قال : نزلت هذه الاية بالبيداء في غزوة
بدر (٤) وقال الواقدي : نزلت بالمدينة في بني قريضة وبني النضير (٥) .

هذا .. وسياق الاية يشهد بمدنيتهما ، نزلت في ابان تشريع القتال ، سواء أمع
المشركين ام مع اهل الكتاب . فالاية يسبقها قوله تعالى : «الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم . . . » . «فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم...» . «ولا يحسن الذين كفروا
سبقوا انهم لا يعجزون» . «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . . . » .
« وان جنحوا للسلم فاجنح لها . . . » . « وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله
هو الذي ايدك بنصره...» .

«يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك...» .

«يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال...» .

انظر الى هذا السياق المنسجم بعضه مع بعض انسجاماً يجعلنا على ثقة من وحدة
متراصة نزلت جملة واحدة .

١- لباب النقول بهامش الجلالين ج ١ ص ١٧٠

٢- الاتفاق ج ١ ص ١٥

٣- الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٠

٤- مجمع البيان ج ٤ ص ٥٥٧

٥- تبيان الطوسي ج ٥ ص ١٥٢

وايضاً : لامعنى لكفاية اربعين رجلا اسلموا بمكة وهم على ضعف ماداموا فيها . الامر الذى يؤكد من نزول الاية بالمدينة حيث جعلت تزداد شوكة المؤمنين وتقوى جانبهم مع الايام والساعات ، فكانت فيهم الكفاية والكفاءة .

وهكذا فسرهما ابو جعفر الطبرى ، قال : يقول لهم جل ثناؤه : ناهضوا عدوكم فان الله كافيكم امرهم ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم فان الله مؤيدكم بنصره . وذكر لهذا المعنى روايات ، ولم يتعرض لشيء من روايات نزولها بشأن اسلام عمر بن الخطاب (١) .

٢- سورة براءة : مدنية

استثنى منها اربع آيات :

الاولى والثانية : قوله تعالى : «ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى ... الى قوله : ان ابراهيم لاواه حليم» رقم : ١١٣ و ١١٤ . قالوا : نزلت بشأن ابى طالب عند ما حضرته الوفاة ، دخل عليه النبي ﷺ وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابى امية . فقال النبي ﷺ : اى عم . قل : لا اله الا الله ، أحاج لك بها عند الله . فقال القرشيان : يا ابا طالب ، اترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ ! فكانا كلما عرض عليه النبي ﷺ كلمة الشهادة اعادا كلامهما . فكان آخر كلام ابى طالب : انه على ملة عبد المطلب ، وابى ان يقول : لا اله الا الله . فقال النبي ﷺ : عند ذلك : لاستغفرن لك ما لم انه عنك . فنزلت الاية ... كما ونزلت : انك لا نهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء» (٢) .

وقالوا - ايضاً - : انها نزلت بشأن والدى رسول الله ﷺ اراد ان يستغفر لابييه ، وهكذا استجاز ربه فى زيارة قبر امه فجازاه ، فبداله ان يستغفر لها فنزلت الاية

١- جامع البيان ج ١٠ ص ٢٦

٢- اللد المنشور ج ٣ ص ٢٨٢

تنهاه ! فمارأى رسول الله ﷺ أكثر باكباً من يومه ذاك (١) .

اقول : قاتل الله العصبية الجاهلية : انها نزع اموية ممقوتة عمدت الى الحط من كرامة بنى هاشم والى تشويه جانب اقرباء النبي ﷺ لتجعل من ابيه وامه مشركين ، ويموت ابوطالب كافراً ، وهو المحامى الاول والمدافع الوحيد فى وقته عن رسول الله ﷺ . وقد قال تعالى : «والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا» (٢) ولاشك ان اباطالب كان اول من آواه ونصره ووقف دونه بنفسه ونفيسه . والاية الكريمة شهادة عامة تشمله قطعياً (٣) .

ويكفى دليلا على ايمانه الصادق ، قوله فى قصيدته التى يحمى بها عن رسول الله ﷺ مهرداً قريش اجمع ، قال فيها :

لقد علموا ان ابننا لا مكذب	لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فاصبح فينا احمد فى أرومة	تقصر عنه سورة المنطاول
حدبت بنفسى دونه وحميته	ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
فأيده رب العباد بنصره	واظهر ديناً حقه غير باطل (٤)

هذا .. واما نحن الامامية فان اصول معتقداتنا تقضى بلزوم طهارة آباء النبي ﷺ والائمة عليهم السلام - وامهاتهم . لم يتلوثوا بدنت شرك قط ، فلم يزالوا ينحدرون من صلب شامخ الى رحم طاهر . كما جاء فى الزيارة السابعة للامام ابى عبد الله الحسين عليه السلام : «أشهد انك كنت نوراً فى الاصلاص الشامخة والارحام المطهرة ، لم تنجسك الجاهلية بانجاسها ولم تلبسك من مدلهفات ثيابها» .

وفى حديث ابن عباس عن النبي ﷺ : لم يزل الله ينقلنى من الاصلاص الطيبة

١- جامع البيان ج ١١ ص ٣١

٢- سورة الانفال : ٧٥

٣- راجع : حق اليقين للسيد عبد الله شبر ج ١ ص ١٠٠

٤- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٩٩

الى الارحام الطاهرة مصفى مهذباً... (١)

والى هذا المعنى جاء تأويل قوله تعالى : « وتقلبك فى الساجدين » (٢) اى لم نزل تنتقل من صلب مؤمن موحد الى صلب مؤمن موحد . قال مجاهد : من نبي الى نبي حتى اخرجت نبياً (٣) . قال العلامة الطبرسى : وقيل : معناه : وتقلبك فى اصلاب الموحدين من نبي الى نبي حتى اخرجك نبياً . عن ابن عباس فى رواية عطا وعكرمة . وهو المروى عن ابى جعفر الامام محمد بن على الباقر ، وابى عبد الله الامام جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام قالوا : فى اصلاب النبيين نبي بعد نبي حتى اخرجته من صلب ابيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام (٤) .

* * *

والصحيح فى سبب نزول الاية : ما ذكره ابو على الطبرسى : ان المسلمين جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطلبون اليه الاستغفار لموتاهم الذين مضوا على الكفر والنفاق ، قالوا : ألا تستغفر لابائنا الذين ماتوا فى الجاهلية ، فنزلت الاية (٥) .

ومما يدلنا على صحة هذه الرواية وبطلان الرواية الاولى : ان الاية الكريمة جاءت بلفظ « ما كان للنبي والذين آمنوا . . . » فلو صحت تلك الرواية لما كان هناك سبب معقول لارداف غيره صلى الله عليه وآله وسلم من المؤمنين معه فى هذا الانكار الصارم .

واخيراً فان هذه الاية والاية رقم : ٨٠ والاية رقم : ٨٤ نزلن جميعاً على نمط واحد ، والسبب شئ واحد : هو ما كان المؤمنون على رجاء ان يترحم على آبائهم وامهاتهم واقربائهم الذين ماتوا على الكفر ، ملتجئين الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يساعدهم على

١- الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٤

٢- سورة الشعراء: ٢١٩

٣- الدر المنثور ج ٥ ص ٩٨

٤- مجمع البيان ج ٧ ص ٢٠٧

٥- مجمع البيان ج ٥ ص ٧٤

هذه الامنية ، فنزلت الاية لتقطع أملهم في ذلك اذا كانوا علموا من آبائهم البقاء على
الشرك حتى الموت : «ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» (١) .
ولتوضيح اكثر راجع تفسير اليتين (٢) .

* * *

الثالثة والرابعة : قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز-ز عليه
ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » : ١٢٨ و ١٢٩ . وهما آخر سورة براءة .
قال ابن الغرس انهما مكيتان .

قال جلال الدين : وهذا غريب ، كيف وقدورد انهما آخر منازل (٣) .
قلت : لم يثبت نزول اليتين بمكة ، ولا ذكر قائله دليلا او سنداً لذلك . فثبت
الاية في سورة مدنية - ولاسيما هي آخر السور المدنية - هو بذاته دليل على نزولها
بالمدينة ، حيث الاصل الاولى في الايات هو الثبوت الطبيعي تباعاً حسب النزول .
مضافاً الى ماورد في سبب نزولهما : جاءت جهينة تسأل رسول الله ﷺ - اول قدومه
المدينة - عهداً يأتمنون اليه ، فنزلت اليتان (٤) . كما روى انهما آخر الايات
القرآنية نزولاً بالمدينة (٥) .

١- سورة النساء : ٤٨ و ١١٦

٢- تفسير الطبري ج ١٠ ص ١٣٧ و ص ١٤١ . والمجمع ج ٥ ص ٥٤ و ص ٥٦ . والدر
المنثور ج ٣ ص ٦٤ و ص ٦٦ .

٣- الانقان ج ١ ص ١٥ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٦

٤- الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٧

٥- نفس المصدر . والمجمع ج ٥ ص ٨٦

٥- سورة الرعد : مدنية

اخرج ابو الشيخ عن قتادة ، قال : سورة الرعد مدنية الاقوله تعالى : «ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله...»
الاية رقم : ٣١ (١) .

لكن الاية تشنيع بموقف المشركين المتأرجح وارعاب لهم ، كما هي تبشير بفتح للمسلمين قريب ، فهي لان تكون من تنمة آيات سابقة نزلت في صلح الحديبية (٢)
ارجح . وعن عكرمة : انها نزلت بالمدينة في سرايا رسول الله ﷺ والقارعة هي السرية كانت تدوخهم . والوعد هو الفتح (٣) .

٦- سورة الحج : مدنية

استثنى منها قوله : «هذان خصمان اختصموا...» الاية رقم : ١٩ .
قال جلال الدين : الى تمام الايات الثلاث فانهم نزلن بالمدينة (٤) .
قلت : وعلى ذلك فينبغي الانتهاء الى الاية رقم : ٢٢ : بل الى الاية رقم : ٢٤ .
ست آيات ، نظراً للانسجام الوثيق بينهم بما لا يمكن التفكيك .

لكن لاسند لهذا الاستثناء ، ومن ثم فالقول به غريب . مضافاً الى ما ورد متواتراً
أنها نزلت بشأن ثلاثة من المؤمنين هم : حمزة بن عبدالمطلب وعبيدة بن الحارث
وعلى بن ابي طالب ، تبارزوا ثلاثة من الكفار هم : عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن
عتبة . قال علي ؓ : انا اول من يجثو في الخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم

١- الاتفاق ج ١ ص ١٥

٢- راجع : مجمع البيان ج ٦ ص ٢٩٢

٣- جامع البيان ج ١٣ ص ١٠٥

٤- الاتفاق ج ١ ص ٩

القيامة (١) . فالآية نزلت متأخرة عن وقعة بدر ، او نزلت ببدر (٢) .

* * *

واستثنى - ايضاً - قوله : «وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى
لقى الشيطان فى امنيته . . . الى قوله : عذاب يوم عقيم » الايات الاربع رقم : ٥٢
الى ٥٥ .

اخرج ابن المنذر عن قتادة : انهن مكيات (٣) . قالوا : نزلن بمكة بشأن قصة
الغرائيق (٤) .

وقد زيفنا حديث الغرائيق ، وانه حديث مفتعل ، وضعته الزنادقة للتشويه على
سمعة القرآن ورسالة محمد ﷺ (٥) .

والآية اشارة الى البدع التى تنتاب شرايع الانبياء على ايدى المحرفين ، لكنه
تعالى يحفظ دينه على ايدى علماء ربانيين فى كل عصر ، ينفون بدع المبطلين كما
فى الحديث الشريف (٦) . وتلك البدع هى فتنة للذين فى قلوبهم مرض .

وفى المصحف الاميرى وتاريخ الزنجاني : ان الايات نزلن بين مكة والمدينة !
ولم يعرف لهذا القيد سبب معقول او منقول !

٧- سورة محمد ﷺ : مدنية

استثنى منها قوله : «وكأين من قرية هى اشد قوة من قبرك التى اخرجتك

١- صحيح البخارى ج ٦ ص ١٢٣ و ١٢٤ - وصحيح مسلم ج ٨ ص ٢٤٦

٢- الدر المنثور ج ٤ ص ٣٤٨ - ٣٤٩ . والطبرى ج ١٧ ص ٩٩

٣- الدر المنثور ج ٤ ص ٣٤٢ . وراجع : البرهان ج ١ ص ٢٠٢

٤- مجمع البيان ج ٧ ص ٩٠ . والطبرى ج ١٧ ص ١٣١ . والدر المنثور ج ٤ ص ٣٦٦

٥- تقدم فى صفحة : ٥٩

٦- سفينة البحار ج ١ ص ٥٥

اهلكناهم فلاناصر لهم» الاية رقم : ١٣ .

قال السخاوى فى جمال القراء : قيل ان النبى ﷺ لما توجه مهاجراً الى

المدينة وقف فنظر الى مكة وبكى ، فنزلت تسليية لخطره الشريف (١) .

لكن الاية فى سياقها منسجمة مع آيات قبلها وبعدها انسجماً وكيداً ، بحيث

لا يدع مجالاً للقول بالتفكيك ، فاما ان الجميع مكية او الجميع مدنية .

وبما ان السورة تقريرع عنيف بالمشركين واثارة عامة بالمؤمنين ، تمهيداً للتشريع

القتال ، فهى مدنية نزلت بهذا اللحن اللاذع ، وجعلت تعدد مساوى ارتكبتها قريش ،

وتهددها بقتل ذريع وفشل فضيع ازاء معاندتهم مع الحق . والاية المذكورة ايضاً على

نفس النمط ، لم تخرج على قريئاتها .

٨- سورة الرحمان : مدنية

استثنى منها قوله : «يسأله من فى السماوات والارض ...» الاية رقم : ٢٩ (٢) .

ولم يعرف سبب هذا الاستثناء الغريب !

٩- سورة المجادلة : مدنية

استثنى منها قوله : «ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم . . .» الاية رقم :

٧ (٣) .

ولم يعرف السبب ايضاً .

١٠- سورة التحريم : مدنية

قال قتادة : هى الى رأس العشرة مدنية ، والباقي مكي (٤)

١- الاتقان ج ١ ص ٢٠ . والدر المنثور ج ٦ ص ٤٨

٢- الاتقان ج ١ ص ١٧

٣-٤- نفس المصدر

ويرده : ان اليتين الاخيرتين هما من تمة المثل الذى ضربه الله ، نصحاء لزوجات
الرسول ﷺ وقد تناولن عليه . فلو فصلناهما عن سائر آيات السورة لما بقى لهما
موقع بديع .

١١ - سورة الانسان : مدنية

استثنى منها قوله : « فاصبر لحكم ربك ... » الاية رقم : ٢٤

قالوا : نزلت فى ابى جهل (١) .

لكن الاية تفريع على آيات سبقت فلا يعقل انفكاكها عنها ، على أن الامر بالصبر
تجاه تعسفات المعاندين او الجاهلين ، هى خصيصة الانبياء فى جميع ادوار حياتهم
التي ملؤها الكفاح والجهاد . ومن ثم قيل : الاية عامة فى كل عاص وفاسق وكافر (٢) .

* * *

وهناك سور اخرى قالوا فيها باستثناءات غريبة تركناها ، حيث طال بنا البحث
وفيما ذكرنا كفاية لاثبات ان لا وقع لتلكم الاستثناءات اطلاقاً ، سواء من سور مكية ام مدنية
وكلها مستندة الى حدس او نقل ضعيف لامبرر للاستناد اليها البتة .
وبذلك نطوى سجل هذا البحث ، والحمد لله اولاً وآخرأ .

١ - الدر المنثور ج ٦ ص ٣٠٢

٢ - مجمع البيان ج ١٠ ص ٢١٣

تاریخ القرآن

۲-۱

١ - تأليف القرآن

- * نظم كلماته ضمن الايات
- * تأليف آياته ضمن السور
- * ترتيب سورته بين الدفتين
- * تمحيص الرأى المعارض
- * جمع على بن ابيطالب عليه السلام
- * وصف هذا الجمع
- * جمع زيد بن ثابت
- * منهج زيد فى جمع القرآن
- * شكوك واعتراضات
- * مصاحف اخرى للصحابه
- * وصف مصحف ابن مسعود
- * وصف مصحف ابي بن كعب
- * جدول يقارن بين مصاحف السلف

تأليف القرآن في شكله الحاضر، في نظم آياته وترتيب سورته ، وكذلك في تشكيله وتنقيطه وتفصيله الى اجزاء ومقاطع ، لم يكن وليد عامل واحد، ولم يكتمل في فترة الوحى الاولى ، فقد مرت عليه ادوار واطوار ، ابتدأت بالعهد الرسالى ، وانتهت بدور توحيد المصاحف على عهد عثمان ، ثم الى عهد الخليل بن احمد النحوى الذى اكمل تشكيله بالوضع الموجود .

وهو بحث أشبه بمعالجة قضية تاريخية مذيّلة ، عن احوال واطوار مرت على هذا الكتاب السماوى الخالد . غير ان مهمتنا الان هى العناية بدراسة القرآن من زاوية جمعه وتأليفه مصحفاً بين دفتين ، والبحث عن الفترة التى حصل فيها هذا الجمع والتأليف ، وعن العوامل التى لعبت هذا الدور الخطير . ومن ثم سنفصل الكلام عن القرآن فى عهده الاول الذى لم يتجاوز نصف قرن ، ثم نوجز الكلام فى احوال مرت عليه فى ادوار متأخرة . والبحث الحاضر يكتمل فى ثلاث مراحل اساسية :

اولا : نظم كلمات القرآن بصورة جمل وتراكيب كلامية ضمن الايات .

ثانياً : تأليف الايات ضمن السور قصيرة ام طويلة .

ثالثاً : ترتيب السور بين دفتين على صورة مصحف كامل .

ونحن اذن نسير على هذا المنهج لانتغافل صعوبة المسلك الذى نسلكه بهذا الصدد

انه بحث ذوجوانب خطيرة عن كتاب سماوى احتفظ على أصالته فى ذمة الخلود ،
وكفل سعادة عليا للبشرية كافة اذا ما سارت على ضوء برامجه الحكيمة وتمسكت بعرى حبله
الوثيق . ومن ثم فان الزلة فى سبيل الوصول الى حقائقه ومعارفه خطيرة ، ومخطرة فى
نفس الوقت . ونسأله تعالى ان يمدنا بتوفيقه ويهدينا الى طريق الحق والصواب ،
انه قريب مجيب .

نظم كلماته :

لاشك ان العامل فى نظم كلمات القرآن وصياغتها جملا وتراكيب كلامية بديعة ، هو الوحي السماوى المعجز ، لم يتدخل فيه اى يد بشرية اطلاقاً . كما ولم يحدث فى هذا النظم الكلمى اى تغيير او تحريف عبر العصور : «اننا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» (١) اذفى ذلك يتجسد سر ذلك الاعجاز الخالد ، الذى لا يزال يتحدى به القرآن الكريم . ولمزيد التوضيح نعرض مايلى :

اولا : اسناد الكلام الى متكلم خاص يستدعى ان يكون هو العامل فى تنظيم كلماته وتنسيق اسلوبه التعبيرى الخاص . اما اذا كان هو منتقيا كلمات مفردة وجاء آخر فنظمها فى اسلوب كلامى خاص ، فان هذا الكلام ينسب الى الثانى لا الاول . وهكذا القرآن المجيد هو كلام الله العزيز الحميد ، فلا بد ان يكون الوحي هو العامل الوحيد فى تنظيم كلماته جملا وتراكيب كلامية بديعة ، اما نفس الكلمات من غير اعتبار التركيب والتأليف فكان العرب يتداولونها ليل نهار ، انما الاعجاز فى نظمها جاء من قبل وحي السماء .

ثانياً : كان القسط الاوفر من اعجاز القرآن كامناً وراء هذا النظم البديع

وفى اسلوبه هذا التعبيرى الرائع ، من تناسب نغمى مرن ، وتناسق شعرى عجيب ، وقد تحدى القرآن فصحاء العرب وارباب البيان - بصورة عامة - لويأتوا بمثل هذا القرآن ، ولا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (١) فلو جوزنا - محالا - امكان تدخل يد بشرية فى نظم القرآن ، كان بمعنى ابطال ذاك التحدى الصارخ . ومن ثم كان ماينسب الى ابن مسعود : جواز تبديل العهن بالصوف فى الاية الكريمة (٢) او قراءة ابى بكر : «وجاءت سكرة الحق بالموت» (٣) مكذوباً او هو اعتبار شخصى لا يتسم بالقرآنية فى شىء .

ثالثاً : اتفاق كلمة الامة فى جميع ادوار التاريخ على ان النظم الموجود والاسلوب القائم فى جمل وتراكيب الايات الكريمة هو من صنع الوحي السماوى لاغيره . الامر الذى التزم به جميع الطوائف الاسلامية :على مختلف نزعاتهم وآرائهم فى سائر المواضيع . ومن ثم لم يتردد أحد من علماء الادب والبيان فى آية قرآنية جاءت مخالفة لقواعد رسموها ، فى اخذ الاية حجة قاطعة على تلك القاعدة وتأويلها الى مايلتئم وتركيب الاية . وذلك علماً منهم بان النظم الموجود فى الاية وحي لايتسرب اليه خطأ البتة ، وانما الخطاء فى فهمهم هم وفيما استنبطوه من قواعد مرسومة . مثال ذلك قوله تعالى : «وما ارسلناك الا كافة للناس» (٤) فزعموا ان الحال لا تتقدم على صاحبها المجرور بحرف ، والاية جاءت مخالفة لهذه القاعدة . ومن ثم وقع بينهم جدل عريض ودار بينهم كلام فى صحة تلك القاعدة وسقمها (٥) ولجأ ابن مالك اخيراً الى نبذ القاعدة بحجة انها مخالفة للآية ، قال :

وسبق حال ما بحرف جر قد ابوا ولا امنعه فقدورد .

١- سورة الاسراء : ٨٨

٢- سورة القارة : ٥ . راجع ت ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ص ١٩

٣- سورة ق : ١٩ . راجع : الطبرى التفسير ج ٢٦ ص ١٠٠

٤- سورة سبأ : ٢٨

٥- راجع : خالد الازهرى فى شرح التوضيح . والكشاف للزمخشري

تأليف الايات :

واما تأليف الايات ضمن كل سورة ، على الترتيب الموجود ، فهذا قد تحقق فى الاكثر .. وفق ترتيب نزولها : كانت السورة تبدأ بسم الله الرحمن الرحيم فتسجل الايات التى تنزل بعدها من نفس هذه السورة ، واحدة تلو اخرى تدريجياً حسب النزول ، حتى تنزل بسملة اخرى ، فيعرف ان السورة قد انتهت وابتدأت سورة اخرى .

قال الامام الصادق عليه السلام : « كان يعرف انقضاء سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداء لآخرى » (١) .

قال ابن عباس : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرف فصل سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ، فيعرف ان السورة قد ختمت وابتدأت سورة اخرى » (٢) .

كان كتبة الوحى يعرفون بوجوب تسجيل الايات ضمن السورة التى نزلت بسملتها ، حسب ترتيب نزولها واحدة تلو اخرى كما تنزل ، من غير حاجة الى تصريح خاص بشأن كل آية آية .

هكذا ترتبت آيات السور وفق ترتيب نزولها ، على عهد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وهذا ما نسميه « الترتيب الطبيعى » وهو العامل الاول الاساسى للترتيب الموجود بين الايات فى الاكثرية الغالبة .

والمعروف ان مصحف على عليه السلام وضع على دقة كاملة من هذا الترتيب الطبيعى للنزول . الامر الذى تخلفت عنه مصاحف سائر الصحابة ، على ما سنشير .

١- تفسير العياشى ج ١ ص ١٩

٢- المستدرک - الحاكم - كتاب الصلاة ج ١ ص ٢٣١ وتاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٢٧

ط الحيدرى .

وهناك عامل آخر عمل في نظم قسم من الايات على خلاف ترتيب نزولها ، وذلك بنص من رسول الله ﷺ وتعيينه الخاص : كان يأمر - أحياناً - بثبت آية في موضع خاص من سورة سابقة كانت قد ختمت من قبل . ولاشك انه ﷺ كان يرى المناسبة القريبة بين هذه الاية النازلة والايات التي سبق نزولها ، فيأمر بثبتها معها باذن الله تعالى .

وهذا جانب استثنائي للخروج عن ترتيب النزول ، كان بحاجة الى تصريح خاص : روى احمد في مسنده عن عثمان بن ابي العاص قال : كنت جالساً عند رسول الله ﷺ اذ شخص ببصره ، ثم صوبه . ثم قال : اتاني جبرئيل فامرني ان اضع هذه الاية هذا الموضع من هذه السورة «ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى...» فجعلت في سورة النحل بين آيات الاستشهاد وآيات العهد . وروى أن آخر آية نزلت قوله تعالى : « واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله » فاشار جبرئيل أن توضع بين آيتي الربا والدين من سورة البقرة (١) . وعن ابن عباس والسدي : انها آخر ما نزلت من القرآن . قال جبرئيل : وضعها في رأس الثمانين والمائتين (٢) وعن ابن عباس ايضاً : قال : كان رسول الله ﷺ يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان اذ انزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هذه الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا (٣) .

هذا مما لا خلاف فيه - كما صرح بذلك ابو جعفر بن الزبير (٤) .

١- الاتقان في علوم القرآن - السيوطي ج ١ ص ٦٢

٢- مجمع البيان - الطبرسي ج ٢ ص ٣٩٤

٣- اخرجه الترمذي بطريق حسن والحاكم بطريق صحيح - راجع البرهان - الزركشي

ج ١ ص ٢٤١ وراجع يعقوبى : التاريخ ج ٢ ص ٣٦ ط الحيدري

٤- الاتقان - السيوطي ج ١ ص ٦٠

هذا .. وقد نجد تغييراً موضعياً في آية أو آيات على خلاف ترتيبها الطبيعي ، في حين عدم نص خاص بشأن هذا التغيير . وربما كانت الآية نزلت فكتبها كاتب ، ثم نزلت اخرى فكتبها كاتب آخر في غيبة الاول ، فسجلها قبل الاولى من غير ان يعلم بماسجله ذاك ، فعند الجمع الاخير في حياة الرسول ﷺ اوبعد وفاته حصل ذلك التغيير الموضعي لعدة قليلة من الايات .

وهذا احتمال نحتمله بشأن هكذا آيات خرجت عن الترتيب الطبيعي ولم نجد عليها نصاً خاصاً . وهذا الاحتمال بنفسه كاف في عدم امكان الاستدلال - لفحوى آية - بسياقها الخاص ، اللهم الا اذا كانت المناسبة واضحة او علمنا بها من خارج .

* من ذلك ما نلحظه في سورة الممتحنة : تبتدئ هذه السورة بآيات (١ - ٩) نزلت في العام الثامن بعد الهجرة ، بشأن حاطب بن ابي بلتعة ، كان قد كاتب قريشاً يخبرهم بتأهب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لغزو مكة ، وكان النبي يحاول الاخفاء .

وتعقب هذه الايات آيتان نزلتا بشأن سبيعة الاسلمية عام الست من الهجرة ، كانت قد اتت النبي ﷺ مسلمة مهاجرة ، تاركة زوجها الكافر ، فجاء في طلبها ، فاستعصمت بالنبي ﷺ . وصادف مجيؤه صلح الحديبية ، كان النبي ﷺ عاهد قريشاً ان يرد عليهم كل من يأتيه من مكة . فاخذ الزوج في محاججة النبي ﷺ قائلاً : اردد على امرأتى على ما شرطت لنا وهذه طينة الكتاب لم تجف ، فتخرج النبي ﷺ في امرها ، فنزلت الايتان .

وبعد هاتين الايتين آيات نزلت بشأن مبايعة النساء عام الفتح وهي سنة التسع من الهجرة !

واما الآية الاخيرة من السورة فانها ترتبط مع آيات الصدر تماماً . ومن ثم قالوا : ان دراسة هذه السورة تعطينا خروجاً على النظم الطبيعي للآيات ، من غير ماسب

* ومن ذلك أيضاً مانجده في سورة البقرة فيما يخص آيات الامتاع والاعتداد، كان التشريع الاول في المرأة المتوفى عنها زوجها ان تعتد حولا كاملا ولا تخرج من بيت زوجها وكان ميراثها هو الاتفاق عليها ذلك الحول فقط ، والاية التي نزلت بهذا الشأن هي قوله تعالى : والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً وصية لازواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج» الاية رقم : ٢٤٠ . ثم نسخ هذا التشريع بآية الاعتداد : اربعة اشهر وعشراً برقم : ٢٣٤ من نفس السورة . وبآية المواريث برقم : ١٢ من سورة النساء .

قال الامام الصادق عليه السلام : نسختها - اي آية الامتاع - آية يترصن بانفسهن اربعة اشهر وعشراً . ونسختها آية المواريث» (٢) هذا وطبيعة النسخ تستدعي تأخير الناسخ عن المنسوخ ، في حين تقدمه عليه بست آيات !

* وكذلك قوله تعالى : واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله... البقرة ٢٨١ ، قيل : انها آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ ولم يعش بعدها سوى بضعة ايام او بضعة اسابيع . والاية مثبتة في سورة البقرة في حين انها اول سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة ، ونزلت بعدها نيف وعشرون سورة . وروى ان جبرئيل عليه السلام هـ والذي اشار على النبي ﷺ بان يضعها موضعها من البقرة . وقد تقدم ذلك .

* وآية الاكمال : اليوم يشس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوا هم واخشون . اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً... المائدة : ٣ - قال ابن عباس : لم ينزل بعدها فريضة . وكذا قال السدي والجبائي ، والبلخي (٣) .

١- بحار الانوار : العلامة المجلسي ج ٩٢ ص ٦٧

٢- البرهان - البحراني ج ٢ ص ٢٣٢ . مستدرك الوسائل - النوري ج ٣ ص ٢٠

٣- الدر المنثور - جلال الدين السيوطي ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٩ . مجمع البيان

- الطبرسي ج ٣ ص ١٥٩

وروى عن الامامين الصادقين عليهما السلام ايضاً (١) .

قال ابن عساكر والخطيب : انها نزلت في غدير خم عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع بعد ما نصب علياً عليه السلام بالولاية . فنزل بها جبرئيل عليه السلام . وفي عبارة السدي : لم ينزل بعدها حلال ولا حرام (٢) .

هذا وهي مثبتة في سورة المائدة برقم ٣ . وآيات الاحكام بعدها كثيرة : كآية تحليل الطيبات والصيد برقم ٤ . وآية طعام اهل الكتاب برقم ٥ . وآية الوضوء برقم ٦ . وآية السارق برقم ٣٨ . وآية الايمان برقم ٨٩ وآية الخمر برقم ٩٠ . وآية تحريم المصيد برقم ٩٥ . وآية تحريم ما حله المشركون برقم ١٠٣ . وآية الاشهاد على اوصية برقم ١٠٧ . كل ذلك احكام تشريعية سجلت بعد آية الاكمال في حين انها نزلت قبلها قطعاً .

ثم ما هي المناسبة لاقحام مثل هذه الاية ضمن آيات تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ؟ وفي ذلك كلام طويل .

* ونزلت « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما - البقرة : ١٥٨ » عندما تخرج المسلمون من السعى بين الصفا والمروة ، ظناً منهم ان السعى بينهما شيء صنعه المشركون ، تكريماً لموضع « أساف » و « نائلة » على هذين الجبلين (٣) . فنزلت هذه الاية دفعاً لهذا التوهم الخاطيء فيستدعي ان يكون نزولها بعد عام صلح الحديبية حيث تمكن المسلمون من اقامة فريضة الحج ، هذا مع العلم بان سورة البقرة هي اول سورة نزلت بالمدينة فلا بد ان نزلت بعدها سور وآيات ، فتقدم موضع ثبوتها عن وقت نزولها .

١- مجمع البيان - الطبرسي ج ٣ ص ١٥٩

٢- الدر المنثور - السيوطي ج ٢ ص ٢٥٩

٣- الطبري - التفسير ج ٢ ص ١٢٣

وهكذا آيات الحج نزلت عام الست فثبتت في سورة البقرة .
وينتج هذا البحث فيما يأتى - على الاجمال - . عدم امكان الاستناد في تفسير
آية اوفهم فحواها ، الى موقعيتها الخاصة من آيات سابقة او لاحقة ، الا بعد التاكيد
القطعى من اصالة الترتيب الموجود بينها وبين قريناتها في جملة من آيات نزلت
دفعة واحدة .

٣- ترتيب السور :

واما جمع السور وترتيبها بصورة مصحف مؤلف بين دفتين ، فهذا قد حصل بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : انقضى العهد النبوي والقرآن منشور على العصب واللخاف (١) والرقاع وقطع الاديم وعظام الاكتاف والاضلاع وبعض الحرير والقراطيس وفي صدور الرجال .

كانت السور مكتملة على عهده صلى الله عليه وآله وسلم مرتبة آياتها وأسمائها ، غير ان جمعها بين دفتين لم يكن حصل بعد . نظر الترقب نزول قرآن على عهده صلى الله عليه وآله وسلم فمادام لم ينقطع الوحي لم يصح تأليف السور مصحفاً ، الا بعد الاكتمال وانقطاع الوحي ، الامر الذي لم يكن يتحقق الا بانقضاء عهد النبوة واكتمال الوحي .

قال جلال الدين السيوطي : كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور» (٢) . وقال الامام الصادق عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : يا علي ! القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير

١- العصب : جريدة النخل اذا كشط خوصها . واللخف : حجارة بيض رقاق . والاديم :

الجلد المدبوغ .

٢- الاتقان - السيوطي ج ١ ص ٥٧ . مناهل العرفان - الزرقاني ج ١ ص ٢٢٠

والقراطيس ، فخذوه واجمعوه ولا تضعوه» (١) .

واول من قام بجمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة ، وبوصية منه ﷺ هو الامام على بن ابي طالب - صلوات الله عليه - ثم قام بجمعه زيد بن ثابت بأمر من ابي بكر . كما قام بجمعه كل من ابن مسعود وابي بن كعب وابي موسى الاشعري وغيرهم ، حتى انتهى الامر الى دور عثمان ، فقام بتوحيد المصاحف وارسال نسخ موحدة الى اطراف البلاد ، وحمل الناس على قرائتها وترك ماسواها . على ما سذكر .

كان جمع على ﷺ وفق ترتيب النزول : المكي مقدم على المدني . والمنسوخ مقدم على الناسخ . مع الاشارة الى مواقع نزولها ومناسبات النزول . قال الكلبي : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قعد على بن ابي طالب ﷺ في بيته فجمعه على ترتيب نزوله . ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير » (٢) وقال عكرمة : لو اجتمعت الانس والجن على ان يآلفوه كتأليف على بن ابي طالب عليه السلام ما استطاعوا » (٣) .

واما جمع غيره من الصحابة فكان على ترتيب آخر : قدموا السور الطوال على القصار ، فقد اثبتوا السبع الطوال (البقرة ، آل عمران ، النساء : المائدة ، الانعام ، الاعراف ، الانفال) قبل المثني (براءة ، النحل ، هود ، يوسف ، الكهف ، الاسراء ، الانبياء ، طه ، المؤمنون ، الشعراء ، الصافات) ثم المثاني (هي التي تقل آياتها عن مئة وهي عشرون سورة تقريباً) ثم الحواميم (السور التي افتتحت بحم) ثم المفصلات (ذوات الايات القصار) لكثرة فواصلها . وهي السور الاخيرة

١- بحار الانوار - المجلسي ج ٩٢ ص ٤٨ عن تفسير على بن ابراهيم .

٢- التسهيل لعلوم التنزيل ج ١ ص ٤

٣- الاتقان - السيوطي ج ١ ص ٥٧

فى القرآن .

وهذا يقرب نوعاما من الترتيب الموجود الان - على ماسياتى .

نعم لم يكن جمع زيد مرتبا ولا منتظما كمصحف ، وانما كان الاهتمام فى ذلك الوقت على جمع القرآن عن الضياع ، وضبط آياته وسوره حذراً عن التلف بموت حامله ، فدونت فى صحف وجعلت فى اصابة ، واودعت عند ابى بكر مدة حياته ، ثم عند عمر بن الخطاب حتى توفاه الله ، فصارت عند ابنته حفصة ، وهى النسخة التى اخذها عثمان لمقابلة المصحف عليها ، ثم ردها عليها ، وكانت عندها الى ان ماتت ، فاستلبها مروان من ورثها حينما كان والياً على المدينة من قبل معاوية ، فامر بها فشقت .

وسنذكر كل ذلك بتفصيل .

تمحيص الرأى المعارض :

ما قدمناه هو المعروف عن رواة الآثار ، وعند الباحثين عن شؤون القرآن ، منذ المصدر الاول فالى يومنا هذا . ويوشك ان يتفق عليه كلمة ارباب السير والتواريخ ولكن مع ذلك نجد من ينكر ذاك التفصيل فى جمع القرآن ، ويرى ان القرآن بنظمه القائم وترتيبه الحاضر كان قد حصل فى حياة الرسول ﷺ .

وقد ذهب الى هذا الرأى جماعة من علماء السلف كالقاضى وابن الانبارى والكرمانى والطيبى (١) ، ووافقهم علم الهدى السيد المرتضى - قدس سره - قال : كان القرآن على عهده ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الان . واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عين جماعة من الصحابة فى حفظهم له ، وانه كان يعرض على النبى صلى الله عليه وآله وسلم

ويتلى عليه .

وان جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات . وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على انه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث» (١) .

لكن حفظ القرآن هو معنى : حفظ جميع سورة التي اكتملت آياتها ، سواء أكان بين السور ترتيب ام لا . وهكذا ختم القرآن هو بمعنى : قراءة جميع سورة من غير لحاظ ترتيب خاص بينها . والحفظ كان بمعنى الاحتفاظ على جميع القرآن النازل لحد ذلك والتحفظ عليه دون الضياع والتفرقة ، الامر الذي لا يدل على وجود ترتيب خاص كان بين سورة كما هو الان .

هذا . وقد ذهب الى ترجيح هذا الرأي ايضاً ، سيدنا الاستاذ الامام الخوئي - دام ظله - نظراً الى الامور التالية :

اولاً - احاديث جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ بنفسها متناقضة ، تتضارب مع بعضها البعض ، ففي بعضها تحديد زمن الجمع بعهد أبي بكر . وفي آخر بعهد عمر . وفي ثالث بعهد عثمان . كما ان البعض ينص على ان اول من جمع القرآن هو زيد بن ثابت . وآخر ينص على انه ابو بكر . وفي ثالث انه عمر . الى امثال ذلك من تناقضات ظاهرة .

ثانياً - معارضتها باحاديث دلت على ان القرآن كان قد جمع على عهده ﷺ منها حديث الشعبي ، قال : جمع القرآن على عهده ﷺ ستة ابي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وابو الدرداء وسعد بن عبيد وابوزيد . وفي حديث انس انهم اربعة : ابي ومعاذ وزيد وابوزيد . وامثال ذلك .

ثالثاً - منافاتها مع آيات التحدى ، التي هي دالة على اكتمال سور القرآن وتمايز بعضها عن بعض . ومتنافية ايضاً مع اطلاق لفظ الكتاب على القرآن في لسانه

ﷺ الظاهر في كونه مؤلفاً كتاباً مجموعاً بين دفتين .

رابعاً - مخالفة ذلك مع حكم العقل - وجوب اهتمام النبي ﷺ بجمعه وضبطه عن الضياع والاهمال .

خامساً - مخالفته مع اجماع المسلمين ، حيث يعتبرون النص القرآني متواتراً عن النبي نفسه ﷺ في حين ان بعض هذه الروايات تشير الى اكتفاء الجامعين بعد الرسول ﷺ بشهادة رجلين او رجل واحد !

سادساً - استلزام ذلك تحريفاً فسي نصوص الكتاب العزيز ، حيث طبيعة الجمع المتأخر تستدعي وقوع نقص او زيادة في القرآن . وهذا مخالف لضرورة الدين . (١)

وزاد بعضهم : ان في المناسبة الموجودة بين كل سورة مع سابقتها ولاحقتها لدليلاً على ان نظمها وترتيبها كان بأمر الرسول ﷺ اذ لا يعرف المناسبة بهذا الشكل المبدع البالغ حد الإعجاز غيره ﷺ .

* * *

لكن يجب ان يعلم : ان قضية جمع القرآن حدث من احداث التاريخ ، وليست مسألة عقلانية قابلة للبحث والجدل فيها . وعليه فيجب مراجعة النصوص التاريخية المستندة ، من غير ان يكون مجال لتجوال الفكر فيها على أية حال !

وقد سبق اتفاق كلمة المؤرخين ونصوص ارباب السير واخبار الامم ، ووافقهم اصحاب الحديث طراً ، على ان ترتيب السور شيء حصل بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يكن بالترتيب الذي نزلت عليه السور .

وبعد . . فلانرى اى مناقضة بين روايات جمع القرآن ، اذ لا شك ان عمر هو الذي اشار على ابي بكر بجمع القرآن ، وهذا الاخير امر زيداً ان يتصدى القضية من قبله ، فيصح اسناد الجمع الاول الى كل من الثلاثة بهذا الاعتبار .

١- راجع : البيان في تفسير القرآن - الامام الخوئي - ص ٢٥٧ - ٢٧٨ .

نعم نسبة الجمع الى عثمان كانت باعتبار توحيد المصاحف ونسخها في صورة
موحدة . واما نسبة توحيد المصاحف الى عمر فهو من اشتباه الراوى قطعاً . لان الذى
فعل ذلك هو عثمان باجماع المؤرخين .

وحديث ستة او اربعة جمعوا القرآن على عهده رضي الله عنه فمعناه : الحفظ عن
ظهر القلب ، حفظوا جميع الايات النازلة لحد ذلك الوقت ، اما الدلالة على وجود
نظم كان بين سورة فلا .

واما حديث التحدى فكان بنفس الايات والسور ، وكل آية او سورة
قرآن ، ولم يكن التحدى يوماً ما بالترتيب القائم بين السور ، كى يتوجه الاستدلال
المذكور !

على ان التحدى وقع في سور مكية (١) ايضاً ، ولم يجمع القرآن قبل الهجرة
قطعاً .

واهتمام النبى ﷺ بشأن القرآن ، شىء لا ينكر ، ومن ثم كان حريصاً على
ثبوت الايات ضمن سورها فور نزولها ، وقد حصل النظم بين آيات كل سورة في
حياته ﷺ اما الجمع بين السور وترتيبها كمصحف موحد ، فلم يحصل حينذاك ،
نظراً لتربح نزول قرآن عليه ، فمال ينقطع الوحي لا يصح جمع القرآن بين دفتين
ككتاب . ومن ثم لما ايقن بانقطاع الوحي بوفاة صلى الله عليه وآله ، اوصى الى على
عليه السلام بجمعه .

ومعنى تواتر النص القرآنى : هو القطع بكونه وحياً ، الامر الذى يحصل
من كل مستند وثيق ، وليس التواتر - هنا - بمعناه المصطلح عند الاصوليين .
واما استلزام تأخر الجمع تحريفاً في كتاب الله ، فهو احتمال مجرد لاسندله
بعد معرفتنا بضبط الجامعين وقرب عهدهم بنزول الايات وشدة احتياطهم على الوحي بما
لا يدع مجالاً لتسرب احتمال زيادة او نقصان .

١- فى سورة يونس : ٣٨ . وسورة هود : ١٣ . وهما مكيان .

واخيراً فان قوله البعض الاخيرة ، فهي لاتعدو خيالا فارغاً اذ لا مناسبة ذاتية بين كل سورة وسابقتها او تاليتها ، سوى مازعمه بعض المفسرين المتكلفين ، وهو تمحل باطل بعد اجماع الامة على ان ترتيب السور كان على خلاف ترتيب النزول بلاشك .

اذألا يملك معارضو نادى لايشيناعن الذى عزمتا عليه من تفصيل حديث الجمع ، واليك :

جمع على بن ابيطالب ﷺ

اول من تصدى لجمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة ، وبوصية منه (١) هو على بن ابيطالب ﷺ قعد في بيته مشغلا بجمع القرآن وترتيبه على منازل ، مع شروح وتفسير لمواضع مبهمة من الايات ، وبيان اسباب النزول ومواقع النزول بتفصيل حتى اكمله على هذا النمط البديع .

قال ابن النديم - بسند يذكره - : ان علياً ﷺ رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي ﷺ فأقسم ان لا يضع رداءه حتى يجمع القرآن . فجلس في بيته ثلاثة ايام (٢) حتى جمع القرآن . فهو اول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه (٣) وكان هذا المصحف عند آل جعفر .

قال : ورأيت انا في زماننا عند ابي يعلى حمزة الحسنى - رحمه الله - مصحفا

١- راجع : تفسير القمى ص ٧٤٥ وبحار الانوار ج ٩٢ ص ٢٨ و ص ٥٢

٢ - ولعله سهو من الراوى . لان الصحيح انه - عليه السلام - اكمل جمع القرآن لمدة ستة اشهر ، كان لا يرتدى خلالها الا للصلاة . المناقب ج ٢ ص ٢٠

٣- قال ابن عباس : فجمع الله القرآن في قلب على ، وجمعه على بعدموت رسول الله -ص- ستة اشهر . نفس المصدر.

قد سقط منه اوراق ، بخط علي بن ابيطالب ، يتوارثه بنو حسن (١) .

وهكذا روى احمد بن فارس عن السدى عن عبدخير عن علي عليه السلام (٢).

وروى محمد بن سيرين عن عكرمة ، قال : لما كان بدء خلافة ابي بكر قعد علي ابن ابيطالب في بيته يجمع القرآن . قال : قلت لعكرمة : هل كان تأليف غيره كما انزل الاول فالاول ؟ قال : لو اجتمعت الانس والجن على ان يألفوه هذا التأليف ما استطاعوا .

قال ابن سيرين : تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه الى المدينة فلم اقدر عليه (٣) .

قال ابن جزى الكلبي : كان القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مفرقاً في الصحف وفي صدور الرجال فلما توفي جمعه علي بن ابيطالب على ترتيب نزوله . ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ولكنه لم يوجد (٤) .

قال الامام الباقر - عليه السلام - : ما من احد من الناس يقول انه جمع القرآن كله كما انزل الله الا كذاب . وما جمعه وما حفظه كما انزل الله الا علي بن ابيطالب (٥) .
قال الشيخ المفيد - في المسائل السروية - : وقد جمع امير المؤمنين عليه السلام القرآن المنزل من اوله الى آخره ، وألفه بحسب ماوجب تأليفه ، فقدم المكي على المدني والمنسوخ على الناسخ ، ووضع كل شيء منه في حقه (٦) .

١- الفهرست ص ٤٧ - ٤٨

٢- في كتابه «الصاحبي» ص ١٦٩ . هامش تأويل مشكل القرآن ص ٢٧٥ ط ٢

٣- الاتقان ج ١ ص ٥٧ وراجع : الطبقات ج ٢ ق ٢ ص ١٠١ . والاستيعاب بهامش

الاصابة ج ٢ ص ٢٥٣

٤- التسهيل لعلوم التنزيل ج ١ ص ٢

٥- بحار الانوار ج ٩٢ ص ٨٨

٦- نفس المصدر

وقال العلامة البلاغى : من المعلوم عند الشيعة ان علياً امير المؤمنين بعد وفاة رسول الله ﷺ لم يرتد برداء الصلاة حتى جمع القرآن على ترتيب نزوله وتقدم منسوخه على ناسخه . واخرج ابن سعد وابن عبد البر فى الاستيعاب عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت ان علياً ابطأ عن بيعة ابي بكر ، فقال : أكرهت امارتى ؟ فقال : آليت يمينى ان لا ارتدى برداء الصلاة حتى اجمع القرآن . قال : فزعموا انه كتبه على تنزيله . قال محمد : فلو اصبحت ذلك الكتاب كان فيه علم (١) .

قال ابن حجر : وقد ورد ان علياً جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبى ﷺ اخرجه ابن ابي داود (٢) .

قال ابن شهر آشوب : ومن عجب امره فى هذا الباب انه لاشيء من العلوم الاواهله يجعلون علياً قدوة ، فصار قوله قبله فى الشريعة . فممنه سمع القرآن . ذكر الشيرازى فى نزول القرآن عن ابن عباس قال : ضمن الله محمداً ان يجمع القرآن بعده على بن ابي طالب عليه السلام قال : فجمع الله القرآن فى قلب على ، وجمعه على بعد موت رسول الله بستة اشهر ..

قال : وفى اخبار ابي رافع : ان النبى ﷺ قال فى مرضه الذى توفى فيه - لعلى - : يا على هذا كتاب الله خذ اليك ، فجمعه على فى ثوب ومضى الى منزله ، فلما قبض النبى ﷺ جلس على فألفه كما انزل الله ، وكان به عالماً .

قال : وحدثنى ابو العلاء العطار ، والموفق خطيب خوارزم فى كتابيهما بالاسناد عن على بن رباح : ان النبى ﷺ أمر علياً بتأليف القرآن فألفه وكتبه .

وروى ابو نعيم فى الحلية والخطيب فى الاربعين بالاسناد عن السدى عن عبد خير عن على عليه السلام قال : لما قبض رسول الله ﷺ اقسمت ان لا اضع ردائى على ظهري حتى اجمع

١- آلاء الرحمن ج ١ ص ١٨ بالهامش . وراجع : الطبقات ج ٢ ق ٢ ص ١٠١

والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص ٢٥٣

٢- الاتقان ج ١ ص ٧١ - ٧٢

ما بين اللوحين ، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن .

قال : وفي اخبار اهل البيت - عليهم السلام - : انه عليه السلام آلى على نفسه ان لا يضع رداءه على عاتقه الا للصلاة حتى يؤلف القرآن ويجمعه ، فانقطع عنهم مدة الى ان جمعه ، ثم خرج اليهم به في ازار يحمله وهم مجتمعون في المسجد ، فانكروا مصيره بعد انقطاع مع الالة . فقالوا : لامر ماجاء ابو الحسن ، فلما توسطهم وضع الكتاب بينهم ، ثم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : اني مخلف فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي اهل بيتي . وهذا الكتاب ، وانا العترة . فقام اليه الثاني وقال له : ان يكن عندك قرآن فعند نامثله ، فلا حاجة لنا فيكما . فحمل عليه السلام الكتاب وعاد به بعد ان الزمهم الحجة .

وفي خبر طويل عن الامام الصادق عليه السلام : انه حملة وولى راجعاً نحو حجرته ، وهو يقول : « فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون » (١) .

وصف مصحف علي - ع - :

امتاز مصحفه عليه السلام اولاً : بترتيبه الموضوع على ترتيب النزول ، الاول فالاول في دقة فائقة .

ثانياً : اثبات نصوص الكتاب كما هي من غير تحوير او تغيير او ان تشذمه كلمة او آية .

ثالثاً : اثبات قراءته كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وآله حرفاً بحرف .

رابعاً : اشتماله على توضيحات - على الهامش طبعاً - وبيان المناسبة التي استدعت نزول الاية ، والمكان الذي نزلت فيه ، والساعة التي نزلت فيها ، والاشخاص الذين نزلت فيهم .

١- مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٤٠ - ٤١ . والاية في سورة آل عمران : ١٨٧ .

وراجع : بحار الانوار ج ٩٢ ص ٥١ - ٥٢

خامساً : اشتماله على الجوانب العامة من الايات ، بحيث لاتخص زماناً ولا مكاناً ولا شخصاً خاصاً . فهي تجرى كما تجرى الشمس والقمر . وهذا هو المقصود من التأويل في قوله - عليه السلام - : ولقد جئتهم بالكتاب مشتملا على التنزيل والتأويل (١) .

فالتنزيل هي المناسبة الوقتية التي استدعت النزول . والتأويل هو بيان المجرى العام . كان مصحف على عليه السلام مشتملا على كل هذه الدقائق التي أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وآله من غير ان ينسى منها شيئاً او يشبهه عليه شيء .

قال عليه السلام : ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله الا أقرأنيها وأملاها على ، فكتبها بخطي . وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها . ودعا الله لي ان يعلمني فهمها وحفظها ، فمانسيت آية من كتاب الله ، ولا علماً املاه على فكتبته منذ دعا لي مادعا . (٢)

وعن الاصبغ بن نباتة ، قال : قدم امير المؤمنين عليه السلام الكوفة ، صلى بهم اربعين صباحاً يقرأ بهم سبح اسم ربك الاعلى ، فقال المنافقون : لا والله ما يحسن ابن ابيطالب ان يقرأ القرآن : ولو احسن ان يقرأ القرآن لقرأ بنا غير هذه السورة ! قال : فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال : ويلهم اني لاعرف ناسخه من منسوخه ومحكمه من متشابهه وفصله من فصاله وحر وفه من معانيه ، والله ما من حرف نزل على محمد صلى الله عليه وآله الا اني اعرف فيمن انزل وفي اي يوم وفي اي موضع . ويلهم اما يقرأون : « ان هذا في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى (٣) » والله عندي ورثتهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد انهى رسول الله صلى الله عليه وآله من ابراهيم وموسى - عليهما السلام - ويلهم والله انا الذي انزل الله في : « وتعيها

١- آلاء الرحمان ج ١ ص ٢٥٧

٢- تفسير البرهان ج ١ ص ١٦

٣- سورة الاعلى : ١٨

اذن واعية (١) « فانما كنا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي فاعيه انا ومن يعيه ،
فاذا خرجنا قالوا : ماذا قال آتفا ؟ » (٢)

هذا .. ولليقوي وصف غريب عن مصحف على ﷺ : بجزؤه سبعة اجزاء ، كل
جزء يحتوى على ست عشرة او خمس عشرة سورة ، لتكون مجموع السور مائة واحد
عشرة سورة !! وكل جزء لابد ان تبلغ آياته ثمانمائة وستاً وثمانين آية ، فيكون مجموع
آيات المصحف ستة آلاف واثنين ومأتى آية !.

ويجعل مبدء الجزء الاول : سورة البقرة ثم سورة يوسف ثم العنكبوت ،
وينتهى الى سورة الاعلى والبينة . ويسميه جزء البقرة .

ويجعل مبدء الجزء الثانى : آل عمران ثم هود والحج ، وينتهى الى سورة
الفيل وقريش . ويسميه جزء آل عمران .

ويجعل مبدء الجزء الثالث : سورة النساء ، وآخره النمل . ويسميه جزء
النساء .

ومبدء الجزء الرابع : المائدة وآخره الكافرون . ومبدء الجزء الخامس :
الانعام ، ومنتهاه التكاثر . ومبدء الجزء السادس : الاعراف ، ومنتهاه النصر . ومبدء
الجزء السابع : الانفال وآخره الناس .

وهكذا يوزع السور الطوال على مبادئ الاجزاء السبع ويتدرج الى القصار
ويسمى كل جزء باسم السورة التى بدء بها (٣) .

وهذا الوصف يخالف تماماً وصف الآخرين : انه كان مرتباً حسب النزول .
قال جلال الدين : كان اول مصحف على ﷺ سورة اقرأ ثم سورة المدثر ثم

١- سورة الحاقة : ١٢

٢- تفسير العياشى ج ١ ص ١٤

٣- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١١٣

نون ثم المزمّل ثم تبت ثم التكوير .. وهكذا الى آخر ترتيب السور حسب نزولها (١).
ومن ثم فهذا الوصف مخالف لاجماع ارباب السير والتاريخ .
ومن الغريب انه جعل الم تنزيل والسجدة سورتين . وحم والمؤمن سورتين .
وطس والنحل سورتين . وطسم والشعراء سورتين . فى حين ان كلا منهما سورة
واحدة . وعبر عن سورة الانبياء بسورة اقتربت ، فى حين انها تبتدى بقوله تعالى :
« اقترب للناس حسابهم » .

وهذه الغفلة من مثل احمد بن الواضح الكاتب الاخبارى غريبة جداً !

أمد مصحف على - ع - :

روى سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي - رضوان الله عليه - قال :
لما رأى امير المؤمنين - صلوات الله عليه - غدر الناس به لزم بيته واقبل على القرآن
يؤلفه ويجمعه ، فلم يخرج من بيته حتى جمعه . وكان فى المصحف والشظاظ والاشار
والرقاع (٢) .

وبعث القوم اليه ليبايع فاعتذر باشتغاله بجمع القرآن ، فسكتوا عنه أياماً حتى
جمعه فى ثوب واحد وختمه ثم خرج الى الناس - وفى رواية يعقوبى : حمله على
جمل واتى به الى القوم (٣) - وهم مجتمعون حول ابي بكر فى المسجد ، وخاطبهم
قائلاً : انى لم ازل منذ قبض رسول الله ﷺ مشغولاً بغسله وتجهيزه ، ثم بالقرآن

١- الاتفاق ج ١ ص ٦٢

٢- المصحف : جمع صحيفة ، وهى الورقة من كتاب اوقراطس . والشظاظ : خشبة
محددة ، يجمع على أشظة . والاشار : خشبة اوصفحة اعظمة مرفقة مصقولة . والرقاع : جمع رقعة ،
وهى القطعة من الورق يكتب عليه .

٣- تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ١١٣

حتى جمعته كله في هذا الثوب الواحد ولم ينزل الله على نبيه آية من القرآن الاوقد
جمعتها ، وليس منه آية الاوقد اقرأنيها رسول الله ﷺ وعلمني تأويلها . ان تقولوا
غداً انا كنا عن هذا غافلين !

فقام اليه رجل من كبار القوم - وفي رواية ابي ذر : فنظر فيه فلان واذا فيه
اشياء (١) - فقال : يا على ، اردده فلاحاجة لنا فيه ، ما اغنانا بما معنا من القرآن، عما
تدعوننا اليه ، فدخل على علي عليه السلام بيته . (٢)

وفي رواية : قال علي عليه السلام : اما والله ماتروني بعد يومكم هذا ابدأ ، انما كان
على ان اخبركم حين جمعته لتقرأوه (٣) .

وقد تقدم كلام ابن النديم : كان مصحف على يتوارثه بنو الحسن (٤)
والصحيح عندنا : ان مصحفه عليه السلام يتوارثه اوصياؤه الائمة من بعده ، واحداً بعدواحد
لا يروونه لاحد (٥) .

وفي عهد عثمان حيث اختلفت المصاحف واثارت ضجة بين المسلمين ، سأل
طلحة الامام امير المؤمنين عليه السلام لويخرج للناس مصحفه الذي جمعه بعد وفاة رسول
الله - صلى الله عليه وآله وسلم - اتى به الى القوم فرفضوه . قال : وما يمنعك
- يرحمك الله - ان تخرج كتاب الله الى الناس ؟ ! فكف عليه السلام عن الجواب اولاً ،
فكرر طلحة السؤال ، فقال : لا اراك يا ابا الحسن اجبتني عما سألتك من امر القرآن
الا تظهره للناس ؟

١- احتجاج الطبرسي ص ٨٢

٢- كتاب سليم بن قيس ص ٧٢

٣- تفسير الصافي ج ١ ص ٢٥

٤- الفهرست ص ٤٨

٥- بحار الانوار ج ٩٢ ص ٢٢ و ٢٣

قال - عليه السلام - : يا طلحة عمداً كففت عن جوابك . فاخبرني عما كتبه
القوم أقرآن كله ام فيه ما ليس بقرآن ؟ قال طلحة : بل قرآن كله . قال - عليه السلام - :
ان اخذتم بما فيه نجوت من النار ودخلتم الجنة ... قال طلحة : حسبي اما اذا كان
قرآناً فحسبي (١) .

هكذا حرص الامام واوصياؤه - عليهم السلام - على حفظ وحدة الامة ، فلا
تختلف بعد اجتماعها على ما هو قرآن كله .

جمع زيد بن ثابت :

كان ذاك الرفض القاسى لمصحف على عليه السلام يستدعى التفكير فى القيام بمهمة جمع القرآن مهما كلف الامر ، بعد أن احس الناس بضرورة جمع القرآن فى مكان ، ولا سيما كانت وصية نبيهم - صلى الله عليه وآله - بجمعه لثلاث يضيع ، كما ضيعت اليهود توراتهم (١) .

هذا والقرآن هو المرجع الاول للتشريع الاسلامى ، والاساس الركين لبناء صرح الحياة الاجتماعية فى كافة شؤونها المختلفة آنذاك ، ولا يصح ان يبقى مفرقاً على العصب والخاف او فى صدور الرجال . ولا سيما وقد استحر القتل بكثير من حامله ، وبوشك ان يذهب القرآن بذهاب حامله ، فقد قتل منهم سبعون فى واقعة اليمامة ، وفى رواية : اربعمأة (٢) .

١- تفسير القمى ص ٧٤٥

٢- القسطلانى على البخارى ج ٧ ص ٤٢٧ . وفى الطبرى ج ٣ ص ٢٩٦ : قتل من المهاجرين والانصار من قصبة المدينة يومئذ ثلثمائة وستون ومن المهاجرين من غير اهل المدينة ثلثمائة ومن التابعين ثلثمائة . وفى كتاب ابى بكر الى خالد ص ٣٠٠ : دم الف وماتى رجل من المسلمين لم يجفف بعد ...

وهذه الفكرة ابداهها عمر بن الخطاب ، واترح على ابي بكر - وهو ولي المسلمين يوم ذاك - ان ينتدب لذلك من تتوفر فيه شرائط القيام بهذه المهمة الخطيرة ، فوقع اختيارهم على زيد بن ثابت ، وهو شاب حدث فيه مرونة حدائثة السن ، وله سابقة كتابة الوحي ايضاً . فقد ملك الجدارة الذاتية من غير ان يخشى منه على جوانب الخلافة الفتية فى شىء ، كما كان يخشى من غيره من كبار الصحابة ، وفيهم شىء من المناعة والجموح وعدم الانقياد التام لميول السلطة واتجاهاتها آنذاك .

قال زيد : ارسل الى ابوبكر بعد مقتل اهل اليمامة ، وعمر جالس عنده . قال : ان هذا - و اشار الى عمر - أثنانى وقال : ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقرآء القرآن ، واخاف ان يستحر بهم القتل فى سائر المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وأشار على بجمع القرآن . فقلت لعمر كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال : هو والله خير . فلم يزل يراجعنى عمر حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت الذى رأى عمر !

قال زيد : قال لى ابوبكر : انك شاب عاقل لانتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن واجمعه .

قال زيد : فوالله لو كلفونى نقل جبل من مكانه لم يكن اثقل على مما كلفونى به . قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فلم يزل ابوبكر وعمر يلحان على حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر ابي بكر وعمر .

قال زيد : فممت اتتبع القرآن اجمعه من العسب والخاف وصدور الرجال... (١)

١- صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٢٥ . مصاحف السجستانى ص ٦ . والكامل فى التاريخ

ج ٣ ص ٥٦ وج ٢ ص ٢٤٧ . والبرهان للزركشى ج ١ ص ٢٣٣ .

منهج زيد في جمع القرآن :

قام زيد بتنفيذ الفكرة ، فجمع القرآن من العصب واللخاف والادم والقراطيس ، وكانت متفرقة على ايدي الصحابة او في صدورهم ، وعاونوه على ذلك جماعة .
واول عمل قام به : ان وجه نداء عاماً الى ملاء الناس : «من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به» .

وألف لجنة من خمسة وعشرين عضواً - كما جاء في رواية اليعقوبي (١) - وكان عمر يشرف عليهم بنفسه .

وكان اجتماعهم على باب المسجد يومياً : والناس يأتونهم بآي القرآن وسوره ، كل حسب ماعنده من القرآن .

وكانوا لا يقبلون من أحد شيئاً حتى يأتي بشاهدين يشهدان بصحة ماعنده من قرآن . سوى خزيمة بن ثابت ، اتى باليتين آخر سورة براءة ، فقبلوهما منه من غير استشهاد ، لان رسول الله ﷺ اعتبر شهادته وحده شهادتين (٢) .

قال زيد : ووجدت آخر سورة براءة مع (ابي) خزيمة الانصاري لم أجده مع احد غيره (٣) وستكلم عما جاء بين المعقوفتين .

ومن غريب الامر : ان عمر جاء بآية الرجم وزعمها من القرآن : «الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله» لكنه واجه بالرفض ، ولم تقبل منه ، لانه لم يستطع ان يقيم على ذلك شاهدين (٤) وبقي اثر ذلك في نفس عمر ، فكان يقول - ايام خلافته - : لولا ان يقول الناس : زاد عمر في كتاب الله . لكتبها بيدي - يعنى

١- تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١٣

٢- راجع : اسد الغابة لابن الاثير ج ٢ ص ١١٤ ومصاحف السجستاني ص ٦-٩

٣- البخاري ج ٦ ص ٢٢٥

٤- الاتقان ج ١ ص ٥٨

* * *

ثم ان زيد لم ينظم سور القرآن ولم يرتبهن كمصحف ، وانما جمع القرآن في صحف ، اى اودع الايات والسور في صحف وجعلها في اصابة ، فكان جمعاً عن التفرقة والضياح ، ومن ثم لم يسم جمعه مصحفاً .

قال المحاسبى : كان القرآن مفرداً فى الرقاع والاكتاف والعسب وانما امر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعاً ، وكان ذلك بمنزلة اوراق فيها القرآن منتشراً ، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شىء . (٢)

وقال ابن حجر : والفرق بين الصحف (التى جاءت فى رواية جمع زيد) والمصحف : ان الصحف هى الاوراق المجردة التى جمع فيها القرآن فى عهد ابي بكر ، وكانت سوراً مفردة ، كل سورة مرتبة بآياتها على حدة ، لكن لم يرتب بعضها اثر بعض ، فلما نسخت ورتب بعضها اثر بعض صارت مصحفاً (٣) .

وقال احمد امين : وفى عهد ابي بكر امر بجمع القرآن ، لكن لافى مصحف واحد ، بل جمعت الصحف المختلفة التى فيها آيات القرآن وسوره ، واودعت الصحف الكثيرة التى فيها القرآن عند ابي بكر (٤) .

وقال الزرقانى : صحف ابي بكر كانت مرتبة الايات دون السور (٥) .

* * *

وهذه الصحف اودعت عند ابي بكر ، فكانت عنده مدة حياته ، ثم صارت عند

١- تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٦١ والبرهان للزركشى ج ٢ ص ٣٥ والاتقان ج ٢ ص ٢٦

٢- الاتقان ج ١ ص ٥٩

٣- فتح البارى ج ٩ ص ١٦

٤- فجر الاسلام ص ١٩٥

٥- مناهل العرفان ج ١ ص ٢٥٤

عمر ، وبعده كانت عند ابنته حفصة ، وفي أيام توحيد المصاحف استعارها عثمان
منها ليقابل بها النسخ ، ثم ردها اليها ، فلما توفيت اخذها مروان - يوم كان والياً
على المدينة من قبل معاوية - من ورثتها وأمر بها فشقّت (١) .

* * *

جاء في نص البخارى : ووجدت آخر سورة براءة مع ابى خزيمة ... ومن
ثم يتساءل البعض : من هو ابو خزيمة ؟
قال القسطلانى : هو : ابن اوس بن يزيد بن حزام ، المشهور بكنيته من غير ان
يعرف اسمه (٢) .

واحتمل ابن حجر : انه الحرث بن خزيمة ، كما جاء في رواية ابى داود (٣) .
والصحيح انه من زيادة الراوى او الناسخ خطأ ، وانما هو خزيمة من غير اضافة
الاب اليه . بدليل ان زيدا قبل شهادته مكان شهادتين . وليس فى الصحابة من يتسم بهذه
السمة الخاصة سواه (٤) وهكذا جزم الامام بدر الدين الزركشى انه خزيمة الذى
جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين (٥) ومن ثم ادرجه فى النص هكذا بلا
اضافة الاب (٦) .

او يقال : ان ابا خزيمة هو خزيمة بن ثابت ، كان يقال له : ابو خزيمة ايضاً ،
كما جاء فى نص ابن اشته : ابو خزيمة بن ثابت (٧) .

١- القسطلانى بشرح البخارى ج ٧ ص ٢٢٩

٢- شرح البخارى ج ٧ ص ٢٢٧

٣- فتح البارى ج ٩ ص ١٢

٤- راجع : ابن سعد فى الطبقات ج ٢ ق ٢ ص ٩٠

٥- البرهان ج ١ ص ٢٣٢

٦- المصدر فى صفحة : ٢٣٩

٧- الاتقان ج ١ ص ٥٨

وفى سائر الروايات - غير رواية البخارى - خزيمة بن ثابت ، بلاضافة الاب ، (١) ومن ثم رجحنا خطأ النسخة .

* * *

وسؤال آخر : ماذا كان يعنى بالشاهدين فى جعلهما شرط قبول النص القرآنى ؟
كما جاء فى نص ابن داود باسناد معتبر ، وثلقته ائمة الفن بالقبول (٢) .
قال ابن حجر : وكان المراد بالشاهدين : الحفظ والكتابة (٣) .

وقال السخاوى : شاهدان يشهدان على ان ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله - او المراد : انهما يشهدان بصحة قرائتها ، وانها من الوجوه التى نزل بها القرآن .

قال ابو شامة : وكان الغرض من ذلك ان لا يكتب الا من عين ما كتب بين يدى رسول الله ﷺ لا من مجرد الحفظ .

قال جلال الدين : او المراد : انهما يشهدان على ان ذلك مما عرض على النبى ﷺ عام وفاته ، وكانت هى القراءة الاخيرة التى اتفق عليها الصحابة ويقرؤها الناس اليوم (٢) .

قلت : المراد : ان شاهدين عدلين - احدهما الذى اتى بالاية وعدل آخر - يشهدان بسماعهما قرآناً من النبى ﷺ بدليل قبول شهادة خزيمة بن ثابت الذى جاء بآخر سورة براءة ، مكان شهادة رجلين . وهكذا جاء فى نص ابن اشته ، اخرجه فى المصاحف عن الليث بن سعد ، قال : وكان الناس يأتون زيد بن ثابت ، فكان لا يكتب آية الابدشاهدى عدل . وان آخر سورة براءة لم يجدها الا مع ابى خزيمة بن ثابت

١- راجع : الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٦

٢- راجع الاتفاق ج ١ ص ٥٨

٣- فتح البارى ج ٩ ص ١٢

٤- الاتفاق ج ١ ص ٥٨ وراجع : ص ٥٠

ذى الشهادتين ، فقال : اكتبوها ، فان رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب . وان عمر انى بآية الرجم فلم يكتبها ، لانه كان وحده (١) .

شكوك واعتراضات :

يقول بلاشير : لماذا اختار ابوبكر لهذه المهمة الخطيرة مثل زيد وهو شاب حدث لم يتجاوز العشرين ، فى حين وجود ذوى الكفاءات من كبار الصحابة ؟ ولنفرض عكورة المورد حالت دون اللجوء الى شخصية كبيرة مثل على بن ابي طالب ، فلما ذا اغفلوا سائر فضلاء الصحابة ممن لهم سابقة وعهد قديم بنزول القرآن وصحبة الرسول ؟ وهل ان واقعة اليمامة اطاحت بجميع قراء الصحابة القدامى ، ولم يبق سوى زيد وهو حديث العهد بالقراءة وبالقرآن ؟ الامر الذى يثير شكوكنا فى القضية ولانكاد نصدق بان زيدا هو الذى جمع القرآن ...

اضف الى ذلك ان التاريخ لم يحدد بالضبط بدء قيامه بهذا العمل ، ومتى انتهى منه ؟ فلو صح انه قام بجمع القرآن بعد واقعة اليمامة ، لكان بقى من عمر ابي بكر خمسة عشر شهراً ، وهذه فترة تضيق بانجاز هكذا عمل خطير ، الذى يتطلب جهوداً واسعة لجمع المصادر والالتقاء مع رجال كانت عندهم آيات اوسور وكانوا قد انتشروا فى البلاد ، فان هذا وذاك يتطلبان وقتاً اوسع واعوانا كثيرين ، مما لا يمكن انجازه فى تلك المدة القصيرة .

هذا والرواية تقول : ان زيدا جمع القرآن فى صحف واودعها عند ابي بكر ،

ثم صارت عند عمر ثم ورثتها ابنته حفصة .!

فاذا كانت الغاية من جمع القرآن هى ملاحظة المصلحة العامة كما ينبى على ذلك ان ورثة ابي بكر لم يختصوا بتلك الصحف ، وانما انتقلت الى عمر ، الخليفة بعده . فلماذا خصصها عمر بابنته حفصة ولم يجعلها فى متناول المسلمين عاماً ؟ كما انه

لم صارت الصحف ودبعة اختصاصية عند ابى بكر من غير ان تجعل فى مكان هو معرض عام ؟

وهكذا اعترض المستشرق شفالى على قضية جمع زيد للقرآن .
والذى يستنتجه بلاشير من شكوكه هذه : ان كبار الصحابة هم الذين قاموا بجمع القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ ورتبوه ورتبوا سورة ، الامر الذى كانت وظيفة الخلافة الاسلامية ان تقوم به ولكنها غفلت عنه . وربما ادت هذه الغفلة الى الطعن فى القائمين باعضائها ، ومن ثم اوعزت الى شاب حدث لايتهموه ان ينسخ عن بعض مصاحف الصحابة مصحفاً يمتاز به الخليفة ايضاً ، اما اصل القيام بجمع القرآن فلا . (١)

* * *

قلت : اذا كانت شرائط انجاز عمل - مهما كان ضخماً - متوفرة ، وفى المتناول القريب ، فان انجازه يتحقق فى اقرب وقت ممكن . ولا سيما اذا كان العمل فورياً يحاول المتصدون انجازه فى اقرب فرصة ممكنة . وهكذا كانت قضية جمع القرآن فى الصدر الاول . .

اما المصادر الاولى فكانت متوفرة فى نفس المدينة ، محفوظة على ايدى الصحابة الامناء ، وكان حملة القرآن وحفظته موجودين لايفارقون مسجد سيدهم ، الذى ارتحل من بينهم فى عهد قريب ، ليل نهار ، والاتصال بهم سهل التناول . لا سيما وسور القرآن كانت مكتملة ، وبقي جمعها فى مكان ، لاكثر . اذن فقد كانت الاسباب مؤاتية والظروف مساعدة . اضيف اليها : ان السلطة - ويدها القدرة - اذا حاولت انجاز هكذا عمل متهيب ، فانه لا يستدعى طولاً فى مدة العمل بعد توفر هذه الشروط .

١- مترجم وملخص عن مجلة «خواندنيها» الفارسية فى سنتها الثامنة العدد : ٢٢ بتاريخ

١٣ بهمن ١٣٢٦ هـ ش طهران .

هذا وزيد لم يعمل سوى جمع القرآن في مكان وحفظه عن الضياع والانبثاق ولم يعمل فيه نظاماً ولا ترتيباً ولا إيا عمل فكري آخر ، فان هكذا عمل بسيط لا يتطلب جهوداً طويلة ولا فراغاً واسعاً .

نعم كانت الغاية من ذلك هي مراعاة المصلحة العامة : حفظ القرآن عن الضياع ، الامر الذي تحقق بايداع الصحف المشتملة على تمام القرآن في مكان امين . ولم يكن يومذاك احتياج الى مراجعة تلك الصحف بعد ان كان حفظ القرآن وحاملوه منتشرين بين اظهر الناس بكثرة ، والناس يومذاك حافظون لجل آيات ترتبط والحياة المعيشية والسياسية وما شبهه .

هذا . . وفي اواخر عهد عمر اصبحت نسخ المصاحف المحتوية على جميع آي القرآن وسوره كثيرة ، ومجموعة على ايدي كبار الصحابة الموثوق بهم ، رآى ان الحاجة العامة الى تلك الصحف المودعة عنده هبطت الى درجة نازلة جداً ، ومن ثم تملكها هو ، ولم تعد حاجة اليها سوى في دور توحيد المصاحف على عهد عثمان .

جدارة زيد الخاصة !

واما قضية اختيار مثل زيد لهكذا عمل خطير ...

فقال الزرقاني : ان ابا بكر رآى بنور الله ان يندب لتحقيق هذا العمل رجلاً من خيرة رجالات الصحابة ، هو زيد بن ثابت ، لانه اجتمع فيه من المواهب ذات الاثر في جمع القرآن ما لم يجتمع في غيره من الرجال ، اذ كان من حفاظ القرآن . ومن كتاب الوحي لرسول الله ﷺ . وشهد العرضة الاخيرة للقرآن . وكان فوق ذلك معروفاً بخصوبة عقله . وشدة ورعه . وعظم امانته . وكمال خلقه . واستقامة دينه . (١)

تلك نعوت ثمانية عددها الزرقاني ، زعمها متوفرة في زيد وحده ، لم تجتمع
جميعاً في غيره من صحابة الرسول ﷺ الموجودين آنذاك .. !
هذا ما لا نكاد نصدقه بتاتا ... !

انا نعلم : ان الذين جمعوا القرآن كله وحفظوه على عهد رسول الله ﷺ وقد كان
امر الناس بالرجوع اليهم واستقراء القرآن منهم – على ما جاء في صحيح البخاري
وغيره – اربعة ، ليس فيهم زيد ، هم : عبد الله بن مسعود . وابي بن كعب . ومعاذ
ابن جبل . وسالم مولى حذيفة (١) .

وكانوا على وفرة من سائر النعوت التي ذكرها الزرقاني ، فلماذا لم يختار ابوبكر
واحداً من هؤلاء ؟!

اما الذي شهد العرضة الاخيرة فهو ابن مسعود ، ولم يكن زيداً .. ! قال ابن عباس
كان القرآن يعرض على رسول الله – صلى الله عليه وآله – في كل رمضان مرة الا العام
الذي قبض فيه ، فانه عرض عليه مرتين ، وقد حضره عبد الله بن مسعود ، فشهد ما نسخ
وبدل (٢) .

هذا وسابقة ابن مسعود بالقرآن وبعناية الرسول ﷺ الذي كان يعلمه القرآن
من فيه معروفة (٣) .

١- البخاري ج ٥ ص ٣٤ وج ٦ ص ٢٢٩

وجاء في حديث انس : لم يجمع القرآن على عهده –ص- غير اربعة : ابو الدرداء
ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد .. البخاري ج ٦ ص ٢٣٠ لكنه زعم زعمه انس ومن ثم
رد عليه ائمة النقد والتمحيص . راجع : فتح الباري ج ٩ ص ٢٢ والاتقان ج ١ ص ٧١
واذا كان زيد ممن جمع القرآن على عهده –ص- فلماذا استعظم ذلك عند ما اقترح
عليه ابوبكر ان يقوم بجمع القرآن ؟!

٢- طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٢٢

٣- راجع : البخاري ج ٥ ص ٣٥ وج ٦ ص ٢٢٩ وص ٢٣٠ . والطبقات ج ٢ ص ٣٥٥

ومستدرک الحاكم ج ٢ ص ٢٢٠

وكان ابي بن كعب اقرأ اصحاب النبي ﷺ وقد امره الله ان يعرض القرآن كله على ابي (١) وكان معروفاً بسيد القراء (٢) .

وكذلك معاذ بن جبل الذى قال الرسول ﷺ فى حقه : هو امام العلماء وتوة - اى اعتلاء - وخلفه فى اهل مكة يفقههم ويقرهم القرآن (٣) .

الامر الذى يجعل من زيد معوزاً كفاءة سائر الصحابة الكبار ! كما ان قضية كتابته للوحى كانت عند فقد الاخرين . قال ابن عبد البر : كان النبي ﷺ اذا لم يكن ابي بن كعب حاضراً دعى زيدا ليكتب له (٤) هذا... ولم يأت الزرقانى لمذكره من نعوت خاصة بمستند !

نعم ، كان الذى يختص به زيد دون سائر رجالات الاصحاب هو : امتيازه بصفة جاءت الاشارة اليها فى نص البخارى : « انك شاب عاقل - ! - لانتهمك » .! كان ذا نزعة متلازمة مع اهداف السلطة القائمة ، وقد ابدى ذلك يوم السقيفة ، وقف موقف المدافع الحاد دون المهاجرين ، وهو انصارى قائل : ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان من المهاجرين وكنا انصاره وانما يكون الامام من المهاجرين ونحن انصاره . . . فان بسط وجه ابي بكر لهذا الكلام المبتكر وجزاه خيراً : قال : جزاكم الله خيراً من حى يامعشر الانصار، وثبت قائلكم - يعنى زيدا - والله لو قلتم غير هذا ماصالحناكم . . (٥)

ولم ينس له ابو بكر هذا الموقف الخطير ، ومن ثم انتدبه لجمع القرآن ،

١- راجع : البخارى ج ٦ ص ٢٣٠ . والطبقات ج ٢ ص ٣٢١

٢- تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٨٧

٣- راجع : الطبقات ج ٢ ص ٣٢٧ و ٣٢٨

٤- الاستيعاب بهامش الاصابة ج ١ ص ٢٩ واسد الغابة ج ١ ص ٥٠

٥- تهذيب ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٦ و ص ٢٢٢

معتمداً عليه كل الاعتماد ، من غير ان يتهمه فى عقله الذى كان يرى مجرى الرياح
من اين تهب ! او ان يشك فى اتجاه سلوكه الانتهازى . وقال له يوماً معجبا به : وانت
عندنا كلنا امين (١) .. هذا . والحديث ذو شجون .

مصاحف اخرى :

فى الفترة بعد وفاة النبى ﷺ قامت جماعة من كبار الصحابة بتأليف القرآن وجمع سوره بين دفتين ، كل بنظم وترتيب خاص ، وكان يسمى مصحفا .
يقال : اول من جمع القرآن فى مصحف ، اى رتب سوره ككتاب منظم ، هو سالم مولى حذيفة . فائتمروا فيما يسمونه ؟ فقال بعضهم : سموه السفر . فقال سالم : ذلك تسمية اليهود ، فكرهوه . فقال : رأيت مثله فى الحبشة يسمى المصحف . فاجتمع رأيهم على ان يسموه المصحف . اخرج ابن أشته فى كتاب المصاحف . (١)
وهكذا قام بجمع القرآن ابن مسعود . وابى بن كعب . وابو موسى الاشعري ، وكان سمي مصحفه : لباب القلوب (٢) . والمقداد بن الاسود . ومعاذ بن جبل .
ويبدو من حديث العراقى الذى جاء الى عائشة يطلب اليها ان تريه مصحفها ان لها ايضا مصحف كان يخصها . روى البخارى عن ابن ماسك ، قال : انى عند عائشة اذ جاءها عراقى فسألها عن مسائل : منها : انه طلب ان تريه مصحفها ، قال : يام المؤمنين ارينى مصحفك . قالت لم ؟ قال : لعلى اؤلف القرآن عليه ، فانه يقرأ

١- الاتقان ج ١ ص ٥٨ . وراجع : المصاحف للسجستاني ص ١١ - ١٢

٢- الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٥٥

غير مؤلف - اى غير مرتب ولا منظم ،اولا اختلاف الناس فى نظم آيه وعددتها (١) -
قالت : وما يضرك أيه قرأت ... الى ان قال : فاخرجت له مصحفاً وأملت عليه آى
السور (٢) اى عدد آيها .

وحاز بعض هذه المصاحف مقاماً رفيعاً فى المجتمع الاسلامى آنذاك ،فكان
اهل الكوفة يقرأون على مصحف عبدالله بن مسعود . واهل البصرة يقرأون على
مصحف ابي موسى الاشعري . واهل الشام على مصحف ابي بن كعب . واهل دمشق
خاصة على مصحف المقداد بن الاسود . وفى رواية الكامل : ان اهل حمص كانوا
على قراءة المقداد (٣) .

أمد هذه المصاحف :

كان امد هذه المصاحف قصيراً جداً انتهى بدور توحيد المصاحف على عهد
عثمان . فذهبت مصاحف الصحابة عرضة التمزيق والحرق .
قال انس بن مالك : ارسل عثمان الى كل افق بمصحف مما نسخوا ، وامر
بما سواه من القرآن فى كل صحيفة او مصحف ان يحرق (٤) .
نعم حظيت بعض هذه المصاحف عمراً اطول ، كالمصحف التى كانت عند
حفصة ، طلبها عثمان ليقابل بهانسخ المصاحف فابت ان تدفعها اليه حتى عاهاها
ليردنها عليها (٥) ومن ثم ردها وبقيت عندها حتى توفيت ، فأمر بها مروان فشقت .

١- احتمله ابن حجر فى فتح البارى ج ٩ ص ٣٦

٢- صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٢٨

٣- الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٥٥ . وراجع : البخارى ج ٦ ص ٢٢٥ والمصاحف

لابن ابي داود السجستانى ص ١١ - ١٢ . والبرهان للزركشى ج ١ ص ٢٣٩ - ٢٤٣

٤- البخارى ج ٦ ص ٢٢٦

٥- مصاحف السجستانى ص ٩

ويبدو من رواية ابي بكر بن ابي داود : ان ولد ابي بن كعب كانوا قد احتفظوا
 بنسخة من مصحف ابيهم بعيداً عن آخرين . قال : قدم اناس من العراق يريدون محمد
 ابن ابي ، فطلبوا اليه ان يخرج لهم مصحف ابيه ! فقال : قد قبضه عثمان ، فألحوا
 عليه ولكن من غير جدوى ، الامر الذي كان يدل على مبلغ خوفه من الحكم القائم ،
 فلم يخرج له للعراقيين (١) .

وفي رواية الطبري : ان ابن عباس دفع مصحفاً الى ابي ثابت ، ووصفه بانه
 على قراءة ابي بن كعب . وبقي الى ان انتقل الى نصير بن ابي الاشعث الاسدي الكوفي
 فاتاه يحيى بن عيسى الفاخوري يوماً وقرأ فيه : «فما استمتعتم به منهن الى اجل
 مسمى» (٢) الامر الذي يدل على ان هذا المصحف عاش حتى اواخر القرن الثاني ،
 لان يحيى بن عيسى توفي عام ٢٠١ (٣) .

قال الفضل بن شاذان : اخبرنا الثقة من اصحابنا ، قال : كان تأليف السور في
 قراءة ابي بن كعب بالبصرة في قرية يقال لها «قرية الانصار» على رأس فرسخين عند
 محمد بن عبد الملك الانصاري (توفي سنة ١٥٠) . اخرج الينا مصحفاً قال : هو
 مصحف ابي . رويناه عن آبائنا ، فنظرت فيه فاستخرجت اوائل السور وخواتيم الرسل وعدد
 الاي . . (٤)

وجاء في روايات اهل البيت - عليهم السلام - قول الصادق عليه السلام : امانحن فنقرأ
 على قراءة ابي - اي ابن كعب (٥) .

* * *

١- المصاحف للسجستاني ص ٢٥

٢- تفسير الطبري ج ٥ ص ٩

٣- تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٢٦٣

٤- فهرست ابن النديم ص ٢٩

٥- وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٢١

اما ابن مسعود فامتنع ان يدفع مصحفه الى رسول الخليفة ، وظل محتفظاً به
فى صرامة بالغة ادت الى مشاجرة عنيفة جرت بينه وبين عثمان ، كان فيها ابعاده عن
عمله واخيراً حتفه :

عند ما جاء رسول الخليفة الى الكوفة لاختذ المصاحف ، قام ابن مسعود خطيباً
قائلاً : ايها الناس انى غال مصحفى ، ومن استطاع ان يغفل مصحفاً فليغفل ، فانه من
غل يأت يوم القيامة بما غل ونعم الغل المصحف (١) .

و هكذا كان يحرض الناس على مخالفة الحكم القائم ، الامر الذى جر عليه
الويلات ، فاشخصه الخليفة الى المدينة و جرى بينهما كلام عنيف انتهى الى ضربه
وكسراضلاعه واخراجه من المسجد بصورة مزرية .

روى الواقدى باسناده وغيره : ان ابن مسعود لما استقدم المدينة دخلها ليلاً ،
وكانت ليلة جمعة ، فلما علم عثمان بدخوله ، قال : ايها الناس انه قد طرقكم الليلة
دويبة ، من يمشى على طعامة بقاء ويسلح .

قال ابن مسعود : لست كذلك ولكننى صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ، و
صاحبه يوم احد ، و صاحبه يوم بيعة الرضوان ، و صاحبه يوم الخندق ، و صاحبه
يوم حنين . . .

و صاحبت عائشة : يا عثمان ! أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ ؟ ! فقال
عثمان : اسكتى .

ثم قال لعبدالله بن زمعة بن الاسود : أخرجه اخراجاً عنيفاً ! فأخذه ابن زمعة ،
فاحتمله حتى جاء به باب المسجد ، فضرب به الارض ، فكسرهاضلاعه .
فقال ابن مسعود : قتلنى ابن زمعة الكافر بأمر عثمان .

قال الراوى : فكأننى انظر الى حموشة ساقى عبد الله بن مسعود ، و رجلاه
تختلفان على عنق مولى عثمان ، حتى اخرج من المسجد ، وهو يقول : انشدك الله

الاتخرجنى من مسجد خليلي رسول الله ﷺ (١) .

قيل : و اعتل ابن مسعود فاتاه عثمان يعوده ، فقال له : ما كلام بلغنى عنك ؟
قال : ذكرت الذى فعلته بى ، انك امرت بى فوطىء جوفى فلم اعقل صلاة الظهر و
لا العصر ، ومنعتنى عطائى ، قال عثمان : فانى اقيدك من نفسى ، فافعل بى مثل الذى
فعل بك . . . وهذا عطاؤك فخذ : قال ابن مسعود : منعتني و انا محتاج اليه ، و
تعطيني و انا غنى عنه ! لاحاجة لى به . . . فاقام ابن مسعود مغاضبا لعثمان حتى توفى ،
وصلى عليه عمار بن ياسر فى ستر من عثمان . وهكذا المامات المقداد صلى عليه عمار بوضعية منه ،
فاشتد غضب عثمان على عمار . وقال : ويلى على ابن السوداء اما لقد كنت به عليما ! (٢) .

* * *

هذا . . . ورغم ذلك كله فقد بقى مصحفه متداولا الى أيام متأخرة : يقول ابن
التديم (٢٩٧ - ٣٨٥ هـ) رأيت عدة مصاحف ذكر نساخها انها مصحف عبد الله بن
مسعود ، وقد كتب بعضها منذ مأتى سنة (٣) .

و هكذا يبدو من الزمخشري : ان هذا المصحف كان معروفا حتى القرن
السادس ، لانه يقول : وفى مصحف ابن مسعود كذا . . . وظاهر هذه العبارة انه هو
وجدها فى نفس المصحف ، لانه منقول اليه (٤) .

١- ابن ابى الحديد : شرح النهج ج ٣ ص ٤٣ - ٤٤ .

٢- تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ١٦٠ .

٣- الفهرست ص ٤٦ .

٤- راجع : الكشف ج ٢ ص ٤١٠ آية ٧١ من سورة هود . وج ٢ ص ٢٩٠ آية ٧
من سورة المجادلة .

وصف عام عن مصاحف الصحابة :

كان الطابع العام الذى كانت المصاحف آنذاك تتسم به : هو تقديم السور الطوال على القصار نوعاً ما فى ترتيب منهجى خاص :

١- ابتداء من السبع الطوال : البقرة ، آل عمران ، النساء ، الاعراف ، الانعام ، المائدة ، يونس (١) .

٢- ثم المثني ، وهى السور تربو آياتها على المائة ، وهى ما تقرب اثنتى عشرة سورة .

٣- ثم المثانى ، وهى السور لا تبلغ آياتها المائة ، وهى ما تقرب عشرين سورة . وسميت مثانى لانها تشنى اى تكرر قراءتها اكثر مما تقرأ غيرها من الطوال والمثني .

٤- ثم الحواميم . وهى السور بدئت بـ « حم » : سبع سور .

٥- ثم الممتحنات . وهى تقرب من عشرين سورة .

٦- ثم المفصلات . تبتدء من سورة الرحمن الى آخر القرآن .

وسميت بذلك لقرب فواصلها وكثرة فصولها .

هذا هو الطابع العام لمصاحف الصحابة ، والنظر فى الاكثر الى مصحف ابن مسعود . و ان كانت المصاحف تختلف مع بعضها فى تقديم بعض السور على بعض وتأخيرها عنها ، او يزيد عدد سور بعضها على بعض . على تفصيل يأتى .

١- تلك السبع الطوال فى مصاحف الصحابة ، غير ان عثمان عمد الى تقديم سورة الانفال فزعمها مع سورة براءة سورة واحدة جعلهما من السبع الطوال . وسيأتى الكلام فى ذلك راجع : الاتقان ج ١ ص ٦٠ ومستدرک الحاكم ج ٢ ص ٢٢١ .

وصف مصحف ابن مسعود :

كان تأليف مصحف عبد الله بن مسعود وفق الترتيب التالي (١) :

١- السبع الطوال : البقرة ، النساء ، آل عمران ، الاعراف ، الانعام ، المائدة

يونس .

٢- المئين : براءة ، النحل ، هود ، يوسف ، الكهف ، الاسراء ، الانبياء ، طه ،

المؤمنون ، الشعراء ، الصافات .

٣- المثاني : الاحزاب ، الحج ، القصص ، النمل ، النور ، الانفال ، مريم ،

العنكبوت ، الروم ، يس ، الفرقان ، الحجر ، الرعد ، سبأ ، فاطر ، ابراهيم ، ص ،

محمد ﷺ ، لقمان ، الزمر .

٤- الحواميم : المؤمن ، الزخرف ، فصات ، الشورى ، الاحقاف ، الجاثية ،

الدخان .

٥- الممتحنات : الفتح ، الحديد (ن) ، الحشر ، السجدة ، ق (ن) ، الطلاق ،

القلم ، الحجرات ، الملك ، التغابن ، المنافقون ، الجمعة ، الصف ، الجن ، نوح ،

١- على ما جاء فى نص ابن اشته (الاتقان ج ١ ص ٤٤) و اكملنا ما سقط منه على

نص ابن النديم (الفهرست ص ٤٤) وارمزنا له بعلامة (ن) .

المجادلة ، الممتحنة ، التحريم .

ع- المفصلات : الرحمن ، النجم ، الطور ، الذاريات ، القمر ، الحاقة(ن)،
الواقعة ، النازعات ، المعارج ، المدثر ، المزمل ، المطففين ، عبس ، الانسان ،
المرسلات ، القيامة ، النبأ ، التكوير ، الانفطار ، الغاشية ، الاعلى ، الليل ، الفجر ،
البروج ، الانشقاق ، العلق ، البلد ، الضحى ، الطارق ، العاديات ، الدين ، القارعة ،
البينة ، الشمس ، التين ، الهمزة ، الفيل ، قريش ، التكاثر ، القدر ، الزلزال ،
العصر ، النصر ، الكوثر ، الكافرون ، المسد ، التوحيد ، الانشراح .
تلك مائة واحدى عشرة سورة . باسقاط سورة الفاتحة وسورتى المعوذتين .
على ماسنذكر .

* * *

جهة اخرى - اختص بها مصحف ابن مسعود - : اسقاطه سورة الفاتحة ،
لاعتقاداً انها ليست من القرآن ، بل لان الثبت فى المصحف كان قيداً للسور دون
الضياع ، وهذه السورة (الفاتحة) مأمونة عن الضياع بذاتها ، لايزال المسلمون يقرأونها
كل يوم عشر مرات او اكثر . ذكره ابن قتيبة فيما يأتى .
اولعه رآها عدلاً للقرآن فى قوله تعالى : «ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن
العظيم» (١) . والسبع المثانى هى سورة الفاتحة .
وعلى اى تقدير فقد اتفق ائمة الفن على خلو مصحفه من سورة الحمد . نقل
ذلك ابن التديم عن الفضل بن شاذان ، وقال : انه احد الائمة فى القرآن والروايات .
ومن ثم يرجح ما ذكره الفضل على ما شهد به نفسه (٢) .
وقال جلال الدين السيوطى : واما اسقاطه الفاتحة فقد اخرج به ابو عبيد بسند

١- سورة الحجر : ٨٧

٢- الفهرست : ابن التديم ص ٤٦

صحيح (١) وكان قد ذكر الرواية قبل ذلك (٢) .

وقال ابن قتيبة : واما اسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لجهله بانها من القرآن ، كيف وهو اشد الصحابة عناية بالقرآن . ولم يزل يسمع رسول الله ﷺ يؤم بها ، ويقول : لاصلاة الا بسورة الحمد ، وهى السبع المثاني وام الكتاب . لكنه ذهب فيما يظن اهل النظر (المحققون) الى ان القرآن انما كتب وجمع بين اللوحين (الدفتين) مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ، وراى ان ذلك مأمون على سورة الحمد ، لقصرها ولانها تثنى فى كل صلاة ، ولوجوب تعلمها على كل مسلم . فلما أمن عليها العلة التى من اجلها كتب المصحف ، ترك كتابتها ، وهو يعلم انها من القرآن (٣) .

* * *

جهة ثالثة : اسقاطه سورتي المعوذتين (الفلق والناس) ، اعتقاداً منه انها معوذة يتعوذ بهما للدفع العين او السحر ، كما وردان النبى ﷺ تعوذ بهما من سحر اليهود ، وقال : ماتعوذ متعوذ بافضل من « قل اعوذ برب الفلق . . . » و « قل اعوذ برب الناس . . . » (٤)

وقد صح الاسناد الى ابن مسعود : انه كان يحك المعوذتين من المصاحف ، ويقول : لا تخطوا بالقرآن ما ليس منه ، انها ليستا من كتاب الله ، انما امر النبى ﷺ ان يتعوذ بهما . . . وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما فى صلاته (٥) . هذا . . . وقد انكر بعضهم صحة هذه النسبة الى ابن مسعود ، كالرازى وابن

١- الاتقان : السيوطى ج ١ ص ٨٠

٢- » » » ص ٦٥

٣- تأويل مشكل القرآن ص ٢٨ - ٢٩ ط ٢

٤- الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٦ - ٢١٧

٥- فتح البارى لابن حجر ج ٨ ص ٥٧١ . والدر المنثور ج ٦ ص ٢١٦

حزم - فيما نقل عنهما ابن حجر - ورد عليهما بصحة اسناد الرواية ، قال : والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل . بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل (١) .
واخذ الباقلاني في بيان هذا التأويل ، قال : لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن ، وانما انكر اثباتهما في المصحف ، فانه كان يرى ان لا يكتب في المصحف شيئاً الا ان كان النبي ﷺ اذن في كتابته فيه . وكأنه لم يبلغه الاذن في ذلك ، فهذا تأويل منه وليس جحداً لكونهما قرآناً ...

قال ابن حجر : وهذا تأويل حسن ، الا ان الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك ، حيث جاء فيها : ويقول انهما ليستا من كتاب الله . نعم يمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف ، فيتمشى التأويل المذكور (٢) .
قلت هذا التأويل الاخير ايضاً لا يلتزم مع قوله . «لا تخطوا بالقرآن ما ليس منه» . (٣)

(ملحوظة) : قد يزعم البعض ان ما نسب الى ابن مسعود يناقض القول بتواتر النص القرآني !

لكن غير خفي : ان ابن مسعود لم ينكر كونهما وحياً - بالمعنى العام - وانما انكر كونهما وحياً قرآنياً - بسمة كونهما من كتاب الله - فالاتفاق على ان المعوذتين وحى من الله حاصل من الجميع ، وانما الاختلاف جاء في توصيفهما الخاص : هل هما من كتاب الله (القرآن) ام لا ؟ . وهذا لا يضر بعد الاتفاق المذكور .

* * *

جهة رابعة : قال صاحب الاقناع : كانت البسمة ثابتة لبراءة في مصحف ابن

١- فتح الباري ج ٨ ص ٥٧١

٢- نفس المصدر

٣- الدر المنثور ج ٦ ص ٤١٦ - ٤١٧

مسعود . قال : ولا يؤخذ بهذا (١) .

ويعنى بكلامه الاخير : ان ابن مسعود كانت له مخالفات شاذة ، نبذها الصحابة والتابعون ، ولعلها كانت اجتهادات شخصية خطأه الآخرون عليها . كمذهبه فى التطبيق (٢) . قال ابن حزم : والتطبيق فى الصلاة لايجوز ، لانه منسوخ . وكان ابن مسعود يفعله ، وكان يضرب الابدى على تركه . وكذلك كان اصحابه يفعلونه . وفى ذلك قال ابن مسعود - فيما روينا عنه - : علمنا رسول الله ﷺ الصلاة فكبر . فلما اراد ان يركع طبق يديه بين ركبتيه وركع . فبلغ ذلك سعد بن ابى وقاص ، فقال : صدق اخى ، قد كنا نفعل هذا ، ثم امرنا بهذا ، اى الامساك بالركب (٣) . قال الامام الرازى - بشأن مخالفات ابن مسعود - : يجب علينا احسان الظن به ، وان نقول : انه رجع عن هذه المذاهب (٤) .

* * *

جهة خامسة : اختلاف قراءته مع النص المشهور فى كثير من الاى . وهذا الاختلاف كان يرجع الى تبديل كلمة الى مرادفتها فى النص وكان ذلك غالباً لغرض الايضاح والافهام .

والمعروف من مذهب ابن مسعود : توسيعه فى قراءة الفاظ القرآن ، فكان يجوز ان تبدل كلمة الى اخرى مرادفتها ، اذا كانت الثانية اوضح ولا تغير شيئاً من المعنى الاصلى .

قال : لقد سمعت القرآء ووجدت انهم متقاربون ، فاقرأوا كما علمتم - اى

١- الاتقان ج ١ ص ٤٥

٢- هو : تطبيق بطن الكفين احدهما على الاخرى وجعلهما بين الركبتين حالة الركوع

٣- المحلى ج ٣ ص ٢٧٢ المسألة رقم : ٣٧٥ . وراجع : لسان العرب ، مادة :

ط ب ق .

٤- التفسير الكبير ج ١ ص ٢١٣

كيفما علمكم القارىء الاستاذ - فهو كقولكم: هلم وتعال (١) .

وكان يعلم رجلا عجمياً القرآن، فقال : ان شجرة الزقوم طعام الاثيم . فكان يقول الرجل : طعام اليتيم ، ولم يستطع ان يقول : الاثيم . فقال له ابن مسعود : قل : طعام الفاجر . ثم قال ابن مسعود : انه ليس من الخطاء فى القرآن ان يقرأ مكان «العليم» «الحكيم» . بل ان يضع آية الرحمة مكان آية العذاب (٢) .

ومن هذا القبيل ما رواه الطبرى : كان ابن مسعود يقول : لباس هو ادريس ، فقرأ : وان ادريس لمن المرسلين . وقرأ : سلام على ادراسين (٣) .

وذكر ابن قتيبة : ان ابن مسعود كان يقرأ : « وتكون الجبال كالصوف المنفوش» (٤) بدل «العهن المنفوش» لان العهن هو الصوف ، وهذا اوضح وآنس للافهام .

* * *

هذا... ومن ثم تعود بعض المفسرين القدامى ، اذا اشكل عليهم فهم كلمة غريبة فى النص القرآنى ، ان يراجعوا قراءة ابن مسعود فى ذلك ، فلا بد انه ابدلها بكلمة اخرى مرادفة لها اوضح وابين للمقصود الاصلى :

قال مجاهد : كنا لاندرى ما الزخرف ، حتى رأيناه فى قراءة ابن مسعود : او يكون لك بيت من ذهب (٥) .

١- معجم الادباء لياقوت الحموى ج ٤ ص ١٩٣ رقم : ٣٣ فى ترجمة احمد بن محمد ابن يزداد بن رستم . ط دار المأمون . وفى طبعة مرجليوث : رقم ٢٤ ج ٢ ص ٦٠ وراجع - ايضاً :- النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٢١ والاتقان ج ١ ص ٤٧

٢- تفسير الامام الرازى ج ١ ص ٢١٣

٣- جامع البيان ج ٢٣ ص ٩٦ . والاية فى سورة الصافات : ١٢٣ و ١٣٠

٤- تأويل مشكل القرآن ص ٢٤ . والاية فى سورة القارة : ٥

٥- تفسير الطبرى ج ١٥ ص ١٦٣ . والاية فى سورة الاسراء : ٩٣

وفسر الزمخشري اليمين في قوله تعالى : «والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما»
باليمينين ، لان ابن مسعود قرأ : فاقطعوا ايمانهما (١) .

وذكر الغزالي من اداب البيع : اقامة لسان الميزان ، فان النقصان والرجحان
يظهر بميله ، واستشهد بقراءة ابن مسعود : واقموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان ،
قال : لان القسط - فى القراءة المشهورة - انما يقوم بلسان الميزان (٢) .
وفى بعض طبقات احياء العلوم صححوه وفق النص المشهور ، ففاتهم غرض
استشهاد المؤلف .

وهكذا قرأ : انى نذرت للرحمان صمتا فلن اكلم اليوم انسيا (٣) بدل
«صوما» لان الصوم المندور كان صوم صمت .

وقرأ : يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا مهلونا نقتبس من نور كم (٤)
بدل «انظرونا» لان المقصود هو الامهال .

وقرأ : ان كانت الازقية واحدة (٥) بدل «صبيحة واحدة» .

قال العلامة الطبرسى : هو من زقى الطير : اذا صاح . وكأن ابن مسعود استعمل
هنا صياح الديك تنبيها على ان البعث بما فيه من عظيم القدرة واستثارة الموتى من القبور ،
سهل على الله تعالى كزقية زقاها طائر . فهو كقوله تعالى : وما خلقكم وما بعثكم الا كنفس
واحدة (٦) .

* * *

١- الكشف ج ١ ص ٤٥٩ . والاية فى سورة المائدة : ٣٨

٢- احياء العلوم ج ٢ ص ٧٧ . والاية فى سورة الرحمان : ٩

٣- تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٤٠ . والاية فى سورة مريم : ٢٦

٤- الاتقان ج ١ ص ٤٧ ، والاية فى سورة الحديد : ١٣

٥- سورة يس : ٢٩ و ٥٢

٦- مجمع البيان ج ٨ ص ٢٢١ . والاية فى سورة لقمان : ٢٨

(ملحوظة) : قد يأخذ البعض من هذا الاختلاف في قراءة النص القرآني ذريعة للطن عليه ، كما جاء في كلام المستشرق الالمانى العلامة نولدكه ، فى كتابه : مذاهب التفسير الاسلامى . الذى وضعه لهذا الغرض .

لكنها محاولة فاشلة بعد ان علمنا ان الاختلاف كان فى مجرد القراءة خارج النص الثابت فى المصحف . فالنص القرآنى شىء لم يختلف فيه اثنان ، وهو المثبت فى المصحف الشريف منذ العهد الاول الاسلامى حتى العصر الحاضر ، ومن ثم لم يمسوه حتى لاصلاح اخطائه الاملائية . تحفظاً على نص الوحي يبقى بلا تحوير . نعم جاءت قضية مراعاة جانب التسهيل على الامة ، من بعض السلف ، لتجاوز القراءة بأى نحو كانت ، مادامت تؤدى نفس المعنى الاصلى من غير تحريف فيه . الامر الذى يكون خارج النص المثبت قطعياً .

ومن ثم اجاز ابن مسعود : ان ينطق ذلك الاعجمى بسدل طعام الاثيم بطعام الفاجر (١) . فاستبدل من النص الصعب التلفظ بالنسبة اليه ، لفظا سهلا . . لكنه لم يثبتته فى المصحف كنص قرآنى . ولم يكن ذلك منه تجويز التبديل فى نص الوحي .. حاشاه !

وهكذا كان تجويز عائشة لذلك العراقى : وما يضر كآيه قرأت (٢) . توسعة فى مقام القراءة فقط ، لا توسعة فى ثبت النص القرآنى الذى هو وحي السماء ، فى المصحف ، ولا شك ان مصحفها كان ذا ثبت واحد قطعاً .

* * *

جهة سادسة : ربما كان ابن مسعود يزيد فى لفظ النص زيادات تفسيرية كانت اشبه بتعليقات ايضا حية ادرجت ضمن النص الاصلى . وهذا ايضا كان مبنياً على مذهبه : التوسعة فى اللفظ ، لغرض الايضاح ، مع

التحفظ على نفس المعنى الاصيل .

وهكذا اعتبر ائمة الفن هذه الزيادات فى قراءة ابن مسعود تفسيرات ، ولم يعتبروها نصاً قرآنياً منسوباً الى ابن مسعود ، ليكون اختلاف بين السلف فى نص الوحى !..

نعم كانت هذه التوسعة من ابن مسعود محاباة غير مستحسنة بالنص القرآنى ، ربما كانت تؤدى بالنص الاصلى وتجعله عرضة للتحرير والتغيير ، الامر الذى كان ينافى تماماً مع تلك الحيطة والحذر على نص القرآن النازل من السماء . وقد تمسك بعض الاغبياء بذلك وجعله دليلاً على جواز ادخال ما ليس من القرآن فى القرآن اذا كان الغرض هو التفسير والايضاح (١) لكنه تفريع على اصل باطل .

* * *

وعلى اى تقدير فقد نسب الى ابن مسعود زيادات جاءت فى قراءته ، نذكر منها ما يلى ، والزيادة هى التى بين معقوفتين :

قرأ : « كان الناس امة واحدة (فاختلفوا) فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه (٢) » .

وهذه الزيادة ترفع ابهاماً كان فى وجه الآية : هل كانت بعثة الانبياء سبباً للاختلاف ، ام كان العكس ؟ وذيل الآية يعين هذا الاخير ، وجاءت الزيادة توضح هذا الجانب اكثر .

وقرأ : « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم (وهو اب لهم) وازواجه امهاتهم(٣) » فجاءت الزيادة انسجماً مع ذيل الآية ، وتوضيحاً لسبب ولايته - صلى الله عليه وآله - على المؤمنين .

١- راجع : الزرقانى على الموطأ ج ١ ص ٢٥٥

٢- سورة البقرة : ٢١٣ . الكشف ج ١ ص ٢٥٥

٣- سورة الاحزاب : ٦ . الكشف ج ٢ ص ٥٢٣

وقرأ : «وجئتكم بآيات - والنص : بآية - من ربكم فاتقوا الله (لما جئكم من الآيات) واطيعوني (فيما ادعوكم اليه) (١)» .

وقرأ : «وامرأته قائمة (وهو قاعد) فضحكت (٢)» .

وقرأ : «ما يكون من نجوى ثلاثة الا الله - والنص : الالهو - رابعهم (ولا اربعة الا الله خامسهم) ولا خمسة الا الله - والنص : الالهو - سادسهم ولا اقل - والنص : ولادنى - من ذلك ولا اكثر الا الله - والنص : الالهو - معهم (اذ انتجوا) (٣)» .

وقرأ : «ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة (انثى) ولى نعجة (انثى) (٤)» .

وقرأ : «وانذر عشيرتك الاقربين (ورهلك منهم المخلصين) (٥)» .

* * *

واخرج ابن مردويه عن ابن مسعود انه قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ «يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك (ان علياً مولى المؤمنين) وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» (٦) .

والظاهر : انه اراد تفسير الآية ، وانها كانت على عهده - صلى الله عليه وآله - هكذا تفسر .

وقرأ : « بل عجبت ويسخرون » - بضم التاء - (٧) والقراءة المشهورة هي بالفتح .

١- سورة آل عمران : ٥٠ . الكشف ج ١ ص ٣٦٥

٢- سورة هود : ٧١ . الكشف ج ٢ ص ٢١٠

٣- سورة المجادلة : ٧ . الكشف ج ٣ ص ٢٩٠

٤- سورة ص : ٢٣ . الكشف ج ٤ ص ٨٥ وتاويل مشكل القرآن ص ٢٩ و ص ٧٣

٥- سورة الشعراء : ٢٤٠ . مجمع البيان ج ٧ ص ٢٠٦ والبحار ج ١٨ ص ١٦٢

٦- الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨

٧- سورة الصافات : ١٣ . الكشف ج ٤ ص ٣٨ والطبرى ج ٢٣ ص ٢٩

وانكر ذلك شريح وقال : ان الله لا يعجب انما يعجب من لا علم له . قال الاعمش
 فذكرت ذلك لابراهيم النخعي . فقال : ان شريحا كان معجبا برأيه ، ان عبد الله قرأ
 «بل عجبت» بالضم ، وعبد الله اعلم من شريح . وازافة العجب الى الله ورد الخبر به
 كقوله : عجب ربكم من شاب ليس له صبوة . وعجب ربكم من الكم وقنوطكم .
 ويكون ذلك على وجهين : عجب مما يرضى ، ومعناه : الاستحسان والخبر عن تمام
 الرضا . وعجب مما يكره ، ومعناه : الانكار له والذم (١) . والال - بكسر الهمزة
 وتشديد اللام : شدة اليأس اورفع الصوت بالبكاء على اثره . وصححنا الحديث على
 نهاية ابن الاثير .

وقال الرمخشري : فان قلت : كيف يجوز العجب على الله وانما هو روعة
 تعترى الانسان عند استعظام الشيء ، والله تعالى لا يجوز عليه الروعة ؟ قلت : فيه
 وجهان ، احدهما : ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام . والثاني : ان يتخيل العجب
 ويفرض . وقد جاء فى الحديث : عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته
 اياكم (٢) .

وقد اوردنا هذا البحث هنا كنموذج هو دليل على مبلغ اهتمام المفسرين واعتناء
 الائمة بقراءات ابن مسعود الرجل العظيم .

* * *

ومن غريب قرائته النقص ايضاً . قرأ : «والذكر والانثى» (٣) بدل «وما خلق
 الذكر والانثى» .

روى البخارى فى صحيحه : قال : قدم اصحاب عبد الله الى الشام ، وفيهم
 علقمة . فجاءهم ابو الدرداء وقال : ايكم يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قالوا : كلنا . قال :

١- مجمع البيان ج ٨ ص ٢٢٠

٢- الكشف ج ٢ ص ٣٧

٣- سورة الليل : ٣

فأيكم يحفظ ؟ فاشاروا الى علقمة . قال : كيف سمعته يقرأ « والليل اذا يغشى ... » ؟
قال علقمة : « والذكر والانثى » . قال ابو الدرداء : اشهد انى سمعت رسول الله
ﷺ يقرأ هكذا ، وهؤلاء يريدونى على ان أقرأ « وما خلق الذكر والانثى » والله
لا اتابعهم (١) .

واسند الزمخشري هذه القراءة الى النبي ﷺ (٢) .
وفى رواية الاعمش عن ابن مسعود : انه قرأ : « حم سق » بلاعين . وهكذا
قرأ ابن عباس ايضاً (٣) .

١- صحيح البخارى ج ٦ ص ٢١١ وج ٥ ص ٣٥

٢- الكشف ج ٢ ص ٧٦١

٣- مجمع البيان ج ٩ ص ٢١

وصف مصحف أبي بن كعب:

كان ترتيب مصحف أبي قريباً من مصحف ابن مسعود ، غير انه قدم سورة الانفال ، وجعلها بعد سورة يونس وقبل سورة براءة . وقدم سورة مريم والشعراء والحج على سورة يوسف . وهكذا مما سيتبين في الجدول الاتي .

وقد اشتمل مصحفه على مائة وخمسة عشرة سورة . جعل سورتي الفيل وقريش سورة واحدة . وزاد سورتي الخلع والحفد ، وسندكرهما .

وكان مصحفه مفتتحاً بسورة الحمد ، ومختتماً بالمعوذتين ، كمصحفنا اليوم . (١)

(جهة اخرى) : اشتمال مصحفه على دعائي القنوت ، باعتبارهما سورتين فيما

زعم . اما الخلع فهي : « بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثنى

عليك الخير . ولا نكفرك . ونخلع ونترك من يفجرك » . واما الحفد فهي : « بسم الله الرحمن

الرحيم . اللهم اياك نعبد ولك نصلی ونسجد . واليك نسعى ونحفد . نخشى عذابك

ونرجو رحمتك . ان عذابك بالكفار ملحق » (٢) .

(جهة ثالثة) : كان قد ترك البسملة بين سورتي الفيل وقريش ، باعتبارهما

١- الاتقان ج ١ ص ٦٢ ٦٥

٢- نفس المصدر ص ٦٥

سورة واحدة . (١) وقد ورد في احاديث اهل البيت -عليهم السلام- ايضا : انها سورة واحدة ، ولكن مع فصل البسملة بينهما . فاذا قرأ المصلى : «الم تركيف فعل ربك» يجب ان يقرأ معها : «لا يلاف قريش» . فهما سورة واحدة قراءة ولكنهما سورتان ثبناً ، على عكس ما في مصحف ابي .

روى العياشي عن ابي العباس عن احدهما (الامام الباقر والامام الصادق عليهما السلام) قال :
الم تركيف فعل ربك ، ولا يلاف قريش ، سورة واحدة .

وهكذا روينا بشأن سورتى الضحى والانشراح : انها سورة واحدة (٢) .

وقد افتى بذلك علماءنا الاعلام . قال المحقق الحلى - قدس سره - : روى اصحابنا ان الضحى وألم نشرح سورة واحدة . وكذا الفيل ولا يلاف . ولا يجوز افراد احدهما عن صاحبتهما في كل ركعة» (٣) .

وفي مجمع البيان : روى ان ابي بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه (٤) .
(جهة رابعة) : كان افتتح سورة الزمر في مصحفه بـ «حم» . فيكون عدد الحواميم عنده ثمانية . اخرجه ابن اشته في كتاب المصاحف ، قال : ثم الزمر اولها حم (٥) .
(جهة خامسة) : اختلاف قرائته مع النص المشهور على نحو اختلاف قراءة ابن مسعود ، واليك نماذج من قراءاته الشاذة :

قرأ : «قالوا من هبنا من مرقدنا» بدل «من بعثنا» (٦) .

١- نفس المصدر .

٢- راجع : وسائل الشيعة : ج ٤ ص ٧٤٣

٣- راجع جواهر الكلام بشرح شرايع الاسلام ج ١٠ ص ٢٠

٤- مجمع البيان : الطبرسى ج ١٠ ص ٥٢٢

٥- الاتقان ج ١ ص ٦٢

٦- سورة يس : ٥٢ . مجمع البيان ج ٨ ص ٢٢٨

وقرأ : «كلما اضاء لهم مروا فيه» . وقرأ - ايضاً - : «سعوا فيه» بدل «مشوا فيه» (١) .

وقرأ : «فصيام ثلاثة ايام (متابعات) في الحج» (٢) . نظراً لانه يجب التتابع فيها ، فوضحها بهذه الزيادة !

وقرأ : «فما استمتعتم به منهن (الى اجل مسمى) فاتوهن اجورهن فريضة» (٣) للتخصيص على انها متعة النكاح .

وقرأ : «ان الساعة آتية اكاد اخفيها (من نفسى فكيف اظهركم عليها)» (٤) . شرح وتفسير للآية .

وقرأ : «اذجعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية (ولو حميتكم كما حموا لفسد المسجد الحرام) فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين» (٥) .

* * *

وفيما يلى جدول يقارن بين مصاحف السلف وترتيب مصحفنا اليوم . اخذناه من نص ابن اشته (٦) واكملنا سقطاته على نص ابن النديم . وارمزنا له بعلامة (ن) واعتمد هذا الاخير على رواية الفضل بن شاذان ، اعتماداً يرجحه على ما شاهده بنفسه . قال : رأيت عدة مصاحف ذكر نساخها انها مصحف عبدالله بن مسعود ، ليس فيها

١- سورة البقرة : ٢٠ . الاتقان ج ١ ص ٤٧

٢- سورة البقرة : ١٩٦ . الكشف ج ١ ص ٢٤٢

٣- سورة النساء : ٢٤ . جامع البيان للطبرى ج ٥ ص ٩

٤- سورة طه : ١٥ . تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٥ ط ٢

٥- سورة الفتح : ٢٦ . عبقات الانوار - طبعة الهند - مجلد حديث مدينة العلم

ص ٥١٨ .

٦- الاتقان ج ١ ص ٦٤

مصحفان متفقان . واكثرها فى رق كثير النسخ . وقد رأيت مصحفاً قد كتب منذ نحو
مأتى سنة فيه فاتحة الكتاب . والفضل بن شاذان احد الائمة فى القرآن والروايات،
فلذلك ذكرنا مقاله دون ماشهدناه (١) .

جدول يقارن بين ثلاثة مصاحف :

مصحف عبدالله بن مسعود ومصحف ابي بن كعب وترتيب مصحفنا اليوم

رقم السورة	مصحف عبدالله بن مسعود	مصحف ابي بن كعب	المصحف الحاضر
١	...	الفاتحة	الفاتحة
٢	البقرة	البقرة	البقرة
٣	النساء	النساء	آل عمران
٤	آل عمران	آل عمران	النساء
٥	الاعراف	الانعام	المائدة
٦	الانعام	الاعراف	الانعام
٧	المائدة	المائدة	الاعراف
٨	يونس	يونس	الانفال
٩	براءة	الانفال	التوبة
١٠	النحل	براءة	يونس
١١	هود	هود	هود
١٢	يوسف	مريم	يوسف

رقم السورة	مصحف عبدالله بن مسعود	مصحف ابي بن كعب	المصحف الحاضر
١٣	الكهف	الشعراء	الرعد
١٤	الاسراء	الحج	ابراهيم
١٥	الانبياء	يوسف	الحجر
١٦	طه	الكهف	النحل
١٧	المؤمنون	النحل	الاسراء
١٨	الشعراء	الاحزاب	الكهف
١٩	الصافات	الاسراء	مريم
٢٠	الاحزاب	الزمر (اولها حم)	طه
٢١	الحج	طه	الانبياء
٢٢	القصص	الانبياء	الحج
٢٣	النمل	النور	المؤمنون
٢٤	النور	المؤمنون	النور
٢٥	الانفال	سباء	الفرقان
٢٦	مريم	العنكبوت	الشعراء
٢٧	العنكبوت	المؤمن (غافر)	النمل
٢٨	الروم	الرعد	القصص
٢٩	يس	القصص	العنكبوت
٣٠	الفرقان	النمل	الروم
٣١	الحجر	الصافات	لقمان
٣٢	الرعد	ص	السجدة
٣٣	سباء	يس	الاحزاب

رقم السورة	مصحف عبدالله بن مسعود	مصحف ابي بن كعب	المصحف الحاضر
٣٤	فاطر	الحجر	سبا
٣٥	ابراهيم	الشورى	فاطر
٣٦	ص	الروم	يس
٣٧	محمد ﷺ	الزخرف (ن)	الصافات
٣٨	لقمان	فصلت (ن)	ص
٣٩	الزمر	ابراهيم (ن)	الزمر
٤٠	المؤمن	فاطر (ن)	غافر
٤١	الزخرف	الحديد (١)	فصلت
٤٢	فصلت	الفتح	الشورى
٤٣	الشورى	محمد ﷺ	الزخرف
٤٤	الاحقاف	المجادلة	الدخان
٤٥	البجائية	الملك	البجائية
٤٦	الدخان	الفرقان (ن)	الاحقاف
٤٧	الفتح	السجدة	محمد ﷺ
٤٨	الحديد (ن)	نوح	الفتح
٤٩	الحشر	الاحقاف	الحجرات
٥٠	السجدة	ق	ق
٥١	ق (ن)	الرحمن	الذاريات
٥٢	الطلاق	الواقعة	الطور
٥٣	القلم (٢)	الجن	النجم

١- جعلها ابن النديم بعد سورة محمد -ص-

٢- جعلها ابن النديم بعد سورة الواقعة

رقم السورة	مصحف عبدالله بن مسعود	مصحف ابي بن كعب	المصحف الحاضر
٥٤	الحجرات	النجم	القمر
٥٥	الملك	المعارج	الرحمن
٥٦	التغابن	المزمل	الواقعة
٥٧	المنافقون	المدثر	الحديد
٥٨	الجمعة	القمر	المجادلة
٥٩	الصف	الدخان	الحشر
٦٠	الجن	لقمان	المنتهى
٦١	نوح	الجاثية	الصف
٦٢	المجادلة	الطور	الجمعة
٦٣	المنتهى	الذاريات	المنافقون
٦٤	التحريم	القلم	التغابن
٦٥	الرحمن	الحاقة	الطلاق
٦٦	النجم	الحشر	التحريم
٦٧	الطور (١)	المنتهى	الملك
٦٨	الذاريات	المرسلات	القلم
٦٩	القمر	النبا	الحاقة
٧٠	الحاقة (ن)	الدهر (ن)	المعارج
٧١	الواقعة	القيامة	نوح
٧٢	النازعات	التكوير	الجن
٧٣	المعارج	الطلاق	المزمل

رقم السورة	مصحف عبدالله بن مسعود	مصحف ابي بن كعب	المصحف الحاضر
٧٤	المدثر	النازعات	المدثر
٧٥	المزمل	التغابن	القيامة
٧٦	المطففين	عبس (١)	الانسان
٧٧	عبس	المطففين	المرسلات
٧٨	الدهر	الانشقاق	النبأ
٧٩	المرسلات (٢)	التين	النازعات
٨٠	القيامة	العلق	عبس
٨١	النباء	الحجرات	التكوير
٨٢	التكوير	المنافقون	الانفطار
٨٣	الانفطار	الجمعة	المطففين
٨٤	الغاشية	التحریم	الانشقاق
٨٥	الاعلى	الفجر	البروج
٨٦	الليل	البلد	الطارق
٨٧	الفجر	الليل	الاعلى
٨٨	البروج	الانفطار	الغاشية
٨٩	الانشقاق	الشمس	الفجر
٩٠	العلق	البروج (ن)	البلد
٩١	البلد	الطارق	الشمس
٩٢	الضحى	الاعلى	الليل

١- جعلها ابن التديم بعد سورة الغاشية

٢- جعلها ابن التديم بعد سورة القيامة

رقم السورة	مصحف عبدالله بن مسعود	مصحف ابي بن كعب	المصحف الحاضر
٩٣	الطارق	الغاشية	الضحى
٩٤	العاديات	الصف (١)	الشرح
٩٥	الماعون	البينة	التين
٩٦	القارعة	الضحى	العلق
٩٧	البينة	الانشراح	القدر
٩٨	الشمس	القارعة	البينة
٩٩	التين	التكاثر	الزلزلة
١٠٠	الهمزة	العصر	العاديات
١٠١	الفيل	الخلع	القارعة
١٠٢	قريش	الحقد	التكاثر
١٠٣	التكاثر	الهمزة	العصر
١٠٤	القدر	الزلزلة	الهمزة
١٠٥	الزلزلة	العاديات	الفيل
١٠٦	العصر	الفيل	قريش
١٠٧	النصر	قريش (٢)	الماعون
١٠٨	الكوثر	الماعون	الكوثر
١٠٩	الكافرون	الكوثر	الكافرون
١١٠	المسد	القدر	النصر
١١١	التوحيد	الكافرون	المسد

١ - جعلها ابن النديم بعد سورة البينة

٢ - جعلها ابن النديم بعد سورة الضحى

رقم السورة	مصحف عبدالله بن مسعود	مصحف ابي بن كعب	المصحف الحاضر
١١٢	الانشراح (١)	النصر	الاخلاص
١١٣		المسد	الفلق
١١٤		التوحيد	الناس
١١٥		الفلق	
١١٦		الناس (٢)	

١- جعلها ابن التديم بعد سورة المسد

٢- تلك مائة وست عشرة سورة . لكن بما ان سورتي الفيل وقريش في مصحف ابي

واحدة ، فمجموع سورته ١١٥ سورة .

٢- توحيد المصاحف

- * اختلاف المصاحف
- * نماذج من اختلاف العامة
- * عثمان يأتمر صحابة الرسول
- * عقد لجنة توحيد المصاحف
- * شخصية الاعضاء اجمالاً
- * موقف الصحابة تجاه المشروع
- * عام تأسيس اللجنة
- * منجزات المشروع المصاحفى
- * عدد المصاحف العثمانية
- * تعريف عام بهذه المصاحف
- * النقط والتشكيل
- * اخطاء املائية
- * تحسينات متأخرة
- * فذلكة البحث

سبق ان الفترة بعد وفاة النبي ﷺ كانت فترة جمع القرآن ، فقد اهتم كبار الصحابة بتأليف سور القرآن وجمع آياته ، حسب ما اوتوا من علم وكفاءة ، كل في مصحف يخصصه . وآخرون اعوزتهم الكفاءة فلجأوا الى غيرهم ليستنسخوا لهم مصاحف او يجمعوا لهم آيات وسوراً في صحف . وهكذا اخذت نسخ المصاحف تتزايد ، اطراداً مع اتساع رقعة الاسلام . كان المسلمون وهم في كثرة مطردة ، ومنتشرون في اطراف البلاد المترامية ، قد احسوا بحاجتهم القريبة الى نسخ من كتاب الله ، حيث كان الدستور السماوى الوحيد الذى كان المسلمون ينظمون عليه معالم حياتهم العامة فى جميع جوانبها ، فهو مصدرهم فى الاحكام والتشريعات والتنظيمات . وقد احرز بعض هذه المصاحف فى العالم الاسلامى آنذاك مقاماً رفيعاً حسب انتسابه الى جامعته : كمصحف عبدالله بن مسعود الصحابى الجليل . كان مرجع اهل الكوفة وهوبلد العلم ومعهد الدراسات الاسلامية العليا . ومصحف ابي بن كعب فى الاقطار الشامية . ومصحف ابي موسى الاشعري فى البصرة . ومصحف المقداد بن الاسود فى دمشق ... وهكذا .

اختلاف المصاحف :

ولما كان جامعو المصاحف متعددين ومتباعين ، ومختلفين بحسب الكفاءة والمقدرة والاستعداد ، وكانت كل نسخة منها تشتمل على ما جمعه صاحبها ، وما جمعه واحد لا يتفق تماماً مع ما جمعه آخرون . . كانت طبيعة الحال تقضى باختلاف في تأليف تلك المصاحف ، اسلوباً وترتيباً وقراءة وغيرها . وقد تقدم حديث مسابن مصاحف السلف من اختلاف .

وهذا الاختلاف في المصاحف وفي القراءات ، كان بلا شك يستدعى اختلافاً بين الناس ، عند ما تجمعهم ندوة او مناسبة ، على مختلف نزعاتهم واتجاهاتهم يومذاك . فربما كان المسلمون يجتمعون في غزوة او احتفال ، وهم من اقطار متباعدة ، فيقع بينهم نزاع وجدل ، وانكار احدهم على الآخر ، فيما يتعصبون له من مذهب او عقيدة اورأى .

نماذج من اختلاف العامة :

وفيما يلي عرض موجز عن نماذج من اختلاف العامة على المصاحف فيما تعصبوا له من قراءات اصحابها :

١- في غزو مرج ارمينية : بعد ما قفل حذيفة راجعاً من غزو الباب (مرج ارمينية - آذربيجان) قال لسعيد بن العاص ، وكان بصحبته : لقد رأيت في سفرى هذا أمراً ، لئن ترك ليختلفن في القرآن ، ثم لا يقومون عليه ابدأ ! قال سعيد : وما ذاك ؟ قال : رأيت اناساً من اهل حمص يزعمون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، وانهم اخذوا القرآن عن المقداد ، ورأيت اهل دمشق يقولون : ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، ورأيت اهل الكوفة يقولون مثل ذلك ، وانهم قرأوا على ابن مسعود . واهل البصرة يقولون مثل ذلك ، وانهم قرأوا على ابي موسى الاشعري ، ويسمون مصحفه «لباب القلوب» .

فلما وصل ركب حذيفة وسعيد الى الكوفة ، اخبر حذيفة الناس بذلك ، وحذروهم ما يخاف . فوافقه اصحاب رسول الله ﷺ وكثير من التابعين .

وقال له اصحاب ابن مسعود : ماتنكر ، ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود ؟! فغضب حذيفة ومن وافقه ، وقالوا : انما انتم اعراب فاسكتوا ، فانكم على خطأ . وقال حذيفة : والله لئن عشت لاتين امير المؤمنين - يعنى عثمان - ولاشيرن عليه ان يحول بين الناس وبين ذلك .

فاغلظ له ابن مسعود ، فغضب سعيد وقام ، وتفرق الناس . وغضب حذيفة وسار الى عثمان ... (١) .

٢- فى مسجد الكوفة : عن يزيد النخعى ، قال : انى لفى المسجد - مسجد الكوفة - زمن الوليد بن عقبة - وكان والياً على الكوفة من قبل عثمان - فى حلقة فيها حذيفة بن اليمان . وليس اذذاك حجة ولا جلاوزة - اى لم يكن للمسجد آنذاك سدنة وحفظة - اذهتف هاتف : من كان يقرأ على قراءة ابي موسى ، فلبأت الزاوية التى عند باب كمدة . ومن كان يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود ، فلبأت الزاوية التى عند دار عبد الله . واختلفا فى آية من سورة البقرة ، قرأ هذا : «واتموا الحج والعمرة للبيت» . وقرأ هذا : «واتموا الحج والعمرة لله» !

فغضب حذيفة واحمرت عيناه ، ثم قام ففرز قميصه فى حجزته وهو فى المسجد ، فقال اما ان يركب الى امير المؤمنين واما ان اركب . فهكذا كان من قبلكم ...

وفى رواية ابي الشعثاء : «فقال حذيفة : قراءة ابن ام عبد ! وقراءة ابي موسى الاشعري ! والله ان بقيت حتى اتى امير المؤمنين ، لامرته بجعلها قراءة واحدة .. فغضب عبد الله ، فقال كلمة شديدة فسكت حذيفة ..

وفى رواية ثالثة : قال حذيفة : يقول اهل الكوفة : قراءة عبد الله ! ويقول اهل البصرة : قراءة ابي موسى ! والله لئن قدمت على امير المؤمنين لامرته بفرق هذه

المصاحف ! فقال له عبد الله : اما والله لئن فعلت ليغرقنك الله في غير ماء - يعنى سقر (١) .
وروى ابن حجر : ان ابن مسعود قال لحذيفة : بلغنى عنك كذا ، قال : نعم ، كرهت
ان يقال قراءة فلان وقراءة فلان ، فيختلفون كما اختلف اهل الكتاب (٢) .

٣- فى نفس المدينة : اخرج ابن اشته عن انس بن مالك ، قال : اختلفوا فى
القرآن على عهد عثمان ، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل - احد اصحاب المصاحف -
والمعلم يعلم قراءة الرجل - آخر من اصحاب المصاحف - فكان الغلمان يلتقون
فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك الى المعلمين ، فجعل يكفر بعضهم بقراءة بعض ، فبلغ
ذلك عثمان بن عفان ، فقال : عندى تكذبون به وتلحنون فيه ، فمن نأى عنى كان
اشد تكذيباً ولحناً ... (٣) .

وعن محمد بن سيرين ، قال : كان الرجل يقرأ حتى يقول الرجل لصاحبه :
كفرت بما تقول ! . فرفع ذلك الى عثمان فتعاضم فى نفسه ، فجمع اثنى عشر رجلاً
من قريش والانصار ... (٤) .

وعن بكير الاشج قال : ان انساناً بالعراق كان يسأل احدهم عن الآية ، فاذا
قرأها ، قال - اى السائل - : الا انى اكفر بهذه القراءة . ففشا ذلك فى الناس ، فتكلم
بعضهم مع عثمان فى ذلك (٥) .

وهكذا وقعت حوادث حول اختلاف قراءة القرآن كانت تنذر بسوء ووقوع
فتن ربما لاتحمد عقباها ، لولا تداركها من قبل رجال نابھين امثال حذيفة بن اليمان
واضرابه ، رضوان الله عليهم .

١- المصاحف لابن ابى داود السجستانى ص ١١ - ١٤

٢- فتح البارى بشرح البخارى ج ٩ ص ١٥

٣- الاتقان ج ١ ص ٥٩ والمصاحف ص ٢١

٤- طبقات ابن سعد ج ٣ ق ٢ ص ٦٢ والمصاحف ص ٢٥

٥- فتح البارى ج ٩ ص ١٦

قدوم حذيفة المدينة :

عند مارجع حذيفة من غزو أرمينية ، ناقماً اختلاف الناس فى القرآن ، استشار من كان بالكوفة من صحابة الرسول ﷺ بشأن معالجة القضية قبل تفاقم الامر . فكان رأيه حمل عثمان على ان يقوم بتوحيد نسخ المصاحف ، والغاء الناس على قراءة واحدة ، فاتفقت كلمة الصحابة على صواب هذا الرأى (١) ، سوى عبد الله بن مسعود . ومن ثم ازمع فى الامر وسار الى المدينة يستحث عثمان على ادراك امة محمد ﷺ قبل تفرقها ، قال : يا امير المؤمنين ، انا النذير العريان أدرك هذه الامة قبل ان يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ! قال عثمان : وماذا ؟ قال : غزوت مرج ارمينية فاذا اهل الشام يقرأون بقراءة ابى بن كعب ، ويأتون بمالم يسمع اهل العراق . واذا اهل العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود . ويأتون بمالم يسمع اهل الشام ، فيكفر بعضهم بعضاً ! (٢) .

عثمان يأتهم الصحابة :

تلك حوادث واضرابها كانت وخيمة المآل ، دعت بعثمان ان يهتم بالامر ويقوم بساعد الجد ، لولا ان تهيبته القضية وهى فاجئة مباغتة ، لم يسبقه اليها غيره ممن تقدمه . مضافاً الى ما كان يراه من صعوبة العمل فى مرحلة تنفيذه ، حيث انتشار نسخ المصاحف فى البلاد ، ومن ورائها رجال من كبار الصحابة لا يستهان بشأنهم فى المجتمع الاسلامى آنذاك ، فربما يقومون بحمايتها والدفاع عنها فيشكلون عرقلة عويصة تسد وجه الطريق !

ومن ثم جمع اصحاب الرسول ﷺ من كان حاضراً بالمدينة ، واستشارهم

١- الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٥٥

٢- صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٢٥ . والمصاحف ص ١٩ - ٢٠ . والكامل ج ٣ ص ٥٥

فى الامر . فلم يكن منهم سوى اتفاقهم على ضرورة القيام بهما كلف الامر . قال
ابن الاثير : فجمع عثمان الصحابة واخبرهم الخبر ، فاعظموه ورأوا جميعاً ما رأى
حذيفة (١) .

لجنة توحيد المصاحف :

واخيراً ازمع عثمان على تنفيذ الفكرة ، فوجه - اولاً - نداء الى عامة الصحابة :
يا اصحاب محمد ﷺ اجتمعوا فكتبوا للناس اماماً (٢) . ثم ندب نفرأ يخصوصونه ،
وهم اربعة : زيد بن ثابت ، وهو انصارى . وسعيد بن العاص . وعبدالله بن الزبير .
وعبدالرحمان بن الحارث بن هشام ، وهم قرشيون .. وهؤلاء الاربعة اعضاء اولية ،
انعقدت بهم لجنة توحيد المصاحف (٣) . وكانت لزيد سمة رئاسة على الآخرين .
كما يظهر من تدمير ابن مسعود واستنكاره استثمار زيد لهذا المنصب . قال : يا معشر
المسلمين ، أأعزل عن نسخ المصاحف ويتولاها رجل - والله لقد اسلمت وانه لفى
صلب رجل كافر - يريد زيد بن ثابت (٤) .

وكان عثمان هو يتعاهد هم بنفسه (٥) .

لكن هؤلاء الاربعة لم يستطيعوا القيام بصميم الامر ، وكانت تعوزهم الكفاءة
لهكذا عمل خطير . ومن ثم استعانوا بابى بن كعب . ومالك بن ابى عامر . وكثير
ابن افلج . وانس بن مالك . وعبدالله بن عباس . ومصعب بن سعد (٦) وعبدالله

١- الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٥٥

٢- الاتقان ج ١ ص ٥٩ عن مصاحف ابن اشته . وراجع : مصاحف ابن ابى داود ص ٢١

٣- صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٢٦

٤- فتح البارى ج ٩ ص ١٧ . والمصاحف ص ١٥

٥- المصاحف ص ٢٥

٦- ارشاد السارى بشرح البخارى للقسطلانى ج ٧ ص ٢٢٩

ابن فطيمة (١) الى تمام الاثنى عشر - على ما جاء فى رواية ابن سيرين وابن سعد وغيرهما (٢) .

وفى هذا الدور كانت الرئاسة مع ابي بن كعب ، فكان هو يملئ عليهم ويكتب الآخرون . قال ابو العالية : انهم جمعوا القرآن من مصحف ابي بن كعب . فكان رجال يكتبون يملئ عليهم ابي بن كعب (٣) .

قال ابن حجر : وكان ابتداء الامر كان لزيد وسعيد ، حيث سأل عثمان : من اكتب الناس ؟ قالوا : زيد . ثم قال : فإى الناس افصح ؟ قالوا : سعيد . فقال : فليمل سعيد وليكتب زيد (٤) .

قال : ثم احتاجوا الى من يساعدهم فى الكتابة بحسب الحاجة الى عدد المصاحف التى ترسل الى الافاق . فاضافوا الى زيد من ذكر ، ثم استظهروا بابي بن كعب فى الاملاء (٥) .

شخصية الاعضاء الاولى :

كان زيد خزرجياً - من الانصار - وكان الثلاثة الباقون قرشيين ، كان سعيد امويًا ، وعبد الله اسديًا ، وعبد الرحمان مخزومياً .

كان زيد عند مقدم رسول الله ﷺ المدينة ابن احدى عشرة سنة وكان على وفرة من الذكاء ، درس الخط فى مدارس «ماسلة» اليهودية . وتعلم العبرية فيها ، ومن ثم

١- المصاحف ص ٣٣

٢- المصدر ص ٢٥ وراجع : الطبقات ج ٣ ق ٢ ص ٦٢

٣- المصدر ص ٣٠

٤- فتح البارى ج ٩ ص ١٦ . جاء ذلك فى رواية مصعب بن سعد . لكن فى صحة ما تضمنته الرواية من فحوى . كلام ونقاش !

٥- نفس المصدر . وراجع : الطبقات ج ٣ ق ٢ ص ٦٢ وتهذيب التهذيب ج ١ ص ١٨٧

استخدمه رسول الله ﷺ لكتابة الرسائل العبرية وقرائتها .

حضر يوم السقيفة ووقف في وجه الانصار - ! - ودافع عن المهاجرين ،
فجزاه ابوبكر خيراً ، ولم ينس له هذا الموقف . ومن ثم قال له يوم جمع القرآن :
انك شاب عاقل لانتهمك . وقال له يوماً : وانت عندنا كلنا امين .

كان عمر يقدمه في القضاء والافتاء - وهو في العقد الثالث من عمره - وكان
يستخلفه على المدينة كلما سافر . وقلما رجع الاواقطعه حديقة من نخل وهو اول
من اجرى له عمر الرزق لمنصب القضاء . وبلغ به الشأن ان كتب اليه عمر من الشام :
الى زيد بن ثابت من عمر ...

وولاه عثمان بيت المال وكان يحبه حباً شديداً . ووصفه المؤرخون بانه كان
عثمانياً . ووقف يوم الدار موقف المدافع معتذراً فيما بعد : انهم اقطعوني كذا وكذا .
ولم يحضر شيئاً من مواقف امير المؤمنين على ؑ .

مات ايام معاوية . وصلى عليه مروان ، وخلف من الذهب والفضة ما كان يضرب
بالفؤوس غير ما خلف من الاموال والضيايع بقيمة مائة الف دينار (١) .



ولد سعيد عام الهجرة . وقتل ابوه مشركاً يوم بدر . قتله على بن ابي طالب ؑ .
فنشأ يتيماً كفله عثمان في حجره ، اذ كان بقية آل العاصي بن امية .

صحب معاوية الى الشام وبقي بها حتى استقدمه عمر وزوجه بنت سفيان بن
عوف ، واكرم من شأنه حتى اصبح من رجال الناس .

كانت له نزعة اموية شديدة . وولاه عثمان الكوفة سنة ثلاثين ، فاتفق وطاش

١- راجع : مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٢ . والطبقات ج ٢ ص ٣٥٨ و ص ٣٥٩ . وتهذيب
ابن عساكر ج ٥ ص ٤٢٣ و ٤٢٤ و ج ٦ ص ١٣٢ . وسير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٠٦ و ص ٣١٠
و ص ٣١١ . وصحيح البخاري ج ٦ ص ٢٢٥ و ص ٤٤٤ . والاصابة ج ١ ص ٥٢٤ . والاستيعاب
بهامش الاصابة ج ١ ص ٥٣٤ . وفتح الباري ج ٩ ص ١٦ . وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٤٥

واستبد بالاموال حتى اضطربت احوال البلاد .

وقال في سمره حضرها اشراف الكوفة - وفيهم مالك بن الحارث النخعي صاحب امير المؤمنين عليه السلام : انما هذا السواد بستان لا غيلمة قريش . فاغلظ له مالك الاشر وضرب رئيس شرطته الذي قام يدافع عن اميره . واخيراً طردوه من الكوفة وانصاع عثمان لذلك .

ولم يزل من بطانة عثمان مدة حياته ودافع عنه يوم الدار فضرب على ام رأسه فكان كلما سمع صوت الرعد غشى عليه .

انعزل عن علي عليه السلام ولما استتب الامر لمعاوية لحق به واعتذر اليه في كلام بليغ . فجعله معاوية من قريش المقام الافضل . وكان يقول : لكل قوم كريم وكريمنا سعيد . وكان يستعمله على المدينة يتناوب بينه وبين مروان . كان يقول : سعيد يميني ومروان شمالي . لكنه لم يبلغ شقاء مروان .

مات سنة ثلاث وخمسين في قصره بالعقيق (١) .

* * *

ولد عبدالله بن الزبير مفتتح السنة الثانية للهجرة، وهو اول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة وتشاءت به امه اسماء من قوله ﷺ لمارآه فقال : أهو هو ؟ فتركت رضاعه ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فامرها بارضاعه . وقد افصح ﷺ عن قوله بعد ذلك : يلحد في مكة كبش عليه نصف اوزار هذه الامة (٢) .

١- راجع : تهذيب ابن عساكر ج ٦ ص ١٣٢ - ١٣٨ - ١٤٣ . وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٣١ و ٣٦١ و ٣٦٧ . والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٧٠ . ومروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٦ . والاصابة ج ٢ ص ٤٦ والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص ١٠

٢- مسند احمد ج ١ ص ٦٧ . تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢١٠ . تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٣ . تاريخ الخطيب ج ١٤ ص ٢٧٢ . شرح النهج الحديدي ج ٢ ص ١٠٨

كانت له انفة وصلافة ، مضيفاً اليهما بشاعة منظره الكريه : كان اطللس - لالحية له ولاشعر في وجهه - . وقد وصفه المؤرخون بمساوىء اخلاق ذميمة : الحسد والبخل الشديد وسوء الخلق وكثرة الخلاف .

هذا .. وقد كانت عائشة (خالته) تحبه حباً جماً ، فكان هو السبب في اغوائها ضد الامام امير المؤمنين عليه السلام فعابت اخاها عبدالله يوماً : لماذا لم يمنعها من الخروج ؟ فقال : رأيت رجلاً قد غلب عليك ، ورأيتك لاتخالفينه . فقالت : اما انك لو نهيتني ما خرجت ! (١)

وكان يحمل هداء مفرطاً لال بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فاسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من خطبة الجمعة ، فاستعظم الناس ذلك وتكلموا فيه ، فاعتذر : انى رأيت بنى هاشم كلما جاء ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشربوا واحمرت الوانهم وطالت رقابهم . والله ما كنت لاتى لهم سروراً وانا قدر عليه . ووددت ان اكتبهم . ثم قال : والله لقد هممت ان احظر لهم حظيرة ثم اضرمها عليهم ناراً . فانى لاقتل منهم الاثماً كفاراً سحاراً . لانما هم الله لبارك عليهم . بيت سوء - ا - لا اول لهم ولا آخر .

وقال يوماً لابن عباس . انى لا كنتم بغضكم اهل البيت منذ اربعين سنة . وجمع بنى هاشم - وهم سبعة عشر رجلاً - وحصرهم في شعب عامر بمكة ، وجعل عليهم حطباً ليضرمه عليهم اذا هم لم يستسلموا له ، وهم باحراقه لولا ان سبقه ابو عبدالله الجدلى في اربعة آلاف من جيوش المختار ، بعثهم لاستخلاص بنى هاشم .

واعتذر اخوه - عروة بن الزبير - انه انما اراد بذلك ان لاتنتشر الكلمة ولا يختلف المسلمون ، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة ابى بكر ، فقد

١- شرح النهج ج ٢٠ ص ١٠٣ و ١١٠ و ١١٤ . الاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص

احضر الحطب ليحرق عليهم الدار (١) .

كان يشتم علياً عليه السلام على رؤوس الاشهاد . وكان هو السبب في هلاك ابيه الزبير في عاقبة سوء قال امير المؤمنين عليه السلام : مازال الزبير منا هل البيت حتى نشأ ابنه المشتم عبد الله . وعبر عليه السلام عنه بانه خب خب ، يروم امرأ لا يدركه ، ينصب حباله الدين لاصطياد الدنيا ، وهو بعد مصلوب قریش (٢) .

* * *

ولد عبد الرحمان عام الهجرة . وكان سماه ابوه ابراهيم ، لكن عمر بن الخطاب غير اسمه الى عبد الرحمان ، عندما اراد ان يغير اسم كل من تسمى باسماء الانبياء .

مات ابوه في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ فتزوج عمر بام عبد الرحمان ومن ثم نشأ في بيت عمر وكان معجابه .

وتزوج عبد الرحمان بمريم ابنة عثمان ، كما تزوج سعيد بن العاصي بام سلمة بنت عبد الرحمان . وكان مظاهر الود تتبادل بينه وبين عائشة ، ومن ثم كانت له مواقف دونها يوم الجمل . وكان احد الخمسة الذين انتدبهم عمرو بن العاص وابو موسى الاشعري يوم التحكيم .

مات بالمدينة ايام معاوية بن ابي سفيان (٣) .

* * *

ولعلنا في هذا العرض وضعنا اليد على نقاط من حياة هؤلاء ، تكفى للدلالة

١- شرح النهج ج ٢٠ ص ١٢٢ و ١٢٨ و ١٤٧ . مروج الذهب ج ٣ ص ٨٥ - ٨٦ .

٢- الاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص ٣٠٢ . شرح النهج ج ١ ص ٢٢ و ج ٧ ص ٢٨

و ج ٢٠ ص ١٠٢ . وبحار الانوار ج ٤١ ص ٣٥١ .

٣- راجع : طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٥-٦ . وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٢ والاستيعاب

بهامش الاصابة ج ٢ ص ٢١٨ . و شرح النهج ج ٢٠ ص ١١٢ .

على واقع السر الذي دعا بعثمان ان ينتدبهم - وهم غير اكفاء - لعضوية لجنة كانت مهمتها القيام باخطر شيء كان يمس حياة المسلمين . ان الطيور على اشكالها تقع! ولا امر ما جدع قصير انفه ! (١) .

١- وقد ارمزنا الى هذه الواقعة عند قولنا : نفراً يخصونه !

موقف الصحابة تجاه المشروع المصاحفى :

سبق ان حذيفة بن اليمان كان اول من فكر فى توحيد المصاحف وحلف لياتين الخليفة وليأمره بجعلها قراءة واحدة (١) كما استشار هو من كان بالكوفة من صحابة الرسول ﷺ فوافقوه على ما عزم ، سوى ابن مسعود (٢) .

وجمع عثمان من كان بالمدينة من الصحابة فأتمرهم فى ذلك فذهبوا جميعاً يوافقون فكرة توحيد المصاحف ، قال ابن الاثير : فجمع الصحابة واخبرهم الخبر فاعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة (٣) .

وهكذا الامام امير المؤمنين عليه السلام ابدى رأيه موافقاً للمشروع ذاتياً . اخرج ابن ابي داود عن سويد بن غفلة ، قال : قال على عليه السلام : فوالله ما فعل عثمان الذى فعل فى المصاحف الا عن ملاء منا . استشارنا فى امر القراءات ، وقال : بلغنى ان بعضهم يقول : قراءتى خير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفراً . قلنا : فماذا رأيت ؟ قال : ارى ان يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف . قلنا : فنعم ما رأيت (٤) .

١- فتح البارى ج ٩ ص ١٥

٢- ٣- الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٥٥

٢- قال جلال الدين : والسند صحيح . الاتقان ج ١ ص ٥٩

وفي رواية اخرى قال : لو وليت في المصاحف ماولى عثمان لفعلت كما فعل (١).

* * *

وكان عليه السلام - بعد ما تولى الخلافة - احرص الناس على الالتزام بالمرسوم المصحفى - حتى ولو كانت فيه اخطاء املائية - حفظا على كتاب الله من ان تمسه يد التحريف فيما بعد باسم الاصلاح . قال - عليه السلام - بهذا الصدد : لا يهاج القرآن بعد اليوم (٢) .

ذكروا : انه قرأ رجل بمسمع الامام : وطلع منضود (٣) فجعل الامام يترنم فى نفسه : ما شأن الطلح ؟ انما هو طلع - كما فى قوله تعالى : ونخل طلعها نضيد (٤) - ولم يكن ذلك اعتراضاً من الامام على القارئ ، ولادعوة الى تغيير الكلمة ، بل كان مجرد حديث نفس ترنم به الامام عليه السلام .

ولكن اناساً سمعوا كلامه فهبوا يسألونه : لا تغيره ؟ فانبرى الامام - عليه السلام - مستغرباً هذا الطلب ، وقال كلمته الحاسمة الخالدة : « ان القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول » .

وهكذا سار على منهجه عليه السلام الائمة من ولده : قرأ رجل عند الامام ابى عبد الله الصادق - عليه السلام - حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤه الناس ! فقال له الامام : مه مه ، كف عن هذه القراءة واقراً كما يقرؤ الناس .

وقال - عليه السلام - فى جواب من سألته عن الترتيل فى القرآن : اقرأوا

١- النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٨

٢- تفسير الطبرى ج ١٧ ص ٩٣ . ومجمع البيان ج ٩ ص ٢١٨ .

٣- سورة الواقعة : ٢٩ . وقد احتار المفسرون فى توجيه معنى الطلح هنا .

٤- سورة الشعراء : ١٢٨

كما علمتم (١) .

ومن ثم وقع اجماع اصحابنا الامامية على ان ما يديننا هو قرآن كله (٢) لم تمسه
يد تحرير اصلا . وان القراءة المشهورة هي القراءة الصحيحة ، التي تجوز القراءة
بها في الصلاة . وغيرها من احكام اجروها على النص الموجود ، واعتبروه هو القرآن
الذي اوحى الى النبي ﷺ ولم يعتبروا شيئا سواه .

* * *

واما ابن مسعود فلا ظن مخالفته كانت جوهرية ، وانما اغضبه انتداب اشخاص
غير اكفاء لهكذا مشروع جليل كان امثاله جديرين بالانتداب له . كان يقول : ان
رجالا لم يؤذن لهم قد تصرفوا في القرآن من تلقاء انفسهم (٣) . ومن ثم ابى ابا شديدا
ان يدفع مصحفه الى رسول الخليفة . قال ابو ميسرة : اتاني رجل وانا اصلي فقال :
اراك تصلي وقد امر بكتاب الله ان يمزق كل ممزق ! فتجوزت في صلاتي وكنت
اجلس . فدخلت الدار ولم اجلس . ورقيت فلم اجلس . فاذا انا بالاشعري ، وحذيفة
وابن مسعود يتقاولان . وحذيفة يقول لابن مسعود . ادفع اليهم المصحف . قال :
والله لا ادفعه اليهم . أقرأني رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة ثم ادفعه اليهم ؟ !
والله لا ادفعه اليهم (٤) .

١- وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٢١

٢- راجع : حديث طلحة مع الامام . بحار الانوار ج ٩٢ ص ٤١ - ٤٢

٣- طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٧٠

٤- مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٢٢٨

عام تأسيس المشروع :

قال ابن حجر : كانت هذه القصة فى سنة خمس وعشرين . فى السنة الثالثة او الثانية (١) من خلافة عثمان . قال : وغفل بعض من ادركناه فزعم ان ذلك كان فى حدود سنة ثلاثين ، ولم يذكر لذلك مستنداً (٢) .
وعدها ابن الاثير - وتبعه بعض من تأخر عنه من غير تحقيق - من حوادث سنة ثلاثين قال : وفى هذه السنة غزا حذيفة الباب مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة وفيها رأى حذيفة اختلافاً كثيراً بين الناس فى القرآن ، فلما رجع اشار على عثمان بجمع القرآن ففعل (٣) .
واظن ابن الاثير متوهماً فى هذا التحديد :

اولا - كانت غزوة آذريجان وارمينية سنة ٢٤ فى رواية ابى مخنف ، ذكرها الطبرى . غزاها الوليد بن عقبة ، لانهم حبسوا ماصالحوا عليه حذيفة اليمان عند ما غزاهم سنة ٢٢ ايام عمر بن الخطاب (٤) .
وقال ابن حجر : ارمينية فتحت فى خلافة عثمان ، وكان امير العسكر من اهل العراق : سلمان بن ربيعة الباهلى . وكان عثمان قدامر اهل الشام واهل العراق ان يجتمعوا على ذلك ، وكان امير اهل الشام فى ذلك العسكر : حبيب بن سلمة الفهرى وكان حذيفة من جملة من غزاهم ، وكان هو على اهل المدائن ، وهو من جملة اعمال

١- هذا التردد ينظر الى الاختلاف فى اليوم الذى بويع فيه لعثمان ، فقبل : فى العشر الاخير من ذى حجة عام ٢٣ . وعليه فعام تأسيس اللجنة يقع فى صدر السنة الثالثة من خلافته .
وقيل : فى العشر الاول من محرم عام ٢٤ . وعليه فيكون تأسيس اللجنة واقعاً فى مؤخرة السنة الثانية . راجع : الطبرى ج ٣ ص ٣٠٤ . او ج ٤ ص ٢٢٢ طبعة دار المعارف .

٢- فتح البارى ج ٩ ص ١٥

٣- الكامل ج ٣ ص ٥٥ . ذينى دحلان : الفتوحات الاسلامية ج ١ ص ١٧٥

٤- الطبرى - طبعة دارالمعارف - ج ٢ ص ٢٤٦ - ٢٢٧

ثم قال : سنة خمس وعشرين هو الوقت الذى ذكر اهل التاريخ ان ارمينية فتحت فيه ، اول ولاية الوليد بن عقبة بن ابي معيط ، على الكوفة من قبل عثمان» (١) .

ثانياً - كانت الغزوة التى غزاها عبد الرحمان بن ربيعة ، هى فى سنة اثنتين وعشرين . وكان الذى بصحبته حذيفه بن اسيد الغفارى ، لاحذيفة بن اليمان العنسى (٢) .

ثالثاً - فى سنة ثلاثين عين سعيد حاكماً على الكوفة مكان الوليد ، وفى نفس الوقت تهيأ لغزو طبرستان . وصحبه فى الغزو ابن الزبير وابن عباس والحذيفة (٣) . ولم يرجع سعيد الى المدينة حتى سنة ٣٢ وفى السنة التالية كان مقتل عثمان (٤) .

كل ذلك لا يلتئم وكون سعيد عضواً ثانياً للجنة اذا كانت تأسست عام ٣٠ وهكذا ابن الزبير وابن عباس على ما تقدم .

رابعاً - ذكر الذهبى فيمن توفى عام ثلاثين «ابى بن كعب» . قال : وقال الواقدي : هو اثبت الاقاويل عندنا (٥) مع العلم ان ابيا كان مملياً على الاعضاء ، وكان مرجعهم الاعلى فى النسخ والمقابلة .

خامساً - فى حديث يزيد النخعي الانف : انى لفى المسجد زمن الوليد . . .

الخ (٦) .

الامر الذى يدل على وقوع القصة قبل سنة ثلاثين . وفى لفظ ابن حجر : انه كان

١- فتح البارى ج ٩ ص ١٣ - ١٤

٢- تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١٥٥ دار المعارف

٣- المصدر ص ٢٦٩ - ٢٧١

٤- المصدر ص ٣٣٠ وص ٣٦٥

٥- ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٨٤ . وراجع : الطبقات ج ٣ ق ٢ ص ٦٢

٦- تقدم فى صفحة : ٢٧٨

فى بدء ولاية الوليد على الكوفة (١) ولا بدانه كذلك ، اذا كان تعين الوليد على الكوفة فى مفتتح سنة ٢٤ . وفى رواية سيف : انها كانت سنة ٢٥ (٢) .

سادساً - وربما هو اقوى دليل - : روى ابن ابى داود عن مصعب بن سعد ، قال : خطب عثمان - بدء قيامه بجمع القرآن - فقال : انما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة ، وقد اختلفتم فى القرآن ا عزمتم على من عنده شىء من القرآن سمعه من رسول الله ﷺ لما اتانى به .. (٣)

هذه الخطبة تحدد بالضبط بدء تأسيس المشروع المصاحفى ، وانه كان عام ٢٥ بعد الهجرة .

واخيراً فابن الاثير متفرد عن الطبرى فى سرد قضية حذيفة ، ضمن حوادث سنة ثلاثين . ولا سيما والتفصيل الذى اتى عليه فى تاريخه ، جاء فى صورة لانكاد نصدقها مأخوذة عن مستند تاريخى ، واغلب الظن انها مجموعة روايات منضمة بعضها الى بعض زعمها مقترنة ، فاوردها ضمن حوادث تلك السنة !!

ملحوظة : لا يعتمد الطبرى نفسه على التحديدات الزمنية التى يذكرها هو قيماً للحوادث ، فهو يتردد احيانا فى حادثة ، بين وقت وعها سنة ١٨ او سنة ٢١ ، كواقعة نهاوند (٤) - مثلاً - فلا بد اذن لمعرفة تأريخ كل حادثة من البحث عن ملبساتها والتحقيق عن مناشئها واسبابها ، دون الاعتماد السريع على ما يذكره المؤرخون من توقيت .

١- فتح البارى ج ٩ ص ١٣ - ١٤

٢- الطبرى ج ٢ ص ٢٥١

٣- المصاحف ص ٢٤

٤- بصرح الطبرى بترديده بشأن واقعة نهاوند ج ٢ ص ١١٤ حوادث سنة ٢١

منجزات المشروع :

اجتازت اللجنة المصاحفية في عملها ثلاث مراحل اساسية :

١- جمع المصاحف او الصحف التي فيها قرآن ، من اطراف البلاد الاسلامية وامحائها .

٢- البحث عن مستندات ومنايع صحيحة لغرض النسخ عليها مصاحف متحدة وبثها بين المسلمين .

٣- مقابلة هذه المصاحف الموحدة ، لغرض التاكيد من صحتها اولا ، وعدم وجود اختلاف بينها ثانياً .

واخيراً الزام المسلمين كافة على قرائتها ومنع غيرها من قراءات .
واللجنة - وان اجتازت هذه المراحل - ولكنها في شيء من التساهل واهمال جانب الدقة الكاملة ، ولاسيما في المرحلة الثالثة التي كانت بحاجة شديدة الى اهتمام اكثر .

ففي مرحلة جمع المصاحف وامحائها فقد ارسل عثمان الى كل افاق من يجمع المصاحف او الصحف التي فيها قرآن ، وامر بها ان تحرق (١) .
قال البيهقي : وكتب في جمع المصاحف من الافاق حتى جمعت ، ثم سلقها بالماء الحار والخل . وقيل : احرقها . فلم يبق مصحف الا فعل به ذلك ، خلا مصحف ابن مسعود ، فامتنع ان يدفع مصحفه الى عبدالله بن عامر . فكتب اليه عثمان ان اشخصه . فدخل ابن مسعود المسجد وعثمان يخطب ، فقال عثمان : انه قد قدمت عليكم دابة سوء . فكلّم ابن مسعود بكلام غليظ . فامر به عثمان فجرح برجله حتى كسر له ضلعان : فتكلمت عائشة وقالت قولا كثيراً (٢) .

١- صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٢٦

٢- تاريخ البيهقي ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦٠

وفى المرحلة الثانية ، كان عثمان فى بدء الامر زعمها هينة ، ومن ثم اختار لها جماعة غير اكفاء ، ثم لجأ أخيراً الى جماعة آخرين وفيهم الاكفاء مثل سيد القراء (١) الصحابى الكبير ابى بن كعب . كما وارسل الى الربعة التى كانت فى بيت حفصة ، وهى الصحف التى جمع فيها القرآن ايام ابى بكر . فطلبها لتكون سنداً وثيقاً للمقابلة عليها والاستنساخ منها . فابت حفصة لاول امرها ان تدفعها اليه ، ولعلها خافت ان تأخذ مصيرها الى الحرق والتمزيق كسائر المصاحف ! حتى عاهدها عثمان ليردنها فبعثت بها اليه (٢) .

وهكذا وجه نداء عاماً الى كافة المسلمين : عزم على من عنده شىء من القرآن سماعه من رسول الله ﷺ لما اتانى به (٣) .

فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعسيب فيه القرآن . وربما كانوا ينتظرون اناساً كانوا احدثهم بالعرضة الاخيرة ، حتى يأتوهم بالقرآن .

قال ابن سيرين : كانوا اذا تدارؤا فى شىء - اى اختلفوا فى آية - أخروه . قال بعضهم : ولعلهم كانوا يؤخرونه لينظروا احدثهم عهداً بالعرضة الاخيرة . فيكتبونها على قوله (٤) .

وقال انس بن مالك : كنت فيمن املى عليهم ، فربما اختلفوا فى الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعله يكون غائباً او فى بعض البوادرى ، فيكتبون ما قبل الآية وما بعدها ، ويدعون موضعها حتى يجيء الرجل او يرسل اليه (٥) .

١- تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٨٧ والطبقات ج ٣ ق ٢ ص ٦٢

٢- مصاحف ابن ابى داود ص ٩ والبخارى ج ٦ ص ٢٢٦

٣- المصاحف ص ٢٤

٤- المصدر ص ٢٥

٥- المصدر ص ٢١

هذا .. وربما كان ابي بن كعب يملئ عليهم القرآن فيكتبونه ، او يرسلون اليه فيصحح لهم ما اشتبهت عليهم قراءتها .
جاء في حديث ابي العالية : انهم جمعوا القرآن من مصحف ابي . فكان رجال يكتبون يملئ عليهم ابي بن كعب (١) .

وقال عبدالله بن هانئ البربري - مولى عثمان - : كنت عند عثمان ، وهم يعرضون المصاحف - اى يقابلون النسخ مع بعضها البعض - فارسلنى بكتف شاة الى ابي بن كعب فيها : «لم يتسن» . وفيها : «لا تبديل للخلق الله» . وفيها : «فامهل الكافرين» فدعا ابي بدواة فمحي اللامين وكتب «لخلق الله» . ومحي «فامهل» . وكتب «فمهل» وكتب «لم يتسنه» فألحق فيها الهاء (٢) .

* * *

اما المرحلة الثالثة فكان التساهل فيها اوضح ، حسب ما اودعت في المصحف العثماني من اخطاء ومناقضات املائية بما لا يستهان بها ، كما ولم تتحد نسخ المصاحف مع بعضها البعض ، فكان بين المصاحف المرسلة الى الافاق اختلاف . الامر الذي يؤخذ على اعضاء اللجنة ، ولا سيما عثمان نفسه ، الذي عثر على تلك الاخطاء واهملها تساهلا بالامر !

يحدثنا ابن ابي داود عن بعض اهل الشام ، كان يقول : مصحفنا ومصحف اهل البصرة احفظ من مصحف اهل الكوفة . لان عثمان لما كتب المصاحف بلغه قراءة اهل الكوفة على حرف عبدالله . فبعث اليهم بالمصحف قبل ان يعرض - اى قبل مقابلته على سائر النسخ - وعرض مصحفنا ومصحف اهل البصرة قبل ان يبعث بهما (٣) .

١- المصدر ص ٣٠

٢- الاتفاق ج ١ ص ١٨٣

٣- المصاحف ص ٣٥

وهو تسريع في ارسال المصحف الى قطر كبير قبل مقابلته بدقة .
كما وان وجود اختلاف بين مصاحف الامصار - على ما يحدثنا ابن ابي داود
ايضا (١) - لدليل على مدى الاهمال الذي سمحوا به في ناحية المقابلة والاتقان من
صححة النسخ .

وجانب افضح من هذا التساهل الغريب : ما روى ابن ابي داود - ايضاً - :
انهم عندما فرغوا من نسخ المصاحف اتوا به الى عثمان ، فنظر فيه فقال : قد احسنتم
واجملتم . ارى فيه شيئاً من لحن ! - لكن - ستقيمه العرب بالسنتها ثم قال : لو كان
المملى من هذيل والكاثب من ثقيف لم يوجد فيه هذا . (٢) .

قلت : ما هذا الايتكال الغريب ، والفرصة في قدرته ؟ ألم يكن كتاب الله العزيز
الحميد جديراً بالاهتمام به ليكون خلواً من كل خطأ اولحن ؟ ! ثم ما هذا التمنى
الكاذب ، وفي استطاعته بدء الامر ان يختار مملياً من هذيل وكتبة من ثقيف ، وهو
يعلم ان فيهم الجدارة والكفاءة ، الامر الذي كان يعوزه من انتدبهم من بطانته حينذاك !!
نعم كانت مغبة هذا التساهل ان حصلت اختلافات في القراءة فيما بعد ، وكان
كراً على ما فروا منه . وسنفصل كل ذلك في فصول قادمة .

عدد المصاحف العثمانية :

اختلف المؤرخون في عدد المصاحف الموحدة التي ارسلت الى الافاق . قال
ابن ابي داود : كانت ستة حسب الامصار المهمة ذوات المركزية الخاصة : مكة
والكوفة والبصرة والشام والبحرين واليمن . وحسب السابعة - وكانت تسمى الام

١- المصدر ص ٣٩ - ٤٩ . وسنذكره في فصل قادم

٢- المصدر ص ٣٢ - ٣٣

والامام - بالمدينة (١) وزاد اليعقوبى : مصر والجزيرة (٢) .

اذ فعدد المصاحف التى نسختها لجنة توحيد المصاحف هى تسعة ، واحدة هى الام والامام . كانت بالمدينة والبقية ارسلت الى مراكز البلاد الاسلامية آنذاك . وكان المصحف المبعوث الى كل قطر يحتفظ عليه فى مركز القطر ، يستنسخ عليه ويرجع اليه عند اختلاف القراءة . ويكون هو حجة ، والقراءة التى توافقها تكون هى الرسمية ، وكل نسخة او قراءة تخالفها تعد غير رسمية وممنوعة يعاقب عليها .
اما مصحف المدينة (الامام) فكان مرجعاً للجميع بصورة عامة ، حتى اذا كان اختلاف بين مصاحف الامصار ، فان الحجة هو المصحف الامام بالمدينة ، فيجب ان يصحح عليه .

وروى : ان عثمان بعث مع كل مصحف قارئاً يقرئ الناس على قراءة ذلك المصحف . فبعث مع المصحف المكي - مثلاً - عبدالله بن السائب . ومع المصحف الشامي المغيرة بن شهاب . ومع المصحف الكوفي ابا عبد الرحمن السلمى . ومع المصحف البصرى عامر بن عبد القيس ... وهكذا . وكان قارئ المدينة والمقرئ من قبل الخليفة هوزيد بن ثابت (٣) .

هذا .. وكانت شدة الاهتمام بهذه المصاحف والتحفظ عليها من قبل السلطات ، وشدة حرص الناس على محافظتها ودراستها ، تستدعى بقاءها مع الخلود . غير ان تطورات حصلت عليها فيما بعد : تنقيط وتشكيل . وتحزيب واخيراً تغيير الخط من الكوفى البدائى الذى كتبت به المصاحف على عهد عثمان ، الى الكوفى المعروف ، وبعده الى خط النسخ العربى الجميل وخطوط اخرى تداولت فيما بعد . كل ذلك جعل من المصاحف العثمانية الاولى على مدرج النسيان - فامست مهجورة ولم يعد

١- المصاحف ص ٣٢

٢- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٦٠

٣- مناهل العرفان ج ١ ص ٣٩٦ - ٣٩٧



هذا . . وذكر ياقوت الحموى (توفى سنة ٦٢٦ هـ) ان فى جامع دمشق مصحف عثمان بن عفان . قالوا : انه خطه بيده (١) .

وهذا المصحف رآه ابن فضل الله العمرى (توفى سنة ٧٤٩ هـ) . قال : والى الجانب الايسر من جامع دمشق المصحف العثمانى بخط عثمان بن عفان (٢) .

ولم يحفظ لعثمان انه خط مصحفاً بيده ، فلعله مصحف الشام بقى لذلك العهد . وهذا المصحف يذكره ابن كثير (توفى سنة ٧٧٤ هـ) من غير ان ينسبه الى خط عثمان : قال : واما المصاحف العثمانية فاشهرها اليوم الذى فى الشام بجامع دمشق عند الركن شرقى المقصورة . وقد كان قديماً بمدينة طبرية ثم نقل منها الى دمشق فى حدود سنة ٥١٨ هـ . وقد رأيت كتاباً ضخماً بخط حسن مبین قوى ، بحبر محكم ، فى رق اظنه من جلود الابل (٣) .

وقال الرحالة ابن بطوطة (توفى سنة ٧٧٩ هـ) : وفى الركن الشرقى من المسجد ازاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذى وجهه عثمان بن عفان الى الشام ، وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لثم ذلك المصحف الكريم . وهناك يحلف الناس غرماً هم ومن ادعوا عليه شيئاً (٤) . ويقال ، ان هذا المصحف بقى فى مسجد دمشق حتى احترق فيه سنة ١٣١٠ هـ (٥) . قال الدكتور صبحى صالح : وقد ذكر لى زميلى الاستاذ الدكتور يوسف

١- معجم البلدان ج ٢ ص ٢٤٩

٢- مسالك الابصار فى ممالك الامصار ج ١ ص ١٩٥

٣- فضائل القرآن لابن كثير ص ٢٩

٤- رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٥٤

٥- انظر : خطط الشام ج ٥ ص ٢٧٩

العش : ان القاضي عبدالمحسن الاسطواني اخبره بانه قدر آى المصحف الشامى قبل احتراقه ، وكان محفوظا بالمقصورة وله بيت خشب (١) .

قال الاستاذ الزرقانى : ليس بين ايدينا دليل قاطع على وجود المصاحف العثمانية الان فضلا عن تعيين امكنتها .

اما المصاحف الاثرية التى تحتويها خزائن الكتب المصرية ، ويقال عنها : انها مصاحف عثمانية ، فاننا نشك كثيراً فى صحة هذه النسبة ، لان بها زركشة ونقوشاً موضوعة كعلامات للفصل بين السور ، وليبان اعشار القرآن . ومعلوم ان المصاحف العثمانية كانت خالية من كل هذا ومن النقط والشكل .

نعم فى خزانة المشهد الحسينى مصحف منسوب الى عثمان ، مكتوب بالخط الكوفى القديم ، مع تجويف حروفه وسعة حجمه جداً . ورسمه يوافق رسم المصحف المدنى او الشامى ، حيث رسم فيه كلمة « من يرتدد » من سورة المائدة بدالين مع الفك ، فاكبر الظن ان هذا المصحف منقول من المصاحف العثمانية على رسم بعضها (٢) .

* * *

وهكذا نسب الى خط الامام امير المؤمنين عليه السلام مصحف بعض اوراقه محفوظة بالخزانة العلوية فى النجف الاشرف . بخط كوفى قديم ، كتب على آخره : كتبه على بن ابوطالب فى سنة اربعين من الهجرة . قال الاستاذ ابو عبد الله الزنجانى : ورأيت فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٥٣ هـ فى دار الكتب العلوية فى النجف مصحفاً بالخط الكوفى كتب على آخره : كتبه على بن ابى طالب فى سنة اربعين من الهجرة ولتشابه «ابى» و «ابو» فى رسم الخط الكوفى قديظن من لاخبرة له انه كتب على بن ابوطالب بالواو (٣) .

١- مباحث فى علوم القرآن ص ٨٩ بالهامش

٢- مناهل العرفان ج ١ ص ٣٩٧ - ٣٩٨

٣- تاريخ القرآن ص ٢٤

وفى خزانة الآثار بالمسجد الحسينى بالقاهرة ايضاً مصحف يقال ان على بن ابيطالب كتبه بخطه ، وهو مكتوب بخط كوفى قديم . قال الاستاذ الزرقانى : من الجائز ان يكون كاتبه علياً ، او يكون قدامر بكتابه فى الكوفة (١) .

* * *

ويذكر ابن بطوطة : ان فى مسجد امير المؤمنين على عليه السلام بالبصرة ، المصحف الكريم الذى كان عثمان يقرأ فيه لما قتل . واثّر تغيير الدم فى الورقة التى فيها قوله تعالى : «فسيكفيكم الله وهو السميع العليم» (٢) وهو غريب !

١- مناهل العرفان ج ١ ص ٣٩٨

٢- الرحلة ج ١ ص ١١٦

تعريف عام بالمصاحف العثمانية :

كانت المصاحف العثمانية - بصورة عامة - ذات ترتيب خاص يقرب من ترتيب مصاحف الصحابة في اصل المنهج الذى سارت عليه بتقديم الطوال على القصار ، مع اختلاف يسير . وكانت خالية عن كل علامة تشير الى اعيان الحرف او تشكيله . او الى تجزئته من احزاب واهشار واخماس . وكانت مليئة باخطاء املائية ومناقضات فى رسم الخط ، ويرجع السبب الى بداءة الخط الذى كان يعرفه الصحابة آنذاك . تلك اوصاف عامة جرت عليها تلكم المصاحف فصلها فيما يلى :

١- الترتيب :

تقدم الكلام عن ترتيب المصحف العثمانى ، هو الترتيب الحاضر فى المصحف الكريم ، وهو الترتيب الذى جرت عليه مصاحف الصحابة حينذاك ، ولاسيما مصحف ابي بن كعب . لكنه خالفها فى موارد يسيرة : من ذلك : ان الصحابة كانوا يعدون سورة يونس من السبع الطوال ، فكانت

هى السورة السابعة (١) او الثامنة (٢) فى ترتيب مصاحفهم .

لكن عثمان عمد الى سورة الانفال فجعلها هى وسورة براءة سابعة السبع الطوال ، زعمهما سورة واحدة واخر سورة يونس الى سور المثين .

الامر الذى اثار ابن عباس (٣) ليعترض على عثمان ، قائلا : ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال ، وهى من المثانى (٤) والى براءة ، هى من المثين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم (٥) . ووضعتموهما فى السبع الطوال ؟!

قال عثمان : كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد ، فكان اذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب ، فيقول : ضعوا هؤلاء الايات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الانفال من اوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا . وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظنت انها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا انها منها ، فمن اجل ذلك قرنت بينهما ، ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتهما فى السبع الطوال . قال الحاكم : والحديث صحيح على شرط الشيخين (٦) .

وهذا يدل على اجتهاد الصحابة فى ترتيب المصحف . فكان عثمان يعرف ان آيات من سور ربما كان يتأخر نزولها ، فيأمر النبى ﷺ ان توضع موضعها

١- فى مصحف ابن مسعود .

٢- فى مصحف ابي بن كعب .

٣- سبق ان عضويته فى لجنة توحيد المصاحف كانت متأخرة .

٤- لعله ينظر الى مصحف ابن مسعود الذى جعلها من المثانى . اما فى مصحف ابي بن كعب

فهى من المثين .

٥- ايضاً ينظر الى مصحف ابن مسعود الذى اثبت فيه البسمة لسورة براءة .

٦- مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٢٢١ و ٣٣٠ .

من السورة المتقدمة . فزعم عثمان ان سورة براءة هي من تنمة سورة الانفال (١)
لتشابه ما بينهما في السياق العام : تعنيف بمناوئى الاسلام من كافرين ومنافقين .
وتحريض بالمؤمنين على الثبات والكفاح لتثبيت كلمة الله فى الارض . وحيث لم يرد
نقل بشأنهما فقرن بينهما وجعلهما سورة واحدة هي سابعة الطوال .

ولعله لم يتنبه ان سورة براءة نزلت نقمة بالكافرين ، ومن ثم لم تنزل معها
التسمية التى هي رحمة ، حيث لا يتناسب بدء نقمة برحمة . قال امير المؤمنين عليه السلام :
البسمة امان ، وبراءة نزلت بالسيف (٢) .

وهكذا اختلافات يسيرة جاءت فى المصحف العثمانى مع بقية المصاحف ،
لا فى اصول منهج الترتيب العام ، بل فى سور كل نوع من التنويع المتقدم . وكان
الجدول السابق (٣) كفل بيان هذا الاختلاف .

١- وهكذا روى العياشى ج ١ ص ٧٣ بسنده عن احدهما - عليهما السلام - قال :
الانفال وسورة براءة واحدة .

وهناك اختلاف بين العلماء فى انما سورة واحدة ام اثنتان ؟ راجع :مجمع البيان ج ٥
ص ٢ . وربما كان يرجح القول بانها سورة واحدة ماورد : انما كان يعرف انقضاء السورة
بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداء للآخرى . العياشى ج ١ ص ١٩ .

٢- مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٣٣٠ . والا تقان ج ١ ص ٦٥ . والمجمع ج ٥ ص ٢

٣- فى صفحة : ٢٦٨ - ٢٧٢

٢- النقط والتشكيل :

كانت المصاحف العثمانية خلواً عن كل علامة مائزة بين الحروف المعجمة والحروف المهملة ، وفق طبيعة الخط الذي كان دارجاً عند العرب آنذاك . فلاتمييز بين الباء والتاء ، ولا بين الياء والتاء . ولا بين الجيم والحاء والحاء . وهكذا كان مجرداً عن الحركة والاعراب . . وكان على القارئ بنفسه ان يميز بينهما عند القراءة حسب ما يبدوله من قرائن . كما كان عليه ان يعرف هو بنفسه وزن الكلمة وكيفية اعرابها ايضاً .

ومن ثم كانت قراءة القرآن في الصدر الاول موقوفة على مجرد السماع والنقل فحسب . ولولا الاسماع والاقراء كانت القراءة في نفس المصحف الشريف ممتنعة تقريباً .

مثلاً : لم تكن كلمة «تبلو» تفرق في المصحف عن كلمة «نبلو» او «نتلو» او «تتلو» او «يتلو» ... وكذا كلمة «يعلمه» لم تكن تتميز عن كلمة «تعلمه» او «نعلمه» او «بعلمه» ...

وهكذا قوله : «لتكون لمن خلفك آية» ربما قرأه بعضهم : «لمن خلقتك» . وفيما يلي امثلة واقعية ، اختلفت القراءة فيها ، مغبة خلو المصاحف من النقط :

- فى سورة البقرة : ٢٥٩ «ننشرها» . «ننشرها» . «تنشرها» . (١)
- فى سورة آل عمران : ٣٨ «يعلمه» . «نعلمه» (٢) .
- فى سورة يونس : ٣٠ «تبلو» . «تتلو» (٣) .
- فى سورة يونس : ٩٢ «ننحيك» . «ننحيك» (٤) .
- فى سورة العنكبوت : ٥٨ «لنبوئتهم» . «لنبوئتهم» . «لنبوئتهم» (٥) .
- فى سورة سبأ : ١٧ «تجازى» . «يجازى» (٦) .
- فى سورة الحجرات : ٦ «فتبينوا» : فتبينوا (٧) .
- الى غيرها من امثلة وهى كثيرة .



هذا.. وخلق المصاحف الاولى من علائم فارقة ، كان عمدة السبب فى اختلاف القراءات فيما بعد . اذ كان الاعتماد على الحفظ والسماع ، وبطول الزمان ربما كان يحصل اشتباه فى النقل او خلط فى السماع ، مادام الانسان هو عرضة للنسيان ، والاشتباه حليفه مهمادق فى الحفظ ، لولم يقيده بالكتابة . ومن ثم قيل : ما حفظ فروما كتب قر .

أضف الى ذلك تخلخل الامم غير العربية فى الجزيرة وتضخم جانبهم مطرداً مع التوسعة فى القطر الاسلامى العريض . فكان على اعضاء المشروع المصاحفى فى وقته ان يفكروا فى مستقبل الامة الاسلامية ، ويضعوا علاجاً لما يحتمل الخلل فى قراءة

-
- ١- راجع : مجمع البيان ج ٢ ص ٣٦٨ .
 - ٢- راجع : مجمع البيان ج ٢ ص ٤٢٢ .
 - ٣- راجع : مجمع البيان ج ٥ ص ١٠٥ .
 - ٤- راجع : مجمع البيان ج ٥ ص ١٣٠ .
 - ٥- راجع : مجمع البيان ج ٨ ص ٢٩٠ .
 - ٦- راجع : مجمع البيان ج ٨ ص ٣٨٢ .
 - ٧- راجع : مجمع البيان ج ٣ ص ٩٢ و ج ٩ ص ١٣١ .

القرآن قبل وقوعه . ولكن انى وروح الاهمال والتساهل كان مسيطراً تماماً على المسؤولين آنذاك .

هذا .. وقد اغرب ابن الجزرى ، فزعم ان المسؤولين آنذاك تركوا وضع العلام عن عمد وعن قصد ، لحكمة إقال : وذلك ليحتمل الخط ماصح نقله وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ اذ كان الاعتماد على الحفظ والسماع لاعلى مجرد الخط (١) . ووافقه الزرقانى على هذا التبرير المفضوح ، قال : كانوا يرسمونه بصورة واحدة خالية من النقط والشكل ، تحقيقاً لهذا الاحتمال (٢) .

لكى لامجال لهذا التبرير بعد ان نعلم ان الخط عند العرب حينذاك كان بذاته خالياً عن كل علامة ماثرة . وكان العرب هم فى بداءة معرفتهم بالخط والكتابة ، فلم يكونوا يعرفون من شؤون الاعجام والتشكيل وسائر العلام شيئاً لحد ذاك الوقت .

نشأة الخط العربى :

ليس فى آثار العرب بالحجاز مايدل على معرفتهم بالكتابة ، الاقيل الاسلام . والسبب فى ذلك ان العرب كان قد غلب على طباعهم البداوة ، فكانوا فى ترحال وارتحال واحروب وغارات ، وكانت تصرفهم عن التفكير فى شؤون الصناعات ، والكتابة من الصناعات الحضرية .

لكن بعض العرب ممن رحلوا الى الشام والعراق فى تجارة او سفارة ، جعلوا يتخلقون باخلاق تلك الامم المتحضرة . فاقبسو منهم الكتابة والخط على سبيل الاستعارة ، فعادوا وبعضهم يكتب بالخط النبطى او الخط السريانى . وظل الخطان معروفين عند العرب الى ما بعد الفتح الاسلامى .

وقد تخلف عن الخط النبطى الخط النسخى - وهو المعروف اليوم - وتخلف عن الخط السريانى الخط الكوفى . وكان يسمى الخط الحيرى ، نسبة الى الحيرة

١- النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٧ .

٢- مناهل العرفان ج ١ ص ٢٥١ .

- مدينة عربية قديمة بجوار الكوفة اليوم - لان هذا التحول حصل فيها . ثم بعد بناء الكوفة وانتقال الحضارة العربية اليها ، تحول اسم هذا الخط الى الخط الكوفى . وظل هذا الخط هو المعروف والمتداول بين العرب فى فترة طويلة .

والخط النبطى - المتحول الى الخط النسخى - تعلمته العرب من حوران ، اثناء تجارتهم الى الشام . اما الخط الحيرى او الكوفى فقد تعلموه من العراق . فكانوا يستخدمون القلمين جميعاً : الاول فى المراسلات والكتابات الاعتيادية والثانى للكتابات ذوات الشأن كالقرآن والحديث .

ودليلا على تخلف الخط الكوفى عن السريانية : انهم كتبوا فى القرآن «الكتب» بدل «الكتاب» . و«الرحمن» بدل «الرحمان» . وتلك قاعدة مطردة فى الخط السريانى ، يحذفون الالفات الممدودة فى اثناء الكلمة .

جاء الاسلام والخط غير معروف عند العرب الحجازيين ، فلم يكن يعرف الكتابة الابضعة عشر رجلا ، واستخدمهم النبى ﷺ لكتابة الوحى . لكنه جعل يحرض المسلمين على تعلم الخط حتى نموا وكثروا .

لكن بقى الخطان : النسخ والكوفى ، هما المعروفين بين المسلمين ، يعملون فى تطويرهما وتحسينهما ، حتى نبغ ابن مقلة فى مفتتح القرن الرابع الهجرى ، وادخل فى خط النسخ تحسينات فائقة . وهكذا بلغ الخط النسخى العربى ذروته فى الكمال على نحو ما هو عليه الان .

وظل الخط الكوفى ، على عكس ازدهار الخط النسخى وتقدمه ، يتدهور الى ان هجر تماماً ، وكتبت المصاحف بعدئذ بالخط النسخى الجميل . وقد كانت تكتب بالخط الكوفى نحو قرنين او اكثر (١) .

١- راجع : دائرة معارف القرن العشرين ، لفريد وجدى ج ٣ ص ٦٢١ . و تاريخ

التمدن الاسلامى ، لجرى زبدان ج ٣ ص ٥٨ - ٦٠ . والمقدمة لابن خلدون ص ٤١٧ - ٤٢١
و اصل الخط العربى ، لخليل يحيى نامى ، المجلد الثالث . والخط العربى الاسلامى ، لتركى -

اول من نقط المصحف :

كان الخط عندما اقتبسته العرب من السريان والانباط، خالياً من النقط، ولا تزال الخطوط السريانية بلانقط الى اليوم . وهكذا جرت عليه العرب يكتبون بلانقط حتى منتصف القرن الاول ، وبعده بقليل جعل الخط العربي ينتقل الى دوره الجديد، دور تشكيل الخط وتنقيطه ، وسيأتي الكلام عن التشكيل .

وفي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق من قبل عبد الملك بن مروان (٧٥-٨٦هـ) تعرف الناس على نقط الحروف المعجمة وامتيازها عن الحروف المهملة . وذلك على يد يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم ، تلميذى ابي الاسود الدؤلى (١).

والسبب في ذلك : ان الموالي في هذا العهد قد كثروا ، وازدحم القطر الاسلامي بساجانب عن اللغة العربية ، وكان منهم العلماء والقراء ، والعربية ليست لغتهم ، فكان لابد ان يقع في تلفظهم لحن ، ومن ثم كثر التصحيف في القراءات ، وهال المسلمين ذلك . حكى ابو احمد العسكري (٢) ان الناس غبروا يقرأون في مصحف عثمان نيفاً واربعين سنة الى ايام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج بن يوسف الى كتابه وسألهم ان يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات . فيقال : ان نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط افراداً وازواجاً وخالف بين اماكنها ... (٣) .

→ عطية ص ٢٢ . وانتشار الخط العربي ، لعبد الفتاح عبادة ص ١٣ - ١٥ . ومصور الخط العربي

لناجي المصروف ص ٣٣٨ . وتاريخ الخط العربي ، لمحمد طاهر الكردى ص ٥٢

١- دائرة معارف القرن العشرين ج ٣ ص ٧٢٢ . ومناهل العرفان ج ١ ص ٣٩٩ - ٤٠٠

وتاريخ القرآن للزنجاني ص ٤٨

٢- في كتاب التصحيف ص ١٣

٣- ابن خلكان ج ٢ ص ٣٢ في ترجمة الحجاج

وقال الاستاذ الزرقاني : اول من نقط المصحف هو يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم تلميذا ابي الاسود الدؤلى (١) .

اول من شكل المصحف :

وهكذا كان الخط العربى آنذاك مجرداً عن التشكيل (علائم حركة الكلمة واعرابها) وبطبيعة الحال كان المصحف الشريف خلوأ عن كل علامة تشير الى حركة الكلمة او اعرابها .

بيدان القرآن فى الصدر الاول كان محفوظاً فى صدور الرجال ومأمونا عليه من الخطأ واللحن ، بسبب ان العرب كانت تقرأه صحيحاً حسب سليقتها الفطرية التى كانت محفوظة لحد ذلك الوقت . اضيف الى ذلك شدة عنايتهم بالاخذ والتلقى عن مشايخ كانوا قريبي العهد بعصر النبوة . فقد توفرت الدواعى على حفظه وضبطه صحيحاً حينذاك . اما وبعد منتصف القرن الاول حيث كثر الدخلاء وهم اجانب عن اللغة فان السليقة كانت تعوزهم ، فكانوا بامس حاجة الى وضع علائم ودلالات تؤمن عليهم الخطاء واللحن .

مثلا : لفظة «كتب» كانت العرب تعرف بسليقتها الذاتية ، انها فى قوله تعالى : «كتب ربكم على نفسه الرحمة» تقرأ مبنياً للفاعل ، وفى قوله تعالى : «كتب عليكم الصيام» مبنياً للمفعول . اما الرجل الاعجمى فكان يشبهه عليه قراءتها معلومة او مجهولة . كما ان ابا اسود سمع قارئاً يقرأ : « ان الله برىء من المشركين ورسوله » - بكسر اللام - فقال : ما ظننت ان امر الناس آل الى هذا ، فرجع الى زياد بن ابيه - وكان واليا على الكوفة (٥٠ - ٥٣ هـ) وكان قد طلب اليه ان يصنع شيئا يكون للناس اماماً ، ويعرف به كتاب الله ، فاستعفاه ابو الاسود ، حتى سمع بنفسه هذا اللحن فى

كلام الله - فعند ذلك عزم على انجاز ماطلبه زياد (١) فقال : افعل ما امر به الامير ، فليبلغ لى كاتباً مجيداً يفعل ما اقول . فاتوه بكاتب من عبد قيس فلم يرضه ، فاتوه بآخر وكان واعياً فاستحسنه .

قال ابو الاسود للكاتب : اذارأيتنى قدفتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوقه من اعلاه . وان ضمنت فمى فانقط نقطة بين يدى الحرف . وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف (٢) وفى لفظ ابن عياض : زيادة قوله : فاذا اتبعت ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين ففعل (٣) .

وظل الناس بعد ذلك يستعملون هذه النقط علائم للحركات ، غير انهم - فى الاغلب - كانوا يكتبونها بلون غير لون خط المصحف . والاكثر يكتبونها بلون احمر . والظاهر ان تبديل النقط السود الى نقط ملونة حدث بعد وضع الاعجام على يد نصير بن عاصم الانف ، للفرق بين النقطة التى هى علامة الحركة ، والتى هى علامة الاعجام .

قال جرجى زيدان : وقد شاهدنا فى دار الكتب المصرية مصحفاً كوفياً منقطاً على هذه الكيفية ، وجدوه فى جامع عمرو بن العاص بجوار القاهرة ، وهو من اقدم مصاحف العالم ، ومكتوب على رقوق كبيرة بممداد اسود وفيه نقط حمراء اللون ، فالنقطة من فوق الحرف فتحة وتحتها كسرة وبين يديها ضمة ، كما وصفها ابو الاسود (٤) .

١- يقال : ان زياداً هو الذى دبر هذه الطريقة ليحبر بها ابا الاسود على قبول ماطلبه منه . فاعز الى رجل من اتباعه ان يقعد فى طريق ابي الاسود ويتعمد للحن فى القراءة (تركى عطية : الخط العربى الاسلامى ص ٢٦) و(يوسف احمد : الخط الكوفى ص ٢٣) .

٢- الفهرست لابن النديم ص ٤٦ الفن الاول من المقالة الثانية .

٣- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام : السيد حسن الصدر ص ٥٢

٤- تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٦١

وقد جرى بالاندلس استعمال اربعة ألوان للمصاحف هي : اللون الاسود ،
للحروف . واللون الاحمر ، للشكل بطريقة النقط . اللون الاصفر ، للهمزات . واللون
الاخضر ، لآلفات الوصل (١) .

تحسينات متأخرة :

قال جلال الدين : كان الشكل فى الصدر الاول نقطاً ، فآلفتحه نقطة على اول
الحرف ، والضممة على آخره والكسرة تحت اوله . وعليه مشى الدانى . والذى
اشتهر الآن : الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف ، وهو الذى اخرج الخليل
ابن احمد الفراهيدى (٢) فآلفتح شكلة مستطيلة فوق الحرف ، والكسر كذلك تحته ،
والضم واوصغيرة فوقه ، والتنوين زيادة مثلها... قال: واول من وضع الهمز والتشديد
والروم والاشمام الخليل ايضاً (٣) .

وهكذا كلما امتد الزمان بالناس ازدادت عنايتهم بالقرآن وتيسير رسمه من
طور الى طور ، حتى اذا كانت نهاية القرن الثالث الهجرى ، بلغ الرسم ذروته فى
الجودة والحسن ، واصبح الناس يتنافسون فى اختيار الخطوط الجميلة وابتكار
العلامات المميزة ، حتى جعلوا لسكون الحرف رأس خاء ، ومعناها : ان الحرف
المسكن اخف من الحرف المتحرك . وابرأس ميم ، ومعناه : ان الحرف مسكن فلا
تحركه . وعلامة التشديد ثلاث سنابات ، ومعناها : شد الحرف شديداً . ووضعوا
لآلفات الوصل رأس صاد ، ومعناه : صل هذا الحرف ... وهكذا لطف صناعة رسم

١- الخط العربى الاسلامى : تركى عطية ص ٢٢ . نقلا عن عثمان بن سعيد الدانى

فى كتابه «المقنع» . وتاريخ القرآن لآبى عبدالله الزنجانى ص ٦٨

٢- هوال من صنف النقط ورسمه فى كتاب وذكر الله (المحكم : ٩)

٣- الاتقان ج ٢ ص ١٧١ وكتاب النقط لآبى عمرو الدانى ص ١٣٣

الخط لطفاً ،ورقت حاشيته تهديباً حسناً وظرفاً (١) .

واماوضع الاشار والاحماس وغيرهما من علائم التحزيب والتجزئة ، فقليل :
ان المأمون العباسي هو الذي امر بذلك .

وقيل ان الحجاج فعل ذلك ، قال احمد بن الحسين : بعث الحجاج الى قراء
البصرة فجمعهم واختار منهم جماعة . وقال : عدوا حروف القرآن ، فجعلوا يعدونها
اربعة اشهر ، واذا هي : ٧٧٤٣٩ كلمة . و ٣٢٣٠١٥ حرفاً . وفي رواية : ٧٤٠-٣٤
حرفاً . وينتصف القرآن على الفاء من قوله : «وليتلطف» سورة الكهف : ١٩ . وعدد
آياته - في قول علي عليه السلام : ٦٢١٨ آية .

وقد اشتهر تحزيب القرآن وتجزئته الى ثلاثين جزءاً تسهيلاً لقراءته في المدارس
وغيرها .

واطول سورة في القرآن هي البقرة ، واقصرها الكوثر .

واطول آية في القرآن آية الدين (٢) تحتوي على ١٢٨ كلمة وهي ٥٤٠ حرفاً .
واقصر آية «والضحى» ثم «والفجر» . حروفها : ٥ لفظاً و ٦ رسماً .

واطول كلمة في القرآن : «فاسقينا كموه» (٣) احد عشر حرفاً لفظاً ورسماً (٤) .
واخرج احمد في مسنده عن اوس بن حذيفة ، قال : كنت في الوفد الذين اتوا
رسول الله ﷺ كانوا اسلموا من ثقيف من بني مالك . فأنزلنا في قبة له ، فكان يختلف الينا
بين بيوته وبين المسجد ، فاذا صلى العشاء الاخرة انصرف الينا يحدثنا مالقى من قومه
بمكة وبعد المهاجرة الى المدينة . فمكث عنا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد
العشاء ، قال : قلنا : ما امكثك عنا يا رسول الله ﷺ ؟ قال : طرأ عني حزب من القرآن ،

١- المصباح ، لسلامة بن عياص (تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٥٢)

٢- سورة البقرة : ٢٨٢

٣- سورة الحجر : ٢٢

٤- راجع : البرهان للزركشي ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٥٢

فأردت ان لا اخرج حتى افضيه ، فسألنا اصحاب رسول الله ﷺ حين اصبحنا : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : نحزبه ست سمور وخمس سور وسبع سور وتسع سور واحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة . وحزب المفصل من سورة حتى نختم (١) . والظاهر ان الجملة الاخيرة هى من كلام اوس نفسه ، تفريعاً على ما ذكره اصحاب رسول الله ﷺ لان القرآن لم يؤلف حينذاك مصحفاً بين دفتين . وانما كانت السور مكتملة ، فكانوا يقسمون السور الى اعداد متساوية لتسهيل قراءتها حسب تقسيم الايام والافاق .

٣- اخطاء املائية :

لاشك ان الخط وضع ليبر عن المعنى بنفس اللفظ الذى ينطق به فالكتابة فى الحقيقة قيد للفظ المعبر عن المعنى المقصود . وعليه فيجب ان تكون الكتابة مطابقة للفظ المنطوق به تماماً ، ليكون الخط مقياساً للفظ من غير زيادة عليه او نقصان . غير ان اساليب الانشاء والكتابة تختلف عن هذه القاعدة بكثير . ولكن لا بأس بذلك مادام الاصطلاح العام جارياً عليه ، فلا يسبب اشتهاها او التباساً فى المراد . هذا .. ورسم الخط فى المصحف الشريف تخلف حتى عن المصطلح العام ففيه الكثير من الاخطاء الاملائية وتناقضات فى رسم الكلمات ، بحيث اذا لم يكن سماع وتواتر فى قراءة القرآن ، ولا يزال المسلمون يتوارثونها جيلاً بعد جيل ، فى دقة وعناية بالغة ، لولا ذلك لاصبح قراءة كثير من كلمات القرآن ، قراءة صحيحة ، مستحيلة .

ويرجع السبب - كما تقدم - الى عدم اضطلاع العرب بفنون الخط واساليب الكتابة ذلك العهد . بل ولم يكونوا يعرفون الكتابة غير عدد قليل ، خطأً بدائياً رديئاً للغاية . كما يبدو على خطوط باقية من الصدر الاول (١) .

١- راجع : ابن خلدون ، المقدمة ص ٤١٩ - ٤٣٨

كما ويبدو ان الذين انتدبهم عثمان لكتابة المصحف كانوا غاية في رداءة الخط وجهلاً بالساليب الكتابية ، حتى ولو كانت بدائية آنذاك .

يحدثنا ابن ابي داود - كما سبق : انهم بعدما اكملوا نسخ المصاحف ، رفعوا الى عثمان مصحفاً فنظر فيه فقال : قد احسنتم واجملتم ، ارى فيه شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها . ثم قال : اما لو كان المملى من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا (١) .

يبدو من هذه الرواية ان عثمان كان يعلم من هذيل معرفتها بأسلوب الانشاء ذلك الوقت ، ومن ثقيف حسن كتابتها وجودة خطها . الامر الذى فقده فى المصحف الذى رفع اليه . ومن ثم يؤخذ عليه انتدابه الاول الذى تم من غير فحص ولا عناية !

وروى الثعلبى فى تفسيره - عند قوله تعالى : «ان هذان لساحران» - ان عثمان قال : ان فى المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها . فقليل له : الاتغيره ؟ - اى ألا تصحيحه ؟ - فقال (عن تكاسل او تساهل) : دعوه فانه لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً (٢) .

هذا .. ولابن روزبهان - هنا - محاولة فاشلة . قال : واما عدم تصحيح لفظ القرآن ، لانه كان يجب عليه (على عثمان) متابعة صورة الخط ، وهكذا كان مكتوباً فى المصاحف ، ولم يكن له التغير جائزاً ، فتركه لانه لغة بعض العرب ! (٣) .

ماندرى ماذا يعنى بقوله : كان مكتوباً فى المصاحف ، اى مصاحف ؟ وكيف يجمع بين قوله هذا وقوله اخيراً : لانه لغة بعض العرب ؟!

وعلى اى تقدير فان تساهل المسؤولين ، ذلك العهد ، اعقب على الامة - مع الابد - مكابدة اخطاء ومناقضات جاءت فى المصحف الشريف ، من غير ان تجرأ العرب او غيرهم على اقامتها عبر العصور .

١ - المصاحف ص ٣٢ - ٣٣

٢ - دلائل المصدق : المظهر ج ٣ ص ١٩٦

٣ - المصدر ص ١٩٧

نعم لم يمسوا القرآن بيد اصلاح بعد ذلك قط لحكمة ،هى خشية ان يقع القرآن عرضة تحريف اهل الباطل بعدئذ بحجة اصلاح خطائه او اقامة أوده ،فيصبح كتاب الله معرضاً خصباً لتلاعب ايدى المغرضين من اهل الاهواء .

وقد قال على عليه السلام كلمته الخالدة : ان القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول (١)
فاصبحت مرسوماً قانونياً التزم به المسلمون مع الابد .

* * *

(ملحوظة) : ليس وجود اخطاء املائية فى المصحف الشريف بالذى يمس كرامة القرآن :

اولا : القرآن - فى واقعه - هو الذى يقرأ ، لا الذى يكتب . فلتكن الكتابة باى اسلوب ، فانها لا تضر شيئا مادامت القراءة باقية على سلامتها الاولى التى كانت تقرأ على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الاكرمين .

ولاشك ان المسلمين احتفظوا على نص القرآن بلفظه المقروء صحيحاً ،منذ الصدر الاول فالى الان ، وسيبقى مع الخلود فى تواتر قطعى .

ثانياً : تخطئة الكتابة هى استنكار على الكتبة الاوائل : جهلهم او تساهلهم ، وليست قدحاً فى نفس الكتاب ،الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،تنزيل من حكيم حميد (٢) .

ثالثاً : ان وجود اخطاء ظلت باقية لم تتبدل ، يفيد المسلمين فى ناحية احتجاجهم بها على سلامة كتابهم من التحريف عبر القرون . اذ أن أخطاء املائية لاشأن لها ،وكان جديراً ان تمد اليها يد الاصلاح ، ومع ذلك بقيت سليمة عن التغير ، تكريماً بمقام السلف فيما كتبوه ، فاجدر بنص الكتاب العزيز ان يبقى بعيداً عن احتمال التحريف والتبديل رأساً . وقلنا - آنفاً - : ان الحكمة فى الابقاء على تلكم الاخطاء كانت هى

١- تفسير الطبرى ج ١٧ ص ٩٣

٢- سورة فصلت : ٤٢

الحذر على نفس الكتاب : ان لاتمسسه يدسوء بحجة الاصلاح ، ومن ثم اصبحت
سداً منيعاً دون اطماع المغرضين ، وبذلك بقى كتاب الله يشق طريقه الى الابدية
بسلام .

* * *

(ملحوظة اخرى) : بايدنا آثار- رويت باسانيد ، حكم ارباب النقد والتمحيص
بصحتها - تنسب الى كثير من الصحابة والتابعين اعتقادهم بخطاء رسم المصحف
العثماني ، وعدم ثقتهم بالكتابة الاولى ، فيما كانوا يتشككون في ثبت آية او كلمة
هل كانت - كما نزلت على رسول الله ﷺ ؟ وهذا يبدو غريباً للغاية . !

نعم ان دلت فانما تدل على ان الثقة بالرسم القائم من قبل الكتاب الذين انتدبهم
عثمان ، كانت قد زالت عند الصحابة والتابعين ، اذ وجدوهم غير اكفاء لهكذا
مشروع جلل . وقد أخذوا من لحن المرسوم دليلاً على قصورهم في الامر ، ومن ثم
لم يثقوا بالرسم الموجود .

هذا غاية ماتدل عليه تلكم الاثار ، اما المحتوى فلانكاد نصدقه على اى تقدير .
وفيما يلي نماذج من ذلك :

١- روى ابن ابي داود وابوعبيد بسندهما الى عروة بن الزبير ، قال : سألت
عائشة عن لحن القرآن في ثلاث آيات : «ان هذان لساحران» (١) . و«ان الذين
آمنوا والذين هادوا والصابئون» (٢) . و«لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيميين الصلاة والمؤتون الزكاة» (٣) ؟ !

١- سورة طه : ٦٣ . والقاعدة تقتضى نصب اسم ان . وعن ابي عمرو : انى لاستحى

ان اقرأ «ان هذان لساحران» . ! التفسير الكبير للامام الرازى ج ٢٢ ص ٧٢

٢- سورة المائدة ٦٩ : ومقتضى القاعدة هو النصب لانه عطف على اسم ان

٣- سورة النساء : ١٦٢ . ويجب الرفع ، لانه عطف على مرفوع

فقلت : يا ابن اختي ، هذا عمل الكتاب ، اخطأوا في الكتابة (١)

قال جلال الدين السيوطي : هذا اسناد صحيح على شرط الشيخين (٢) .

٢- روى احمد بن حنبل بسنده الى ابي خلف مولى بنى جمح : انه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة في سقيفة زمزم ، ليس في المسجد ظل غيرها ، فرحبت بعبيد ابن عمير ، وقالت : ما جاء بك ؟ قال : جئت ان اسألك عن آية في كتاب الله ، كيف كان رسول الله ﷺ يقرأها ؟ فقلت : أية آية ؟ فقال : «الذين يؤتون ما آتوا - او - يأتون ما أتوا (٣)» ؟

فقلت : أيتها أحب اليك ؟ قال : والذي نفسى بيده لاحدهما احب الى من الدنيا جميعاً ! . قالت : ايتهما ؟ قال : «يأتون ما أتوا» !
قالت : اشهد ان رسول الله ﷺ كذلك كان يقرأها ، وكذلك انزلت ، ولكن الهجاء حرف (٤) .

* * *

٣- روى ابو جعفر الطبري . والحاكم النيسابوري - وصححه (٥) - عن ابن عباس ، قال في قوله تعالى «لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا

١- المصاحف ص ٣٤. وفضائل القرآن لابي عبيد القاسم بن سلام. والانتصار للباقلاني

ص ١٨٤. وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٥ - ٢٦

٢- الاتفاق ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٤

٣- سورة المؤمنون : ٦٠ . اي ممدوداً مزيداً فيه او مقصوداً مجرداً ؟

٤- مسند احمد بن حنبل ج ٦ ص ٩٥. والثابت في المصحف هو المد ، ماضياً مزيداً فيه . والمعنى يختلف على القراءتين : فعلى المد : يعطون الشيء وهم يخشون ان لا يقبل منهم عند الله . وعلى القصر : يعملون العمل وهم يخافون الله . راجع : مجمع البيان ج ٧ ص ١١٠ .

٥- الاتفاق ج ١ ص ١٨٥

على اهلها (١) : هي من خطاء الكاتب . وانما هي : حتى تستأذنوا وتسلموا... (٢)
٣- واخرج ابو عبيد عن ابن عباس ، قال : انزل الله هذا الحرف على
لسان نبيكم «ووصى ربك ان لاتعبدوا الاياه (٣)» فالتصقت احدى الواوين بالصاد،
فقرأ الناس «وقضى ربك» - ولم يكن المصحف منقوطة آنذاك - قال : ولونزلت
على القضاء ما اشرك به احد (٤) .

وفى لفظ ابن اشته : استمد الكاتب مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد (٥) .
٥- واخرج ابن المنذر وسعيد بن منصور عن ابن عباس : انه كان يقرأ : «ولقد
آتيناه موسى وهارون الفرقان ضياء - والقراءة المشهورة : وضياء (٦) - ثم قال :
خذوا - او انزعوا - هذه الواو من هنا ، واجعلوها هاهنا : فى اول قوله تعالى « - و -
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم (٧) » لانه زعمها عطفاً على الموصول
قبلها . (٨) . قال ابن حجر : هو اسناد جيد (٩) .

٦- اخرج ابو جعفر الطبرى وابن الانبارى عن ابن عباس ، كان يقرأ : «أفلم
يتبين الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً» . فقليل له : انها فى المصحف

١- سورة النور : ٢٧

٢- جامع البيان للطبرى ج ١٨ ص ٨٧

٣- سورة الاسراء : ٣١

٤- الدر المنثور ج ٤ ص ١٧٠

٥- الاتفاق ج ١ ص ١٨٥

٦- سورة الانبياء : ٤٨

٧- سورة آل عمران : ١٧٣ . والاية غير مصددة بالواو فى القراءة المشهورة .

٨- الاتفاق ج ١ ص ١٨٥ . والدر المنثور ج ٤ ص ٣٢٠

٩- فتح البارى ج ٨ ص ٢٨٣

«أفلم ييأس (١)» ا فقال : اظن الكاتب كتبها وهوناعس .

وفي لفظ الطبري: كتب الكاتب، الاخرى - اى القراءة المشهورة - وهوناعس .

قال ذلك بصورة جزم (٢)

قال ابن حجر: هذا حديث رواه الطبري وعبد بن حميد باسناد صحيح ، كلهم

من رجال البخارى عن ابن عباس (٣) .

وقد بالغ الزمخشري في الانكار على صحة الاثر (٤) . فقال ابن حجر في رده :

هذا انكار من لاعلم به بالرجال . . وتكذيب المنقول بعد صحته ليس من دأب اهل التحصيل ، فلينظر في تأويله بما يليق به .

* * *

٧- وعن الضحاك انه قال : كيف تقرأ هذا الحرف .. ؟ قال : «وقضى ربك» . ؟

قال : ليس كذلك نقرأها نحن ولا ابن عباس ، انما هي : ووصى ربك ، وكذلك

كانت تقرأ وتكتب . فاستمد كاتبكم فاحتمل القلم مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد

ثم قرأ : « ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله (٥) » .

ولو كانت قضى من الرب لم يستطع احد رد قضائه . ولكنه وصية اوصى بها

العباد (٦) .

* * *

٨- اخرج ابن ابي داود عن سعيد بن جبير ، قال : في القرآن اربعة احرف

١- سورة الرعد : ٣١

٢- جامع البيان ج ١٣ ص ١٠٤ . الاتقان ج ١ ص ١٨٥ .

٣- فتح الباري بشرح البخارى ج ٨ ص ٢٨٢ .

٤- الكشف ج ٢ ص ٥٣٠ - ٥٣١ .

٥- سورة النساء : ١٣١ .

٦- الاتقان ج ١ ص ١٨٥ .

لحن : « الصابئون (١) » . « والمقيمين (٢) » . « فاصدق واكن من الصالحين (٣) » .
« ان هذان لساحران (٤) » (٥) .

٩- اخرج ابن ابى داود - ايضاً - عن ابى خالد ، قال : قلت لابان بن عثمان :
كيف صارت « والمقيمين الصلاة » . وما بين يديها وما خلفها رفع ؟ ! قال : من قبل
الكاتب . كتب ما قبلها . ثم سأل المملى ما اكتب ؟ قال : اكتب المقيمين الصلاة .
فكتب ما قبل له (٦) .

١٠ - اخرج الطبرى عن قيس بن سعد ، قال : قرأ رجل عند على عليه السلام « وطلع
منضود (٧) » . فقال - عليه السلام - : ما شأن الطلح ، انما هو « وطلع منضود » .
ثم قرأ « طلعها هضيم (٨) » . فقلنا : اولا نحولها ؟ فقال : ان القرآن لا يهاج اليوم
ولا يحول (٩) .



تلك نماذج عشرة عرضناها ، اردنا بذلك لازم مدلولاتها : عدم ثقة السلف
بالكتابة الاولى ، فلم يطمأنوا الى ما اثبتوه ان تكـون هى القراءة الصحيحة الثابتة .
فلو كانوا عرفوا فيهم الكفاءة و الاتقان لما ترددوا فى صحة ما اثبتوه . . . هذا غاية

١- سورة المائدة : ٦٩ . والقاعدة : النصب .

٢- سورة النساء : ١٦٢ . والقاعدة : الرفع .

٣- سورة المنافقون : ١١ . والقاعدة : نصب « واكون » .

٤- سورة طه : ٦٣ . والقياس : النصب .

٥- مصاحف ابن ابى داود ص ٣٣ - ٣٤ .

٦- نفس المصدر .

٧- سورة الواقعة : ٢٩

٨- سورة الشعراء : ١٤٨

٩- جامع البيان ج ٢٧ ص ١٠٤

ما تدلنا عليه تلك الآثار، اما نفس المحتوى وصحة ما تضمنته من تبديل نص المصحف الشريف ، فهذا شيء لانكاد نصدقه البتة . لانه هو التحريف الذى اجمعت الامة الاسلامية على عدم تسربه الى كتاب الله العزيز الحميد : انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون (١) . فلا بد من الاخذ فى تأويلها الى وجه معقول اورفضها رأساً .

واجاب ابن اشته عن هذه الآثار بان القرآن نزل على سبعة احرف ، وهى القراءات السبع ، كلها مأثورة عن رسول الله ﷺ - فيما زعموا - فالوارد فى هذه الروايات يكون المقصود : ان الكتبة الاوائل اخطأوا فى القراءة التى وقع اختيارهم عليها ، فكان ينبغى ان يختاروا للثبت فى المصحف تلك القراءة التى رجحها اصحاب هذه الروايات كعائشة وابن عباس والضحاك وسعيد بن جبيرة وابن عثمان وعلى رضي الله عنهم . و جنح ابن الانبارى الى تضعيف اسناد الروايات . فوقف جلال الدين السيوطى فى وجهه : انها روايات صحيحة الاسناد ، بشهادة ائمة الفن ، كابن حجر و الحاكم وغيرهما ، فالجواب الاول اولى (٢) .

هذا . . واما الاخطاء الاملائية الموجودة فى الرسم العثمانى ، فشىء لا يمكن انكاره ، الامر الذى يدل دلالة قطعية على ضعف مقدرة السلف فى ناحية الاملاء واصول الكتابة الصحيحة ، ومن ثم ذلك اللحن والتناقض فى رسم الكلمات . وفيما يلى نماذج من اللحن الواقع فى الرسم العثمانى :

نماذج من اخطاء الرسم :

وربما نرسم جدولاً يستوعب الاخطاء الواقعة فى الرسم العثمانى مستقصاة ، ونشير هنا - الان - الى اهم اخطاء وقعت فيه كنماذج بارزة :

١ - « و اختلف الليل و النهار » البقرة : ١٦٤ . و الصحيح : و اختلف

١- سورة الحجر : ٩

٢- الاتقان ج ١ ص ١٨٥ بتوضيح منا .

- ٢- « علم الغيوب » المائدة : ١٠٩ . والصحيح : علام . . .
 - ٣- « يأتيهم انبؤا » الانعام : ٥ . والصحيح : انباء . . .
 - ٤- « وينؤن عنه » الانعام : ٢٦ . والصحيح : ينأون عنه .
 - ٥- « بالغداة » الانعام : ٥٢ . والصحيح : بالغداة . و الواو زائدة في الرسم
بلاسبب معروف .
 - ٦- « فيهم شركؤا » الانعام : ٩٤ . والصحيح : شركاء .
 - ٧- « مانشؤا » هود : ٨٧ . والصحيح : مانشاء .
 - ٨- « انه لا يائس » يوسف : ٨٧ . والصحيح : لا يئأس
 - ٩- « ألم يأتيكم نبؤا » ابراهيم : ٩ . والصحيح : نبأ . . .
 - ١٠- « فقال الضعفؤا » ابراهيم : ٢١ . والصحيح : الضعفاء .
 - ١١- « ولا تقولن لشأى » الكهف : ٢٣ . والصحيح : لشئ .
 - ١٢- « ولو شئت لتخذت » الكهف : ٧٧ . والصحيح : لتأخذت .
 - ١٣- « قال يبنؤم » طه : ٩٤ . والصحيح : يا ابن ام .
 - ١٤- « اولا اذبحنه » النمل : ٢١ . والصحيح : لاذبحنه . وقد زيدت الف
في الرسم بلاسبب معقول .
 - ١٥- « يا ايها المملؤا » النمل : ٢٩ . والصحيح الملاء .
 - ١٦- « شفؤا » الروم : ١٣ . والصحيح : شفعاء :
 - ١٧ « لهوالبؤا المبين » الصافات : ١٠٦ . والصحيح : البلاء .
 - ١٨- « واصحاب لئبكة » ص : ١٣ : والصحيح : الايكة .
 - ١٩- « وجأى بالنبيين » الزمر : ٦٩ . والصحيح : وجىء .
 - ٢٠- « وما دعؤا الكافرين » غافر : ٥٠ . والصحيح : وما دعاء ..
- تلك نماذج عشرون كان اللحن فيها عجيبياً جداً ، ولا سيما اذا علمنا ان

المصاحف آنذاك كانت مجردة عن كل علامة تشير الى اعجام الحرف او الى حركة الكلمة اوهاجاها الصحيح . مثلاً : من اين يعرف قارئ المصحف أن «لتخذت» مشددة التاء ، وای فرق بينها وبين «لتخذت» مخففة بلام تأكيد؟ او كيف يعرف ان الف «لاذبحنه» زائدة لاتقرأ؟! وان احدى اليائين زائدة في قوله : «والسما بنيناها بأيد» - الذاريات : ٢٧؟ وكذلك لا يدري في «نشؤا» - بلاعلامه - ان الواو زائدة، والالف ممدودة ، والهمزة تلفظ بعد الالف . اذ ليس في اللفظ ما يشير الى ذلك بتاتا وهكذا ..!

مناقضات الرسم العثماني :

والشيء الاغرب وجود مناقضات في رسم المصحف، بينما الكلمة مثبتة في موضع برسم خاص ، واذا هي بذاتها مرسومة في موضع آخر بما يخالفها ، الامر الذي يشير العجب ، وبيعت على الاعتقاد بان الكتابة الاوائل كانوا ابعد شيء عن معرفة اصول الكتابة او الاتقان من وحدة الرسم على الاقل .!

واليك نموذجاً من ذلك التناقض الغريب :

(الكلمة برسمها الصحيح)	(الكلمة برسمها الملحون)
اذأ لاتخذوك . الاسراء : ٧٣	١- ولوشئت لتخذت . الكهف : ٧٧
اصحاب الايكة . الحجر : ٧٨ وق : ١٤	٢- اصحاب لثيكة . الشعراء : ١٧٦ وص : ١٣
ليس على الضعفاء . التوبة : ٩١	٣- فقال الضعفؤا . ابراهيم : ٢١
لايستأخرون ساعة . الاعراف : ٣٣	٤- فلايستأخرون ساعة . يونس : ٣٩
ومادعاء الكافرين . الرعد : ١٤	٥- ومادعؤا الكافرين . غافر : ٥٠
ليس بظلام للعبيد . آل عمران : ١٨٢	٦- ليس بظلم للعبيد . الحج : ١٠
ضربوا لك الامثال . الاسراء : ٤٨	٧- ضربوا لك الامثل . الفرقان : ٩

(الكلمة برسمها الملحون)

- ٨- ويمح الله الباطل . الشورى : ٢٢
- ٩- فاحيكم ثم يميتكم . البقرة : ٢٨
- ١٠- اى لفهم رحله : الفيل : ٢
- ١١- قال يبنؤم . طه : ٩٤
- ١٢- فى اموالنا مانشؤا . هود : ٨٧
- ١٣- وان تعدوا نعمت الله . ابراهيم : ٣٤
- ١٤- فلن تجد لسنة الله . فاطر : ٤٣
- ١٥- على بينت منه . فاطر : ٤٠
- ١٦- لذا الباب . يوسف : ٢٥
- ١٧- طغا الماء . الحاقة : ١١
- ١٨- ولانقولن لشأىء . الكهف : ٢٣
- ١٩- فقال الملؤا . المؤمنون : ٢٤
- ٢٠- أيه الثقلان . الرحمان : ٣١

(الكلمة برسمها الصحيح)

- يمحو الله مايشاء (١) . الرعد : ٣٩
- احياكم ثم يميتكم . الحج : ٦٦
- لايلف قريش (٢) . الفيل : ١
- قال ابن ام . الاعراف : ١٥٠
- فى الارحام مانشاء . الحج : ٥
- وان تعدوا نعمة الله . النحل : ١٨
- ولن تجد لسنة الله . الفتح : ٢٣
- على بينة من ربه . محمد : ١٤
- لدى الحناجر . غافر : ١٨
- من طغى . النازعات : ١٧
- وكان الله على كل شىء . الكهف : ٤٥
- وقال الملاء . المؤمنون : ٣٣
- ايها المجرمون . يس : ٥٩

تلك - ايضاً - امثلة عشرون اخترناها من التناقض الموجود فى الرسم العثمانى .
وربما تزداد غرابتك - ايها القارىء - اذا ملاحظت التناقض فى املاء سورة واحدة ،
كالامثال رقم : ١٨ سورة الكهف . ورقم : ١٩ سورة المؤمنون ، كما رسموا «بسطه»
فى البقرة : ٢٤٧ بالسين ، وفى الاعراف : ٦٩ بالصاد . وكذلك «ببسط» فى الرعد : ٢٦
بالسين ، وفى البقرة : ٢٢٥ بالصاد . وهذا ايضا من التناقض فى سورة واحدة .. الى
غير ذلك وهو كثير .

١- وان كان ثبت الالف بعد الواو ايضاً خطأ ، لانه مفرد .

٢- وان كان حذف الالف ايضاً لحناً .

غلو فاحش :

قديغلو بعض المتزمتين بالرسم القديم ، فيزعمونه توقيفيا كان بأمر النبي ﷺ الخاص ، ولم يكن للكتابة الاوائل دخل في رسمه بالهيئة الموجودة . وان وراء هذه المخالفات الاملائية سرأ خفياً وحكمة بالغة لا يعلمها الا الله :

نقل ابن المبارك عن شيخه عبدالعزيز الدباغ ، انه قال : «رسم القرآن سر من اسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة . وهو صادر من النبي ﷺ وهو الذي امر الكتاب ان يكتبوه على هذه الهيئة ، فما نقصوا ولا زادوا على ماسمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم -» .

ثم قال : «ماللصحابة ولا لغيرهم في رسم المصحف ، ولا شعرة واحدة ، وانما هو توقيف من النبي ﷺ وهو الذي امرهم ان يكتبوه على الهيئة المدونة بزيادة الالف ونقصانها . لانها اسرار لا تهتدى اليها العقول ، وهو سر من اسرار الله ، خص الله به كتابه العزيز ، دون سائر الكتب السماوية .

وكما ان نظم القرآن معجز ، فرسمه ايضاً معجز .

وكيف تهتدى العقول الى سر زيادة الالف في «مائة» دون «فئة» . والى سر زيادة الياء في «باييد» و«باييكم» !

ام كيف تتوصل الى سر زيادة الالف في «سعوا» في سورة الحج ، ونقصانها من «سعو» في سورة سبأ !

والى سر زيادتها في «عتوا» حيث كان . ونقصانها من «عتو» في سورة الفرقان !

والى سر زيادتها في «آمنوا» واسقاطها من «باؤ . جاؤ . تبوؤ . فاؤ» بالبقرة !

ثم يقول : وكيف تتوصل الى حذف بعض التاءات وربطها في بعض !

فكل ذلك لاسرار الالهية واغراض نبوية . وانما خفيت على الناس لانها اسرار باطنية

لا تدرك الا بالفتح الرباني . فهي بمنزلة الالفاظ والحروف المقطعة التي في اوائل السور ، فان

لها اسرار أعظيمة ومعاني كثيرة وأكثر الناس لا يهتدون الى اسرارها ، ولا يدركون شيئاً من المعاني الالهية التي اشير اليها . فكذا امر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف» (١) .

* * *

هذا وقد كشف بعضهم عن هذا السر الخفي ، وابدى تمحلات غريبة ، فزعم ان زيادة الالف في «لا اذبحنه» انما كانت للدلالة على ان الذبح لم يقع . وان زيادة الياء في « والسما » بنيناها بأييد « للايماء الى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء ، وانها لا تشبهها قوة ، على حد القاعدة المشهورة : زيادة المباني تدل على زيادة المعاني (٢) .

وقد اوضح في ذلك واسهب ابو العباس المراكشي الشهير بابن البناء (توفي سنة : ٧٢١ هـ) في كتابه «عنوان الدليل في مرسوم التنزيل» ، وبين ان هذه الاحرف انما تختلف حالها في الخط بحسب اختلاف واحوال معاني كلماته ، من حكم خفية واسرار بهية ، منها : التنبيه على العوالم الغائب والشاهد ، ومراتب الوجود والمقامات . والخط انما يرسم على الامر الحقيقي لا الوهمي ...
ونذكر فيما يلي مقتطفات من كلامه تدل على مبلغ غلوه بشأن الرسم وتكلفه في الاختلاق الباهت :

١- زدت الالف في «لا اذبحنه» تنبيها على ان الذبح اشد من العذاب الذي ذكر في صدر الاية : «لا عذبه عذاباً شديداً اولا اذبحنه» النمل : ٢١ .

٢- زدت الالف في «يرجوا» و «يدعوا» للدلالة على ان الفعل اثقل من الاسم ، لتحمله ضمير الفاعل ، ومن ثم لما استخفوا بالفعل حذفوا منه الالف وان كان جمعاً ، كقوله : «سعو في آياتنا معاجزين» سبأ : ٥ . فانه سعى باطل لا يصح له ثبوت في الوجود .

١- مناهل العرفان ج ١ ص ٣٧٥ - ٣٧٦ نقلاً عن ابن المبارك في كتابه «الابريز» .

٢- مقدمة ابن خلدون ص ٤١٩ . ومناهل العرفان ج ١ ص ٣٦٧

٣- زیدت الالف بعد الهمزة من قوله : « كامثال اللؤلؤا » الواقعة : ٢٣ . تنبيهاً على معنى البياض والصفاء بالنسبة الى مالميس بمكنون ، ومن ثم لم تزد بعد قوله : « كانهم لؤلؤ ، الطور : ٢٤ . للاجمال وخفاء التفصيل .

٤- زیدت الالف فى « و جاى يومئذ بجهنم » الفجر : ٢٣ . دليلا على ان هذا المعنى هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المعنى .

٥- زیدت الالف فى « مائة » دون « فئة » ، لانه اسم يشتمل على كثرة مفصلة بمرتبين : آحاد وعشرات .

٦- زیدت الواو فى « سأوريكم آياتى » الانبياء : ٣٧ . للدلالة على الوجود فى اعظم رتبة العيان .

٧- زیدت الياء فى « بأيدى » الذاريات : ٤٧ : فرقاً بينها وبين « الايدى » الذى هو جمع اليد . وان القوة التى بنى الله بها السماء هى احق بالثبوت فى الوجود من الايدى . فزیدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى اظهر فى دراك الملكوتى فى الوجود .
٨- سقطت الواو من « سندع الزبانية » العلق : ٨ . لان فيه سرعة الفعل واجابة الزبانية وقوة البطش .

٩- سقطت الواو من « ويدع الانسان بالشر » الاسراء : ٥ . للدلالة على انه سهل عليه ويسارع فيه كما يعمل فى الخير .

١٠ - كتبت « بسطة » فى البقرة : ٢٤٧ بالسین . وفى الاعراف : ٦٩ بالصاد ، لانها بالسین : السعة الجزئية وبالصاد : السعة الكلية (١) .

* * *

قال الدكتور صبحى صالح : لاريب ان هذا غلو فى تقديس الرسم العثمانى ، وتكلف فى الفهم مابعده تكلف . فليس من المنطق فى شىء ان يكون امر الرسم توقيفيا ، ولان يكون له من الاسرار ما لفواتح السور ، ولا مجال لمقارنة هذا بالحروف المقطعة

التي تواترت قرآنيها في أوائل السور ، وانما اصطلاح الكتبة على هذا اصطلاحاً في زمن عثمان ، ووافقهم الخليفة على هذا الاصطلاح (١) .

وقال العلامة ابن خلدون : ولاتلفتن في ذلك الى مايزعمه بعض المغفلين ، من ان الصحابة كانوا محكمين لصناعة الخط ، وان مايتخيل من مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كما يتخيل ، بل لكلها وجه .

يقولون في مثل زيادة الالف في لااذبحنه : انه تنبيه على ان الذبح لم يقع ، وفي زيادة الياء في بأييد : انه تنبيه على كمال القدرة الربانية . وامثال ذلك مما لا اصل له الا التحكم المحض (٢) .

قال ابن الخطيب : لما كان اهل العصر الاول قاصرين في فن الكتابة ، عاجزين في الاملاء ، لاميتهم وباداوتهم ، وبعدهم عن العلوم والفنون ، كانت كتابتهم للمصحف الشريف سقيمة الوضع ، غير محكمة الصنع ، فجاءت الكتبة الاولى مزيجاً من اخطاء فاحشة ومناقضات متباينة في الهجاء والرسم (٣) .



هذا .. وقد اغرب محمد طاهر الكردي - وهو يستطلع القرن الخامس عشر الهجري - فتراجع القهقرا ، واخذ في الغلو الفاحش بشأن الرسم العثماني القديم! قال - بعد استعراض جملة من اخطاء الرسم العثماني والتناقض الموجود فيه بصورة غريبة - : «بقى علينا ان نعرف لما ذالم يكتب الكتبة الاولى المصحف على قواعد الكتابة الصحيحة ، ولماذا لم يمشوا في كتابته على وتيرة واحدة ؟» «هذا سؤال يجب ان يوجه الى الذين كتبوه بامر عثمان ، وانى يكون ذلك وقد دفنهم التراب ؟ ومن هنا يقول العلماء : ان رسم المصحف سر من الاسرار لا يطلع

١- مباحث في علوم القرآن ص ٢٧٧

٢- المقدمة باب ٥ فصل ٣٠ ص ٤١٩ راجع : باب ٦ فصل ٥ ص ٤٣٨

٣- الفرقان لابن الخطيب ص ٥٧

عليه احد ... !

قال : «ولاتوهمن عليهم السهو او الخطاء او الجهل باصول الكتابة ، ان هذا وهم باطل ... ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً بان الصحابة كانوا يعرفون قواعد الاملاء والكتابة حق المعرفة . ونستدل على قولنا هذا استدلالاً فنياً بثلاثة امور :

الاول : ان العلامة اللوسى قال فى تفسيره روح المعانى : الظاهر ان الصحابة كانوا متقنين رسم الخط ، عارفين بقواعد الكتابة ، غير انهم خالفوا القواعد فى بعض المواضع عن قصد ، لحكمة .. (!! ولعله يريد تمحلات المراكشى الانفة) . قال : فاللوسى - وهو العالم المتبحر وصاحب التفسير الكبير - لا يقول هذا الا بعد النظر والتحقيق ، وان لم يذكر شواهد تؤيد قوله (!!)

الثانى : انهم كانوا يرسلون الملوك والامراء فلا بد من اتقان كتابتهم .

الثالث : انه قدم على نشر الكتابة فى الجزيرة الى عهد عثمان اكثر من ربع

قرن ، فهل يعقل ان الصحابة لم يتقنوا الكتابة فى هذه الفترة الطويلة .. (١)

قلت : ويكفينا جواباً عن سفاسفه ما ذكره العلامة ابن خلدون : ولانلقتن الى

مايزعمه بعض المغفلين ... (٢)

وقد اسهب ابن الخطيب فى الرد على هذه المزعومة الفاضحة ، واتى بالكلام

مستوفى . نقنط منه مايلى :

قال : قال الجعبرى فى سياق كلامه عن هجاء المصحف : «واعظم فوائده انه

حجاب يمنع اهل الكتاب ان يقرأوه على وجهه» (٣) .

قال : وبمثل هذا الهراء ينطق احد ائمة القراء . وبمثل هذا الكلام يحنح

١- تاريخ القرآن : محمد طاهر الكردى ص ١٠١ - ١٢٠

٢- تقدم فى صفحة : ٣٣٠

٣- راجع : الزرقانى - مناهل العرفان ج ١ ص ٣٦٦ فانه ايضاً اتى بسفاسف زعمها

فوائد مترتبة على الرسم العثمانى القديم !

القائلون بوجوب الهجاء القديم . مع ان هذا القول واضح البطلان بادی الخسران .
وفي القرآن آيات كثيرة تخاطب اهل الكتاب وتدعوهم الى الايمان فكيف
عن تلاوته يحجبون ؟!

ثم قال : ومن اشنع ما يتصف به انسان سليم العقل ، صحيح العرفان ما ذكره
الصباغ : « ان فوائد هذا الرسم كثيرة واسراره شتى ، منها عدم الاهتداء الى تلاوته
على حقه الابموقف ، شأن كل علم نفيس يتحفظ عليه » .

فقال : يا للدهاية الدهياء ، لقد صار القرآن مثل علم اليازرجات واللوغارتمات
والطلسمات والاصطرلابات وضرب الرمل والتنجيم وما شاكل ذلك من العلوم
يزعمون نفاستها لما تحتويه من اسرار لاتنال الا بجهد جهيد وتلق طويل الامد .

هذا .. وقد قال تعالى : ولقد يسرنا القرآن للذكر (١) وانتم تقولون انه بعدهم
منه واصلهم عنه ! فما اكبر هذا الزعم ! وما اعظم هذه القرية !

قال : ولو تساءلنا : هل وضع رسم المصحف ليقرأ او ليكون رمزاً ويظل طلسماً ،
يتناقله القراء وحدهم : ويلقنونه لمن يريدون تلقينه ، ممن يتزلف اليهم بماله ونفسه
ويمنعونه عن يرون منعه ممن لم يرزق جاهاً ولا مالاً !

قال : ولقد رأيت بعيني وسمعت باذني ، كثيراً من ذوى الثقافات والادب
يلحنون في قراءة القرآن ، لعدم انسهم بهذا الرسم الغريب وعدم معرفتهم باساليب
القراءة على وجهها الماثور (٢) .

الرأى الخامس :

هكذا يرجع ابن الخطيب تصحيح رسم المصحف الى ما يعرفه جمهور الناس
واستقر عليه اصطلاح ارباب الثقافة اليوم .
وهذا رأى جمهور المحققين ، ذهبوا الى جواز تبديل الرسم القديم الى الرسم

١ - سرية القمر : ١٧

٢ - الفرقان لابن الخطيب ص ٦٣ - ٨٦

الحاضر بعدان لم يكن رسم السلف عن توقيف ، و انما هو اصطلاح منهم او كانت الكتابة فى بداءة امرها غير متقنة ، اما مع تقدم اساليب الكتابة وفيها من التوضيح ما يجعل امر القراءة سهلا على الجميع ، فلا بد من تغيير ذاك الرسم الى المصطلح الحاضر الذى يعرفه كافة الاوساط و ليكون القرآن فى متناول عامة الناس ، وفى ذلك تحقيق للغرض الذى نزل لاجله هذا الكتاب الخالد ليكون هدى للناس جميعاً مع الابد .

وبهذا الصدد يقول القاضى محمد بن الطيب ابوبكر الباقلانى (توفى سنة ٣٠٣ هـ) فى كتابه «الانتصار» : واما الكتابة فلم يفرض الله على الامة فيها شيئا ، اذ لم يأخذ على كتاب القرآن و خطاط المصاحف رسماً بعينه دون غيره اوجبه عليهم وترك ما عداه ، اذ جوب ذلك لا يدرك الا بالسمع والتوقيف . وليس فى نصوص الكتاب ولا مفهومه ، ان رسم القرآن وضبطه لا يجوز الاعلى وجه مخصوص وحد محدود لا يجوز تجاوزه . ولا فى نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه . ولا فى اجماع الامة ما يوجب ذلك ، ولا دلت عليه القياسات الشرعية .

بل السنة دلت على جواز رسمه باى وجه سهل ، لان رسول الله - ص - كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهاً معيناً ، ولانهى احداً عن كتابته ، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف . فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ ، ومنهم من كان يزيد و ينقص لعلمه بان ذلك اصطلاح وان الناس لا يخفى عليهم الحال . ولجل هذا بعينه جاز ان يكتب بالحروف الكوفية والخط الاول ، وان يجعل اللام على صورة الكاف ، وان تعوج الالفات ، وان يكتب على غير هذه الوجوه ، و جاز ان يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين ، و جاز ان يكتب بالخطوط والهجاء المحدثه ، و جاز ان يكتب بين ذلك .

واذا كانت خطوط المصاحف و كثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة ، وكان الناس قد أجازوا ذلك ، وأجازوا ان يكتب كل واحد منهم بما هو عادته ، وما

هوا سهل واشهر و اولى ، من غير تأثيم ولا تناكر ، علم انه لم يؤخذ فى ذلك على الناس حد محدود مخصوص ، كما اخذ عليهم فى القراءة والاذان .

والسبب فى ذلك ان الخطوط انما هى علامات ورسوم تجرى مجرى الاشارات والعقود والرموز ، فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته و تصويب الكاتب به على اى صورة كانت .

وبالجملة فكل من ادعى انه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه ان يقيم الحجة على دعواه وانى له ذلك ؟ . . انتهى . هذا ما لخصه الشيخ عبدالعزيز الزرقانى من كلام القاضى ابى بكر الباقلانى ، لكنه تابعه بالرد عليه من وجوه ونقول لا يخفى وهنها وضعفها تجاه هذا التحقيق المنيع (١) .

ومن ثم قال الدكتور صبحى صالح تعقيباً على هذا الكلام :- وان رأى القاضى ابى بكر لجدير ان يؤخذه ، وحجته ظاهرة ، ونظره بعيد ، فهو لم يخلط بين عاطفة الاجلال للسلف وبين التماس البرهان على قضية دينية تتعلق برسم كتاب الله . واما الذين ذهبوا الى ان الرسم القرآنى توقيفى ازالى فقد احتكموا فى ذلك الى عواطفهم ، واستسلموا استسلاماً شعرياً صوفياً ائى ماذا ويقهم و مواجدهم ، والاذواق نسبية لادخل لها فى الدين ، ولا يستنبط منها حقيقة شرعية (٢)

١- راجع : مناهل العرفان ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٧٨

٢- مباحث فى علوم القرآن ص ٢٧٩

سبعة آلاف لحن !

قد يستغرب الباحث اذا ما عثر على نيف وسبعة آلاف خطأ املائي فى الرسم العثمانى القديم ، ويعدده رقماً كبيراً اذا ما قاسه الى عدد آى القرآن ، وهى نيف وستة آلاف آية .! لكن الحقيقة تشهد بذاتها على صحة هذا الرقم الضخم . واليك عدد مافى كل سورة من خطأ املائي جاء فى الرسم القديم :

الفاتحة : ٣	يونس : ١٣٦
البقرة : ٤٨٠	هود : ١٣٦
آل عمران : ٣٣٠	يوسف : ١٥٣
النساء : ٢٩٢	الرعد : ٧٢
المائدة : ٢٢٥	ابراهيم : ٦٠
الانعام : ٢٣٨	الحجر : ٧٥
الاعراف : ٣٠٣	النحل : ١٥٩
الانفال : ٦٨	الاسراء : ١٤٢
براءة : ٢١٨	الكهف : ١١٦

الشورى : ٤٧	مريم : ٩٢
الزخرف : ٩٠	طه : ١١٤
الدخان : ٣٧	الانبياء : ١٧٠
الجاثية : ٥٣	الحج : ١٠٤
الاحقاف : ٥٨	المؤمنون : ١٢٥
محمد : ٥٣	النور : ١٣٦
الفتح : ٣٧	الفرقان : ٢٨
الحجرات : ٣٠	الشعراء : ١١٠
ق : ٢٦	النمل : ١٠٧
الذاريات : ٣٤	القصص : ١٣٩
الطور : ٢٧	العنكبوت : ١٠٨
النجم : ٣٠	الروم : ٨٠
القمر : ٢٥	لقمان : ٤٨
الرحمان : ٣٠	السجدة : ٤١
الواقعة : ٤٥	الاحزاب : ١٤٤
الحديد : ٥٨	سبا : ٧٣
المجادلة : ٤٥	فاطر : ٥٢
الحشر : ٥٨	يس : ٧٤
المتحنة : ٣٥	الصافات : ١٠٦
الصف : ٢٧	ص : ٧٠
الجمعة : ٢١	الزمر : ١٠٠
المنافقون : ١٨	غافر : ١١٥
التغابن : ١٧	فصلت : ٧٤

الاعلى : ٣	الطلاق : ٢٢
الغاشية : ٦	التحریم : ٣٢
الفجر : ١١	الملک : ٢٠
البلد : ٨	القلم : ٤٢
الشمس : ١٧	الحاقة : ٢١
اللیل : ٣	المعارج : ٢٢
الضحی : ٦	نوح : ١٦
الشرح : ...	الجن : ٢٠٠
التین : ٦	المزمل : ١٢
العلق : ٢	المدثر : ١٦
القدر : ٤	القیامة : ١٢
البینة : ٩	الانسان : ٢١
الزلزلة : ٢	المرسلات : ١٨
العادیات : ٣	النبا : ٢٢
القارعة : ٤	النازعات : ٣٣
التکاثیر : ٢	عبس : ٥
العصر : ٣	التکویر : ٦
الهمزة : ١	الانفطار : ٦
الفیل : ١	المطففين : ١١
قريش : ٣	الانشقاق : ٧
الماعون : ١١	البروج : ١١
الکوثر : ١	الطارق : ٥

الاخلاص : ...

القلق : ١

الناس : ١

الكافرون : ٣

النصر : ...

المسد : ...

تلك ستة آلاف وسبعمأة وسبعة وسبعون لحنا (٦٧٧٧) جاءت في رسم المصحف العثماني ، موزعة على السور .

وإذا أضفنا الى هذا العدد ، حذف الالف من «بسم» و«الرحمن» في البسملة ، وهي مكررة في القرآن (١١٤) مرة ، فيرتفع الرقم الى (٧١٠٥) .

هذا مع غض النظر عن حذف الالف من لفظ الجلالة ، وهو مكرر في القرآن (٢٥٥٠) مرة . وفي البسملة (١١٤) مرة . فيبلغ عدد اخطاء الرسم القديم الى تسعة آلاف وستمأة وتسع وستين (٩٦٦٩) . وهو عدد كبير جداً . وللغثور على مواضع هذه الاخطاء ، بدقة وتفصيل ، راجع : البرهان للزركشي ج١ ص ٣٨٠-٣٣١ والمصحف الميسر ، تنظيم الاستاذ عبد الجليل عيسى ، شيخ كلية اصول الدين بالجامع الازهر . غير ان هذا الاخير اشبه في مواضع ، منها : ص ٧٧٥ رقم ٥ ، زعم «وأتوا» لحنا فصاحه على «وأتوا» . وص ٧٩٤ رقم ١ ، صحح «المودة» على «المودة» .

وقد لخص جلال الدين هذه الاخطاء في قواعد ستة استوفى فيها جميع ما في الرسم العثماني من اخطاء املائية . ذكرها في الاتقان ج ٢ ص ١٦٦-١٧٠ . ونقلها الزرقاني برمتها في مناهل العرفان ج ١ ص ٣٦٢ - ٣٦٦ .

* * *

واليك الان جدولاً تفصيلياً يقارن بين رسم الكلمة في املائها القديم ، ورسمها بالاملاء المعاصر . ماعدا حذف الالفات في مثل «الرحمن» و«العلمين» و«الصرط» وهي كثيرة في المصحف ، جاءت موافقة للخط الكوفي القديم المنحدر من خط السريان ، كانوا يكتبون الكلم بلاالف . وكذلك لم تتعرض لكلمات جاءت فيها الواو او الياء بدلا عن الالف كالصلوة والزكاة والتورية وهدين ، لكثرتها وتكررها .

كما ولم نذكر من الكلمة المتكررة سوى التى جاءت فى اولى آية ، وتركنا ذكرها فى آيات وسور تالية ، وارمزنا لذلك بعلامة «ك» .
ونبدأ بالكلمة على املائها القديم ، ثم نقابلها باملائها المعاصر ، مرتبة حسب ترتيب السور فى المصحف الشريف .

جدول تفصيلي

يقارن بين رسم الكلمة باملائها القديم ورسمها بالاملاء المعاصر

رقم الاية	(من سورة البقرة)	
٣٣	يادم (١)	يا آدم
٤٠	اسرائيل «ك»	اسرائيل
٧١	الن «ك» (٢)	الان
٨٧	عيسى ابن مريم	عيسى بن مريم
٩٠	بش ما «ك»	بشما
١٦٤	اليل «ك»	الليل
٢٢٦	فاؤ	فاؤوا
٢٤٠	فى ما «ك»	فيما
٢٧٥	الربوا «ك»	الربا
٢٨٥	تسموا (٣)	تسأموا

١- برسم همزة فوق الالف

٢- برسم همزة امام اللام

٣- برسم همزة فوق الميم

رقم الآية	(سورة آل عمران)	
٣٥	امرات «ك»	امراة
٧٥	الامين (١)	الامين
٧٩	ربنين (٢)	ربانيين
١٤٤	افين «ك»	افان
١٥٣	تلون (٣)	تلون
	(سورة النساء)	
١٦	الذان	الللذان
٢٣	التي «ك»	اللاتى
٢٥	فمن ما «ك»	فمما
٧٨	فمال هؤلاء «ك»	فما هؤلاء
	(سورة المائدة)	
١٨	ابنؤا	ابناء
٢٩	جزؤا «ك»	جزاء
٣٠	سوءة	سواة
	(سورة الانعام)	
٥	انبؤا «ك»	انباء
٣٤	نباءى	نبأ
٥٢	بالغدوة (٤)	بالغداة

١- برسم ياء كوفية صغيرة فوق الياء

٢- » » » »

٣- برسم واو صغيرة فوق الواو

٤- برسم الف صغيرة فوق الواو

رقم الآية		
٩٢	شركؤا «ك»	شركاء
١١٥	كلمت «ك»	كلمة
١٢٢	اما «ك»	ام ما
	(سورة الاعراف)	
٦	فلنسلن (١)	فلنسألن
٩	ماورى (٢)	ماوورى
٥٦	رحمت «ك»	رحمة
٦٩	بصطة (٣)	بسطة
١٠٥	ان لا	الا
١٢٧	نستحى ى	نستحيى
	(سورة الانفال)	
٣٨	سنت	سنة
	(سورة التوبة)	
٤٧	ولا اوضعوا	ولا اوضعوا
	(سورة يونس)	
١٥	تلقاى	تلقاء
٣٢	يبدؤا	يبدأ
٣٥	أمن	ام من
	(سورة هود)	
٨٦	بقيت	بقية

-
- ١- برسم همزة فوق السين
٢- برسم واو صغيرة فوق الواو
٣- برسم سين صغيرة تحت الصاد

رقم الآية		
٨٧	مانشؤا	مانشاء
٩٧	وملاءيه	وملاءه
	(سورة يوسف)	
٢٥	لدا	لدى
٨٧	تايسوا (١)	تياأسوا
٨٧	يايس (٢)	يياأس
١٠١	ولى	ولى
١١٠	استيس (٣)	استياأس
	(سورة الرعد)	
٣٩	بمحوا	يمحو
	(سورة ابراهيم)	
٩	نبؤا	نبأ
٢١	الضعفؤا	الضعفاء
	(سورة الحجر)	
٩٥	المستهزءبن	المستهزئين
	(سورة النحل)	
٤٣	فسلوا (٤)	فسألوا
٤٨	يتقيؤا	يتقيا

١- برسم همزة فوق الياء

٢- » » »

٣- » » »

٤- برسم همزة قبل اللام

رقم الآية		
٨٤	رءا «ك»	رآى
٩٠	وايتاءى	وايتاء
	(سورة الاسراء)	
١١	يدع	يدعو
	(سورة الكهف)	
٢٣	لشأىء	لشئىء
٣٨	لكنا	لكن
٤٨	ألن	أن لن
٤٣	ارءيت	ارأيت
٧٧	لتخذت	لاتخذت
»	الداع	الداعى
١١٠	يرجوا «ك»	يرجو
	(سورة مريم)	
٢٨	يأخت	ياأخت
٤٢	يأبت	ياأبت
٤٤	يأبرهيم	يا ابراهيم
	(سورة طه)	
١٨	اتوكؤا	اتوكأ
٩٢	يبنؤم	يا ابن ام
١١٩	لاتظمؤا	لاتظما
١٢١	سوءتھما (١)	سوءاتھما

آناء	ءاناءى	رقم الاية
	(سورة الانبياء)	١٣٠
سأريكم	سأوريكم «ك»	٣٧
	(سورة المؤمنون)	
الملاء	الملؤا «ك»	٢٢
كلما	كل ما «ك»	٢٢
	(سورة النور)	
ويدرأ	ويدرؤا	٨
جاؤا	جاءو «ك»	١٣
عنمن	عن من	٢٢
	(سورة الفرقان)	
وعتوا	وعتو	٢١
وئمود	وئمودا «ك»	٣٨
لنحىى	لنحى (٢)	٢٩
	(سورة الشعراء)	
اينما	اين ما	٩٢
الغاوون	الغاون «ك»	٩٢
	(سورة النمل)	
لاذبحنه	لااذبحنه	٢١
ييدأ	ييدؤا «ك»	٤٢

١- برسم الف صغيرة فوق الهمز

٢- برسم ياء صغيرة فوق الياء

اتلوا	٩٢
(سورة القصص)	
اتلوا	٣
يستحيى	٢
قرت	٩
(سورة الروم)	
شفعاء	١٣
لقاء	١٤
فيحيى	٢٢
فطرت	٣٠
ليربوا «ك»	٣٩
(سورة الاحزاب)	
لكيلا	٣٧
(سورة سبا)	
سعوا	٥
(سورة غافر)	
التلاق	١٥
التناد	٣٢
(سورة فصلت)	
الذين (١)	٢٩
(سورة الشورى)	
ويمح	٢٢
ويعفو «ك»	٣٠

رقم الآية		
٣٢	الجوار	الجوارى
٢٠	جزؤا	جزاء
٥١	وراءى	وراء
	(سورة الدخان)	
٢٣	شجرت	شجرة
	(سورة الذاريات)	
١٣	يوم هم	يومهم
٤٧	باييد	بايد
	(سورة القمر)	
٦	يدع	يدعو
	(سورة المجادلة)	
٩	معصيت	معصية
	(سورة الممتحنة)	
٢	برءؤا (١)	برءاء
	(سورة التحريم)	
١١	امرات	امراة
١٢	بكلمت (٢)	بكلمات
	(سورة القلم)	
٦	باييكم	بايكم
	(سورة التكويد)	
٨	الموءدة (٣)	الموؤدة

١- برسم الف صغيرة فوق الهمز

٢- برسم الف صغيرة فوق الميم

٣- برسم واو صغيرة بعد الهمز

(سورة الانشقاق)		
يدعوا	يدعو	١١
(سورة الغاشية)		
بمصيطر (١)	بمسيطر	٢٢
(سورة الفجر)		
ليسرى	ليسر	٤
وجىء	وجاء	٢٣
(سورة قريش)		
اي لفهم (٢)	ايلافهم	٢

١- برسم مين صغيرة تحت الصاد

٢- برسم ياء كوفية صغيرة ومنفصلة قبل اللام

٤- اختلاف المصاحف :

كانت الغاية من ارسال مصاحف الى الافاق ، هي رعاية جانب وحدة الكلمة لئلا تختلف ، وليجتمع المسلمون على قراءة واحدة ونبذ ماسواها . فكان يجب ان تكون هذه المصاحف مستنسخة على نمط واحد ، وان تكون موحدة من جميع الوجوه . ومن ثم كان يجب على اعضاء المشروع ان يتحققوا من وحدتها ويقابلوا النسخ مع بعضها في دقة كاملة .

غير ان الواقعية بدت بوجه آخر ، وجاءت المصاحف يختلف مع بعضها البعض . كان المصحف المدني يختلف عن المصحف المكي ، والمصحف المكي يختلف عن الشامي ، وهذا عن البصري والكوفي وهكذا . الامر الذي يدل بوضوح ان اللجنة تساهلت في امر المقابلة - ايضاً - فلم يأخذوا بالدقة الكاملة فسي جانب توحيد المصاحف المرسله الى الافاق .

وصار هذا الاختلاف في المصاحف ، من اهم اسباب نشوء الاختلاف القرائي فيما بعد ، وفتح باب جديد لاختلاف القراءات في حياة المسلمين .

كان قارئ كل مصر ومقرئها يلتزم - طبعاً - بقراءة مافي مصحفهم من نص . وكان عليه ايضاً ان يختار نوع الحرف والشكل حسب ما يبدو له من ظاهر الكلمة

المثبتة في المصحف بلا نقط ولا تشكيل . ومن ثم كانت السلايق والمداويق ، وكذلك
الانظار والافهام تختلف في هذا الاختيار .

اما الرواية والسماع عن الشيخ ، فهي لاتنضبط تماماً وفي جميع الوجوه اذا
لم تكن مثبتة في سجل او في نص المصحف ذاته . فلا بد ان يقع فيها خلط او اشتباه
من جانب النقل او السماع ، ولا سيما اذا طالت الفترة بين الشيخ الاول والقارىء
الاخير .

ومن ثم ظهرت قراءة مكة . وقراءة المدينة . وقراءة البصرة . وقراءة الكوفة .
وقراءة الشام . وهكذا ... الامر الذي كان كراً على ما فروا منه !

وزعم الزرقاني : ان هذا الاختلاف في النص كان عن عمد منهم وعن قصد ،
لحكمة تحمل اللفظ كل قراءة ممكنة . قال : وكتبوها متفاوتة في اثبات وحذف وبدل
وغيرها ، لان عثمان قصد اشتمالها على الاحرف السبعة . فكانت بعض الكلمات يقرأ
رسمها باكثر من وجه نحو «فتبينوا» و«ننشها» .

اما الكلمات التي لانتحتمل اكثر من قراءة ، فانهم كانوا يرسموها في بعض
المصاحف برسم وفي بعض آخر برسم آخر ، كوصى بالتضعيف واوصى بالهمز .
وكذلك «تحتها الانهار» في مصحف و «من تحتها الانهار» بزيادة «من» في مصحف
آخر !... (١)

قلت : هذا تعليل عليل ، بعد ان كان الغرض من نسخ المصاحف وتوحيدها
هورفع الاختلاف في القراءات . كان احدهم يقول : قراءتنا خير من قرائتكم . فثلاً
يقع مثل هذا الجدل المرير تأسس المشروع المصاحفي باتفاق من آراء الصحابة .
اما وبعد ان انجزت اللجنة مهمتها واذا بدواعي الاختلاف : الاختلاف في القراءة
ذاتها ، موجودة .

اما قضية الاحرف السبعة المفسرة الى القراءات السبع ، فحديث مشتهر بما

بلغ تفسيره الى اربعين معنى (١). واوهن المعانى هو تفسيره بالقراءات ، اذ لم يثبت ان النبي ﷺ قرأ القرآن على سبعة وجوه . كما ان لاختلاف القراء في قراءتهم عللا واسباباً تخصهم هم . وقد فصلها ابو محمد مكي بن ابي طالب في كتابه «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» فراجع . وقد تكلمنا عن حديث الاحرف السبع في فصل خاص يأتي انشاء الله .

هذا .. واما الاستاذ اليبارى فانه يرى ان هذا الاختلاف انما كان بين مصاحف سبقت مصحف عثمان . وجاء هذا الاخير ليرفع تلکم الاختلافات .. (٢) . لكنها نظرية تخالف النص القائل بان الاختلاف كان في نفس مصاحف عثمان (٣) . وعلى اية حال فان الاختلاف بين المصاحف المبعوثة الى الافاق ، شيء واقع ، ويؤسف عليه ، وكانت البذرة التي انبتت منها اختلاف القراءات فيما بعد . وفيما يلي عرض نموذجي عن اختلاف مصاحف الافاق ، اعتمدنا فيه على نص ابن ابي داود في كتابه «المصاحف» ص : ٣٩ الى ٤٩ .

(ملحوظة) : مصحفنا اليوم يتوافق - اكثرأ - مع مصحف الكوفة ، سوى مواضع نرسم اليها في الجدول التالي بعلامة «*» .

غير ان مصحف البصرة كان ادق من سائر المصاحف - كما اشار اليه حديث الشامي الانف (٤) - . تدلنا على ذلك ، الاية : ٨٧ من سورة المؤمنون . انها في مصحف البصرة : «قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون : الله» . وهي في مصحف الكوفة وغيرها : «سيقولون : لله» . وكذلك الاية : ٨٩ من نفس السورة ، والاية : ٣٣ من سورة فاطر ، مثبتة في

١- راجع : الاتقان ج ١ ص ٤٥

٢- تاريخ القرآن : ابراهيم الايبارى ص ٩٩

٣- راجع : المصاحف ص ٣٩

٤- تقدم في صفحة : ٢٩٦

مصحف البصرة : «من ذهب ولؤلؤ» . وفى غيره : «ولؤلؤا» .
وهكذا الآية : ١٤ من سورة الانسان فى مصحف البصرة : « قواريراً قوارير
من فضة» . وفى غيره : «قواريراً قواريراً من فضة» ... الى غير ذلك .
واليك جدولاً نموذجياً تعين مواضع الاختلاف من مصاحف الافاق : الشام ،
الكوفة ، البصرة ، مكة . اهم البلاد التى ارسلت اليها المصاحف ، ومقارنتها مع
المصحف الامام «مصحف المدينة» :

جدول نهون جي يعين مواضع الاختلاف من مصاحف الافاق

السورة	الآية	مصحف المدينة	مصحف الشام	مصحف الكوفة	مصحف البصرة	مصحف مكة
البقرة	١١٦	قالوا اتجهنوا له ولداً	قالوا	وقالوا	وقالوا ...	
آل عمران	١٣٦	وادعى جا ابراهيم	وادعى	ودعى	ودعى ...	
	١٣٣	سارعوا الى مشقة من دهم	سارعوا	وسارعوا	وسارعوا ...	
	١٨٤	جاؤوا بالبينات والقرى	والقرى	والقرى	... والقرى	
النساء	٦٦	...	ماطويهم الا قليلا	الا قليلا	... الا قليلا	
	١٧١	...	...	فانصروا بالقرى	فانصروا بالقرى	...
المائدة	٣٣	يقول الذين آمنوا	يقولون	ويقولون	ويقولون ...	...
	٥٤	من يرتدد	من يرتدد	من يرتدد	من يرتدد ...	
الأنعام	٣٧	...	ولدار الآخرة	ولدار الآخرة	ولدار الآخرة	
	٩٣	لئن ائتمينا	تذكرون	تذكرون	... تذكرون	
الأعراف	٣	قليل ما يند كرون	...	...	وما كنا ...	
	٤٣	ما كنا لنبتدي	...	وقا	وقا ...	
	٧٥	قال لللا	قال لللا	وقال لللا	وقال لللا ...	
	١٤١	واذا نخله كم	...	واذا نخلنا كم	...	
	١٨٥	ثم كيدوني	ثم كيدوني	ثم كيدون	ثم كيدون ...	
الأنفال	٦٧	...	ما كان لني	ما كان لني	ما كان لني ...	
التوبة	١٠٠	...	...	...	تجري تهجها الاهل	تجري من تهجها الاهل
	١٧٧	الذين اخذوا مسجداً شراراً	الذين	والذين	والذين ...	
يوسف	٧٧	هو الذي ينشر كم	هو الذي ينشر كم	هو الذي ينشر كم	هو الذي ينشر كم	
الزمر	٤٧	وسيلم الكفار	...	وسيلم الكفار	وسيلم الكفار	
الاسراء	٩٣	قال سبحانه دهي	...	قل سبحانه دهي	قل سبحانه دهي	
الكهف	٣٦	لأجدين خيرة منها	منها	منها	... منها	
	٩٥	قال ما مكى	مكى	مكى	... مكى	

جہلول نہوڙ جي پيڻن مو اضع الاختلاف من مصاحف الافاق

[illegible]

القرآن فى اطوار الاناقة والتجويد :

لم يزل القرآن - منذ الصدر الاول - فى طور التجويد والتحسين ، لاسيما فى ناحية كتابته وتجميل خطه من جميل الى أجمل . وقد أسهم الخطاطون الكبار فى تجويد خط المصاحف وتحسين كتابتها .

واول من تنوق فى كتابة المصاحف وتجويد خطها ، هو خالد بن ابى الهياج - صاحب امير المؤمنين على عليه السلام - (ت ح ١٠٠هـ) وكان مشهوراً بجمال خطه واناقة ذوقه . ويقال : ان سعداً - مولى الوليد وحاجبه - اختاره لكتابة المصاحف والشعر والاخبار للوليد بن عبد الملك (٨٤ - ٩٤) فكان هو الذى خط قبلة المسجد النبوى بالمدينة بالذهب من سورة الشمس الى آخر القرآن . وكان قد جدد بناءه ووسع عمر ابن عبد العزيز واليا على المدينة من قبل الوليد وبأمر منه . وفرغ من بنائه سنة ٩٠ (١) . وطلب اليه عمر بن عبد العزيز ان يكتب له مصحفاً على هذا المثال ، فكتب له مصحفاً تنوق فيه ، فاقبل عمر يقلبه ويستحسنه ، ولكنه استكثر من ثمنه فردده عليه . والظاهر ان ذلك كان ايام خلافته (٩٩ - ١٠١) التى كان قد تزهد فيها . قال محمد بن اسحاق - ابن النديم - : رأيت مصحفاً بخط خالد بن ابى الهياج ،

صاحب على عليه السلام ، وكان في مجموعة خطوط اثرية عند محمد بن الحسين المعروف بابن ابي بكرة ، ثم صار الى ابي عبد الله بن حانى رحمه الله (١) .

وقد ظل الخطاطون يكتبون المصاحف بالخط الكوفى ، حتى اواخر القرن الثالث الهجرى ، ثم حل محله خط النسخ الجميل فى اوائل القرن الرابع ، على يد الخطاط الشهير محمد بن على بن الحسين بن مقله (٢٧٢ - ٣٢٨) .

قيل : انه اول من كتب خط الثلث والنسخ ، واول من هندس الحروف - اذ كان بارعاً فى علم الهندسة - ووضع قواعدا واصول رسمها . واتفق الباحثون ان الفضل الاكبر فى تطوير وتحسين الخط العربى الاسلامى وتنويعه يرجع الى هذا الخطاط الماهر ، الذى لم تنجب الامة الاسلامية لحد الان خطاطاً بارعاً مثله .

وقد نسب عدد من المخطوطات الاثرية اليه ، كالمصحف الموجود فى متحف هراة بافغانستان . ويقال : انه كتب القرآن مرتين (٢) .

وقد بلغ خط النسخ العربى ذروته فى الجودة والحسن فى القرن السابع على يد الخطاط المستعصمى ياقوت بن عبد الله الموصلى (ت ٦٨٩) كتب سبع مصاحف بخطه الرائع الذى كان يجيده اجادة تامة ، ويكتب بانواعه المختلفة حتى صار مثلاً يقتدى به (٣) .

وهكذا صارت المصاحف تكتب على اسلوب خط ياقوت حتى القرن الحادى عشر ، ومنذ مفتتح القرن الثانى عشر اهتم الاثراك العثمانيون عنايتهم بالخط العربى الاسلامى لاسيما بعد فتح سلطان سليم مصر وزوال حكم المماليك عنها ، فجعل الخط العربى يتطور على ايدى الخطاطين الفرس الذين استخدمهم العثمانيون فى امبراطوريتهم . وقد نقل السلطان سليم جميع الخطاطين والرسامين والفنانين الى عاصمته ،

١- الفهرست الفن الاول من المقالة الاولى ص ٩ . والفن الاول من المقالة الثانية ص ٤٦

٢- تركى عطية : الخط العربى الاسلامى ص ١٥٥ . والخطاط البغدادى ص ١٦٠ .

٣- المصدر ص ١٧١ ومصور الخط العربى : ناجى المصروف ص ٩٢

واضافوا للخط العربى انواعاً جديدة ، لازالت تستعمل فى الكتابات الدارجة ، كالخط الرسمى والخط الديوانى والخط الطغرائى والخط الاسلامبولى وغيرها .
ومن الخطاطين العثمانيين الذين ذاع صيتهم : الحافظ عثمان (ت ١١١٠) .
والسيد عبدالله افندى (ت ١١٤٤) . والاستاذ راسم (ت ١١٦٩) . وابوبكر ممتاز بك مصطفى افندى الذى اخترع خط الرقعة ، وهو اسهل الخطوط العربية وابسطها استعمالاً ، وقد وضع قواعده وكتب به لأول مرة ، فى عهد السلطان عبدالمجيد خان سنة ١٢٨٠ هـ (١) .

اما طباعة المصحف الشريف فقد مرت - ككتابته خطأ - باطوار التجويد والتحسين . فلأول مرة ظهر القرآن مطبوعاً فى البندقية فى حدود سنة ٩٥٠ هـ = ١٥٣٠ م . لكن السلطات الكنسية اصدرت امراً باعدامه حال ظهوره .
ثم قام «هنلكمان» بطبع القرآن فى مدينة «هانبورغ» - ألمانيا - سنة ١١٠٤ هـ = ١٦٩٤ م . ثم تلاه «مراكى» بطبعه فى «بادو» سنة ١١٠٨ هـ = ١٦٩٨ م .
وقام مولاى عثمان بطبع القرآن طبعة اسلامية خالصة ، فى مدينة «سانت بترسبورغ» - روسيا - سنة ١٢٠٠ هـ = ١٧٨٧ م . وظهر مثلها فى «قازان» .
وقام «فلوجل» بطبعته الخاصة للقرآن فى مدينة «لينزبورغ» سنة ١٢٥٢ هـ = ١٨٣٤ م . فتلقاها الاوروبيون بحماسة منقطة النظير ، بسبب املائها السهل . ولكنها - كسائر الطبعات الاوروبية - لم تنجح فى العالم الاسلامى .

واول دولة اسلامية قامت بطبع القرآن ، فكان نصيبها النجاح ، هى ايران (١) . طبعت طبعتين حجريتين جميلتين ومنقحتين فى حجم كبير ، مع ترجمة موضوعة

١ - الخط العربى الاسلامى ص ١٢٣

٢ - الدكتور صبحى صالح : مباحث فى علوم القرآن ص ٩٩ . وينقل عن المستشرق

«بلاشير» معلومات هامة بهذا الصدد ، اعتمدناها فى هذا العرض .

تحت كل سطر من القرآن ، ومفهرستين بعدة فهارس . احدهما كانت فى طهران سنة ١٢٢٣ هـ = ١٨٢٨ م والاخرى فى تبريز ١٢٢٨ هـ = ١٨٣٣ م .
وظهرت فى الهند - فى هذا العهد - ايضاً عدة طبعات .

ثم عنت الاستانة - تركيا العثمانية - ابتداء من سنة ١٢٩٤ هـ = ١٨٧٧ م بطبع القرآن طبعات انيقة ومتقنة جداً .

وقامت روسيا الملكية عام ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م بطبع قرآن كتب بخط كوفى قديم ، فى حجم كبير ، يظن انه احد المصاحف العثمانية الاولى ، خال عن النقط والتشكيل ، سقطت من اوله ورقات ، وناقص من آخره ايضاً . يبتدى من قوله تعالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » سورة البقرة : ٨ . وينتهى الى قوله : « وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم » سورة الزخرف : ٤ . عثروا عليه فى سمرقند ، فامتلكته المكتبة الملكية فى بتر سبورغ . ثم تولى معهد الآثار فى طشقند طبعه طبعة فتوغرافية على نفس الرسم والحجم فى خمسين نسخة ، واهداها الى اهم جامعات البلاد الاسلامية . ومنها نسخة فى مكتبة جامعة طهران ، مسجلة برقم المطبوعات : DSS / ١٤٢٠٣ .

وأخيراً قامت مصر بطبعة ممتازة للمصحف الشريف سنة ١٣٢٢ هـ = ١٩٢٣ م ، تحت اشراف مشيخة الازهر . وباقرار لجنة عينتها وزارة الاوقاف . وقد تلقى العالم الاسلامى هذه الطبعة بالقبول ، وجرت عليها سائر الطبعات .
كما ظهرت فى العراق سنة ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م طبعة بارزة انيقة للقرآن . وهكذا اهتمت الامم الاسلامية فى مختلف الاقطار بطبع هذا الكتاب ونشره على احسن اسلوب واجمل طراز ، ولاتزال .

والحمد لله اولاً واخيراً حمداً لانهاية له ولازوال

قم المقدسة - محمد هادى معرفة

شوال المكرم ١٣٩٦ هـ

فهرس الموضوعات

المقدمة

(أ - يو)

- * ميزات بارزة فى القرآن تجعله من الاهمية جديرأبعناية بالغة منذالصدرالاول فالى الابدية .
- * سلسلة تاريخية عن كتب باحثة عن مختلف شؤون القرآن ، مرتبة حسب توالى القرون .
- * حظى القرنان ٨ - ٩ بموسوعات حافلة بشتى علوم القرآن .
- * مواكبة علماء الافرنج لعلماء المسلمين منذ القرن ١٢ فى البحث عن شؤون القرآن .
- * سبب تأليف الكتاب والسرفى تسميته تمهيداً .
- * شكر وتقدير .

الوحى والقرآن

٢ - ١

الصفحة

١ - ظاهرة الوحى (١ - ٧٠)

٢	الوحى فى اللغة
٣	الوحى فى القرآن
٦	الوحى الرسالى
٨	امكان الوحى
٩	مناشئ فكرة انكار الوحى

* * *

١٠	جانب روحانية الانسان
١١	براهين فلسفية تثبت وجود النفس
١١	الانسان فى كينونة ذاته
١٣	الانسان فى صفاته وغرائزه
١٥	الانسان وظاهرة الادراك
١٨	ادلة حديثة تثبت وجود الروح
٢٦	فذلكة البحث
٢٦	الوحى عند فلاسفة الغرب

* * *

٣٠	انحاء الوحى الرسالى
----	---------------------

- ٣١ الرؤيا الصادقة
- ٣٢ نزول جبرئيل
- ٣٦ تمثل جبرئيل بصورة دحية وسر هذا التمثيل
- ٣٧ نزول الملك على رسول الله ﷺ من غير ان يراه
- ٣٨ الوحي المباشر
- ٣٩ الحالة الشديدة التي كانت تعترى رسول الله ﷺ عند نزول الوحي عليه
- ٤١ وصف هذه الحالة عن لسانه ﷺ
- ٤٢ شدة وقع الوحي
- ٤٣ اختصاص هذا النوع من الوحي بما اذا كان مباشراً وبدون توسط ملك
- * * *
- ٤٤ هل كان النبي ﷺ يفقد وعيه حالة نزول الوحي عليه ؟
- ٤٥ تجربة روحية تثبت امكان التأثير على عقلية الانسان بصورة دائمة او مؤقتة
- * * *
- ٤٧ موقف النبي ﷺ من الوحي
- ٤٨ ١- النبوة مقرونة بدلائل نيرة
- ٤٩ مقتضى قاعدة اللطف
- ٥٢ قصة ورقة بن نوفل
- ٥٤ تزيف هذه القصة
- * * *
- ٥٦ ٢- الوحي لا يحتمل التباساً
- ٥٩ اسطورة الغرائيق

٦١	نقد الاسطورة سنداً
٦٢	نقدها مدلولاً
٦٥	مناقضتها مع القرآن
٦٧	منافاتها لمقام العصمة
٦٨	تهاافتها مع آى السورة
٦٩	مقال للاستاذ هيكمل حول هذه الاسطورة

٢- نزول القرآن (٧١-٢٠٣)

٧٢	بدء نزول الوحي
٧٦	تعيين يوم المبعث المبارك
٧٩	بدء نزول القرآن
٨١	فترة انقطاع الوحي
٨٣	آراء وتأويلات حول نزول القرآن ليلة القدر
٩٢	تحقيق للشيخ المفيد

* * *

٩٣	اول منازل
٩٦	آخر منازل
٩٩	المكى والمدنى
١٠١	الطريق الى معرفة ذلك
١٠٣	ترتيب نزول السور
١٠٤	جدول ترتيب السور المكية

١٠٦	جدول ترتيب السور المدنية
١٠٧	جدول مرتب حسب حروف المعجم

* * *

١١٤	سور مختلف فيها
١٣٨	آيات مستثنيات
١٣٨	تزيف القول بالاستثناء اطلاقاً
١٣٩	استثناءات من سور مكية
١٩١	استثناءات من سور مدنية

تاريخ القرآن

٢-١

١- دور جمع القرآن (٢٠٨ - ٢٧٤)

٢٠٨	مقدمة تمهيدية
٢١٠	نظم كلمات القرآن ضمن كل آية آية ، شىء حصل بالوحى فقط
	تأليف آى القرآن ضمن كل سورة سورة ، شىء حصل بالوحى - اكثرياً -
٢١٢	وبتصريح من النبى ﷺ الخاص - احياناً -
٢١٨	ترتيب السور بين الدفتين ، شىء حصل بعد وفاة النبى ﷺ
٢٢٠	تمحيص الرأى المعارض

* * *

٢٢٥	جمع على بن ابي طالب ﷺ
٢٢٨	وصف مصحف على ﷺ
٢٣١	أمد مصحف على ﷺ



٢٣٤	جمع زيد بن ثابت
٢٣٦	منهج زيد في جمع القرآن
٢٣٧	زيد لم ينظم السور
٢٣٨	آخر سورة براءة كانت مع خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين
٢٣٩	ماذا كان يعنى بالشاهدين ؟
٢٤٠	شكوك واعتراضات
٢٤١	الاجابة على هذه الشكوك
٢٤٢	مبلغ كفاءة زيد



٢٤٦	مصحف اخرى للصحابة
٢٤٧	امد هذه المصاحف
٢٥١	وصف عام عن مصاحف الصحابة
٢٥٢	وصف مصحف عبدالله بن مسعود
٢٦٤	وصف مصحف ابي بن كعب
٢٦٨	جدول يقارن بين هذه المصاحف

٢- دور توحيد المصاحف (٢٧٥ - ٣٥٣)

٢٧٦	عوامل فكرة التوحيد
-----	--------------------

٢٧٧	اختلاف المصاحف
٢٧٧	نماذج من اختلاف العامة
٢٨٠	قدوم حذيفة الى المدينة
٢٨٠	عثمان يأتمر الصحابة
٢٨١	عقد لجنة مصاحفية
٢٨٢	شخصية الاعضاء الاولين
٢٨٦	السر في انتداب هؤلاء
٢٨٨	موقف الصحابة تجاه المشروع
٢٨٩	موقف علي عليه السلام الخاص
٢٩٠	مخالفة ابن مسعود لم تكن جوهرية

* * *

٢٩١	عام تأسيس اللجنة
٢٩٤	منجزات المشروع
٢٩٧	عدد المصاحف العثمانية
٢٩٩	من شهد هذه المصاحف في العصور المتأخرة

* * *

٣٠٢	تعريف عام بالمصاحف العثمانية
٣٠٥	١- النقط والتشكيل
٣٠٧	نشأة الخط العربي
٣٠٩	اول من نقط المصحف
٣١٠	اول من شكل المصحف
٣١٢	تحسينات وتفاصيل متأخرة

* * *

٢- اخطاء املائية

وجود الاخطاء فى المصحف لا يضر بتواتر القرآن

آراء الصحابة فى لحن المصحف

نماذج من اخطاء الرسم العثمانى

* * *

٣- مناقضات فى الرسم العثمانى

غلو فاحش بشأن الاخطاء

الرأى الحاسم

سبعة آلاف لحن ا

عدد ما فى كل سورة من لحن

جدول تفصيلى يقارن بين املاء الكلمة برسمها القديم واملائها بالرسم المعاصر ٣٤٠

* * *

٤- اختلاف مصاحف الافاق

جدول نموذجى عن مواضع الاختلاف بين مصاحف اهم البلاد التى

ارسلت اليها المصاحف الموحدة

* * *

القرآن فى طور الاناقة والتجويد

القرآن فى دور الطباعة

تسلسل تاريخى لطباعة القرآن

اول دولة اسلامية قامت بطبع القرآن : ايران

يرجى تصحيح الخطاء المطبعية التالية

قبل مطالعة الكتاب

ص	س	خطاء	صواب
٢	١٦	مقاييس	مقاييس
٩	١٢	المقاييس	المقاييس
١٤	١	عرائز	غرائز
١٧	١٢	وهذ	وهذا
١٧	٢١	كان ،	كان
٢٣	٢	فلابدن	فلابدان
٢٨	١٢	اشرفنا	اشرفنا
٣٢	٧	بعثه	بعثته
٣٣	٩	بواسطية	بواسطة
»	»	جبرائل	جبرائيل
٣٩	٢٣	ولذوابة	والذوابة
٤٠	٧	فترغوا	فترغوا
»	١٨	غوترة	ترغو
»	»	ثقتل	تقتل
٤١	٨	فخذه	فخذه
٤٣	١٧	الذين	اللذين
٤٤	٨	انقذه	انفذه
»	١٠	بجبرئيل	جبرئيل
٤٦	٢٢	تخلوا	تخلو
٤٨	٢	الصلقوه	الصلقوه

ص	س	خطاء	صواب
٦٣	١٩	يكن	تكن
٨١	٩	ملا	ملاء
»	١٣	»	»
٢١١	١١	سائر	سائر
٢٢١	١٠	الخوئي	الخوئي
٢٢٣	٨	يوماً	يوماً
٢٢٢	١٠	شرائط	شرائط
٢٦٠	٧	يننافي	يتنافى
٢٨٢	١٥	قوله	قوله هذا
٢٩٣	١	إذا كان	إذا كان
٣٠٢	١٢	بأنها	بأنهما
٣١٨	١٨	بناءى	بناءى
٣٢٨	٧	ليسر	يسر
»	»	ليسرى	يسرى
٣٥٢	٢	تعين	يعين

استدارك : سقط فى الطبع من ص ٨٥ سطر ٢ تعيين الجزء والصفحة من كتاب
متشابهات القرآن لابن شهر آشوب الذى نقلنا عنه هناك . وهو : الجزء الاول صفحة : ٦٣

ملحوظة : وقعت الارقام الفارسية التالية بدلا عن ارقام عربية لم تكن متوفرة .

(٢ : ٤ - ٦ : ٦)